الجمهورية العراقية

وزارة الاعلام

العمارة العباسية في سامراء

د. طاهر مظفر العميد



الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الاعلام

السلسلة الفنية (٣٢)

١٩٧٦

أخي الأعز الدكتور يونس السامرائي

مع بالغ التحية والتقدير

العميد

٢٠ / ١ / ١٩٧٧

العمارة العباسية في سامراء

في عهدي المعتصم والمتوكل

الدكتور

طاهر مظفر العميد

المقدمة

هذا الكتاب في الاصل رسالة جامعية قدمها المؤلف الى قسم الدراسات العربية والاسلامية في جامعة ادنبرة بأسكتلندة تحت اشراف البروفسور تالبوت رايس والبروفسور مونتغمري وات ، للحصول على درجـة دكتوراه فلسفة بالعمارة والآثار العربية والاسلامية وقد اجيزت الدرجة فى عـام ١٩٦٨ •

ويسرني أن أسجل هنا امتناني للفرصة التي اتاحتها لي كلية الآداب في جامعة ادنبرة ، للبحث فى طبيعة العمارة العباسية فى سـامراء فى عصري المعتصم والمتوكل ، ولقد كان هدف هذا البحث ، فى الدرجة الأولى ، الكشف عن خصائص اسلوب العمارة العباسية فى سامراء •

حظيت العمارة العباسية ، على وجه العموم ، بأهتمام عدد من الباحثين المحدثين وعناية بعض علماء الآثار منهم ، ڤيولة ، لسترانج ، هرزفيلـد ، وكريزويل ، ولقد غطت اعمالهم الأثرية وابحاثهم العلمية بصورة واسعة معظم معظلات العمارة العباسـية في سامراء ، ومـع ذلك ، فانه لازالـت هناك بعض نقاط معينة مفتوحة للبحث •

لقد بحث عن بغداد، مدينة المنصور المدورة، في المصادر الأدبيةوالتأريخية فقط ، وذلك لأن بقاياها تغطيها في الوقـت الحاضـر مباني وعمائر المدينـة الجديدة • أما بالنسبة لسامراء ، فأن الامر يختلف على كل حال ، إذ أن معظم خرائبها لاتزال شاخصة ، ولهذا السبب فأن الابحاث التي وضعت خـلال القرن الماضي عن مختلف المباني فى سامراء قد اعتمدت على الدلائل التأريخية وعلى الشواهد الأثرية التي جمعت عن طريق التنقيب والتقصي فى الموقع •

وعصر سامراء ، يقع ضمن فترة مهمة في تأريخ الآثار العربية والاسلامية، وتكمنهذه الاهمية فيان ازدهار سامراء وافوالها كانضمنفترةمحددة بخمسة وثمانين عاماً فقط • وهكذا فأنه من الممكن على وجه من الدقة ، أن نؤرخ

تلك النماذج من الآثار العربية والاسلامية التي نجهل تأريخها عن طريق تحليل ميزاتها ومقارنتها بتلك النماذج التي نعرف تأريخ صنعها في سامراء •

يتألف هـذا البحث من خمسة ابواب ، تناول الباب الأول البحث موضع سامراء القديم قبل عصر المعتصم وقد اثبت البحث ، من غير شك ، أن الموضوع الذي إختاره الخليفة كان مستوطناً منذ فترة سابقة • وقد أعانت كثيراً بعض مؤلفات الجغرافيين العرب على انجاز هذا الباب ، امثال « فتوح البلدان » للبلاذري ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، و « البلدان » لليعقوبي • كما ان الابحاث والتقارير التي وضعها علماء الآثار قد ساعدت بشكل كبير على هذا الأنجاز •

وفي الباب الثاني ، استعرض البحث موجزاً للمدخل التأريخي للفترة العباسية في سامراء ومن ضمنها عصر المعتصم وانتقاله من بغداد الى سامراء • وقد استعنا بالمراجع التأريخية في هذا الصدد ، أمثال « التأريخ » لليعقوبي و « الاخبار الطوال » للدينوري و « تاريخ الرسل والملوك » للطبري و « مروج الذهب » للمسعودي و « الكامل في التاريخ » لأبن الاثير ، حيث اتخذت كمراجع اساسية •

وفي الباب الثالث ، تناول البحث العمائر التي شيدت في عصر المعتصم ، ماعدا الجامع الكبير الذي شيده هذا الخليفة ، مع اننا كنا قد اولينا هذا الجامع اهتماماً كبيراً وحرصنا على العثور على اية معلومات قد تكون متوفرة في مختلف المراجع العربية القديمة ، ولكن لسوء الحظ ، لم تسجل تلك المراجع أي شيء عن ملامح هـذا الجامع المعمارية وصفاته الاصلية على الرغم من أننا دققنا في جميع المراجع والمصادر التي يتوقع الباحث ان يعثر فيها على شيء يفيد في هذا الصدد • ولقد كانت ابحاث العالم الفرنسي « ڤيولة » والعالم الالماني « هرزفيلد » والعالم البريطاني « كريزويل » والباحث العراقي « سوسة » ومديرية الآثار القديمة في العراق مفيدة للغاية •

وفي الباب الرابع ، تناولت الجانب التأريخي لعصر المتوكل والاعمال المعمارية التي نفذت فيه ، ولقد كانت المؤلفات الجغرافية والتأريخية المشار اليها سابقاً ، للجغرافيين والمؤرخين العرب ، المرجع الاساسي لهـذا

الباب ، كما ساعدت ايضا الأبحاث الاثرية التي قدمها البروفيسوران هرزفيلد وكرزويل والباحثان العراقيان بشير فرنسيس ومحمود علي •

أما الباب الاخير ، فقد خصص لدراسة الاصول المعمارية لملوية سامراء وملوية ابي دلف ، وعلاقة الملوية بمنارة جامع احمد بن طولون فى القاهرة ، ولقد أظهر البحث اتكالاً على النصوص التأريخية والخصائص المعمارية أن ملوية جامع سامراء الكبير ، بشكلها الفريد قد ابتدعت لاول مرة فى العصر الاسلامي ، وأظهر البحث كذلك ، أن منارة جامع ابن طولون في القاهرة قد تأثرت باساليب العمارة لفنار الاسكندرية وللملوية جامع سامراء معاً •

الدكتور
طاهر مظفر العميد

كلية الآداب ـ جامعة بغداد
١٩٧٦



الباب الاول

موضع سامراء القديم قبل عهد المعتصم



عند البحث في نشأة أية مدينة من المدن ، على المرء أن يأخذ بنظر الاعتبار دراسة الموضوع الذي شيدت فيه تلك المدينة ، ومن الطبيعي ان البواعث على بناء المدن في الماضي او الحاضر ، يختلف بعضها عن البعض الاخر ، فمن المدن ماشيد لاسباب عسكرية ، وبعضها شيد لاسباب تجارية ، أو سياسية ، أو للراحة والاستجمام •

والمدن التي تبنى للاسباب العسكرية ، يراعى في بنائها اختيار موقع ستراتيجي مهم يهيمن على طرق المواصلات ، ويؤمن خط الرجعة ، وتوصيل الامدادات البشرية والغذائية ، فضلا عن متانة البناء وتجهيزه بالابراج والشرفات والمزاغل •

والمدن التي تشيد كمركز تجاري ، يتطلب من المكان المختار ان يكون على مفترق طرق المواصلات البرية منها والنهرية ، وقريبا من مصادر الثروات الحيوانية والغذائية والصناعية ، اما المدن التي تشيد لاسباب سياسية ، فأهم الشروط التي تتوفر في بنائها هي ان تكون في مركز متوسط ، حتى تتمكن ان كانت بمثابة عاصمة لدولة كبيرة ان تدير دفة الامور الادارية في أوقات السلم ، وان تسيطر على اعمال التمرد والشغب في فترات الحرب •

وأما المدن المشيدة للراحة والاستجمام ، فالمفروض فيها ان تكون أداة للتسلية ووسيلة ، تشبع الرغبات في ضمان اوقات هادئة وتوفير الحدائق والبساتين والمنتزهات والميادين والساحات وحدائق الحيوانات والبيوت المريحة[1] •

ومدينة سامراء بنيت لتكون عاصمة الامبراطورية العباسية ، والبحث عن موقعها القديم مهم جدا ، وهنا سنبحث عن هذا الموقع ، ونصف في ايجاز الموقع الذي اختاره المعتصم لهذه العاصمة •

---

(١) انظر : طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ٥٧ وما يليها •

تقع مدينة سامراء الحديثة على الضفة اليسرى لنهر دجلة وعلى حوالي ١٣٠ كيلو مترا الى الشمال من مدينة بغداد[٢]. ولقد شيدت هذه المدينة الحديثة فوق آثار العاصمة العباسية « سر من رأى » التي تمتد أطلالها مع الضفة العليا لوادي نهر دجلة من الفرع الثاني للنهروان عند القائم في الجنوب حتى فرعه الثاني في الشمال [٣] . وبذلك يبلغ طول أطلالها نحو اربعة وثلاثين كيلو متراً ، تقع ثمانية منها جنوب المدينة الحالية والبقية (٢٦ كيلو متراً) في شمالها [٤] .

ومدينة على مثل هذا الاتساع لابد أن تثير إهتمام الكتاب والمؤرخين ، فهي قد حملت القزويني على ان يقول انها «اعظم بلاد الله بناء وأهلاً ...» وانها « لم يكن في الأرض أحسن ولا اجمل ولا اوسع ملكاً منها »[٥] .

والظاهر أن الموقع الذي شيدت فيه العاصمة العباسية الثانية ، كان معروفاً فى العصور التي سبقت العصر العباسي ، فلقد اثبتت الاكتشافات الأثرية أن المكان قد استوطن منذ عصور ما قبل التأريخ .

ففي عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ قام الدكتور هرزفيلد بالتنقيبات الأثرية فى مدينة سامراء ضمن نطاق المقبرة التي بدت للعيان فى بقعة من شريعة « باب الناصرية » شمالي سامراء الحالية على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً ، وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرزفيلد قد قام به فى سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ . فثبت في نهاية تلك الاعمال أن كلاً من القبور والفخار المصبوغ الذي وجد فيها يعود الى أزمان العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) .

---

(٢) احمد سوسة ، ري سامراء ، ١/٤٦ .

(٣) Journal of the Royal Geographical Society, XI, 1841, p. 126.

(٤) مديرية الآثار العراقية ، سامراء ، حفريات سامراء ، صفحة ٧ . بينما يذكر احمد سوسة في كتابه ري سامراء ، ١/٤٦ ، أن الاطلال تمتد مسافة تسعة كيلومترات تقريباً جنوبي المدينة الحالية وحوالي الخمسة والعشرين كيلومتراً شمالها ، واما عرضها فيتراوح بين الكيلومترين والاربعة

(٥) آثار البلاد واخبار العباد ، صفحة ٣٨٦ .

وقد عرف العصر الذي تعود اليه مقبرة سامراء هذه بـ « عصر حلف »[٦] • وهذا العصر يلي العصر الحجري الحديث ، وتمتاز بقاياه بزخرفة الأواني الفخارية ، وبرقي أشكالها وتعدد الوانها •

وبالاضافة الى هذا النوع من الاواني الفخارية فقد ترك اهل حضارة حلف دمى الطين المشوي غريبة الصنع ، وكمية كبيرة من الحزوز المنقوشة[٧] • ويشير الدكتور احمد سوسة انه اثناء تدقيقه لآثار سامراء عثر على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ • ويضيف بأنه من نفس الفخار الذي عثر عليه في بقعة «شبه الحاوي » في التل المعروف باسم « تل الصوان »[٨] ، (شكل ــ ١) وكان آرنست هرزفيلد قد لاحظ هذا الموقع لاول مرة في عام ١٩١١ أثناء التنقيبات الالمانية في سامراء[٩] •

وقد اتصل الدكتور احمد سوسة بالبروفسور هرزفيلد يخبره بما اكتشف في تلك المنطقة ، فكتب اليه مؤيداً وجود هذا الفخار في ذلك المكان المذكور واضاف قائلاً بأن هذه الآثار هي من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التأريخ ، وليس فيها مايدل على بقايا ابنية ترجع الى ذلك العصر[١٠] • ونظر لأهمية موقع تل الصوان ، فأن مديرية الآثار العراقية

---

(٦) احمد سوسة ، ري سامراء ، ٥٢/١ والصفحة التي تليها . وقد سمي هذا العصر بعصر حلف نسبة للموقع الاثري المعروف بأسم (تل حلف) الواقع في سوريا عند اعالي نهر الخابور ، خابور الفرات ، على حوالي ١٤٠ ميلا من شمالي غربي نينوى حيث اكتشف البارون ماكس فون اوبنهايم طائفة كثيرة من الأواني القديمة المزخرفة تحت انقاض قصر يرتقي تاريخه الى العصر الحجري الحديث، وتدل ظواهر الحال على ان هذه الاواني تعاصر فخار سامراء المذكور اعلاه .

(٧) احمد سوسة ، نفس المرجع ، ٥٣/١ .

(٨) هذا الموقع يعرف محليا بتل الصوان ويقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة على حوالي ١١ كيلو متراً جنوبي مدينة سامراء الحالية .

(٩) ري سامراء ،١/٥٤ .

(١٠) ري سامراء ، ٥٤/١ .

العامـة اولته اهتمامها الخاص فأوفدت بعثة أثرية عراقية خاصـة فى عام ١٩٦٤[١١] .

والمواد التي وجدت على سطح هذا التل تتضمن أواني فخارية سـاذجة ومحزوزة ترجع الى عصر حسونة[١٢] ، ومعها اعداد كبيرة من كسر فخارية ملونة وحجر الصوان . وهذه اللقى المكتشفة جعلت مديرية الآثار العراقية القديمة تستنتج بأن سكنى تل الصوان كان يحدد بعصر يمتد من الالف السادس الى الألف الخامس قبل الميلاد ، حيث كانت قد هجرت بعد ذلك بصورة تامة . وكما اوضحت مديرية الآثار العراقية القديمة العامة بأن هدف التنقيبات الاثرية هذه كان لاعداد أجوبة مهمة وعديدة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت لبعض المشاكل التي واجهت بلاد مابين النهرين في عصور ما قبل التأريخ . وعلى وجه الخصوص ما كان يبدو حقيقة ثابتة بأنه من المحتمل أن يكشف أخيراً عن مجتمع قروي فى جميع تفاصيل مواده ، ومن ضمنها العمارة . وبالاضافة الى ذلك ، فأنه بالنظر للموقع الجغرافي الوسيط لتل الصوان ، فلقد كان هناك مطمح معقول للعثور على دلائل كاشفة عن الاتصالات الحضارية ما بين شمال العراق وجنوبه خلال الالف السادس قبل الميلاد[١٣] .

وتتيجة لهذه التنقيبـات الاثرية اكتشـف مسـتوى خمـس بنايات

---

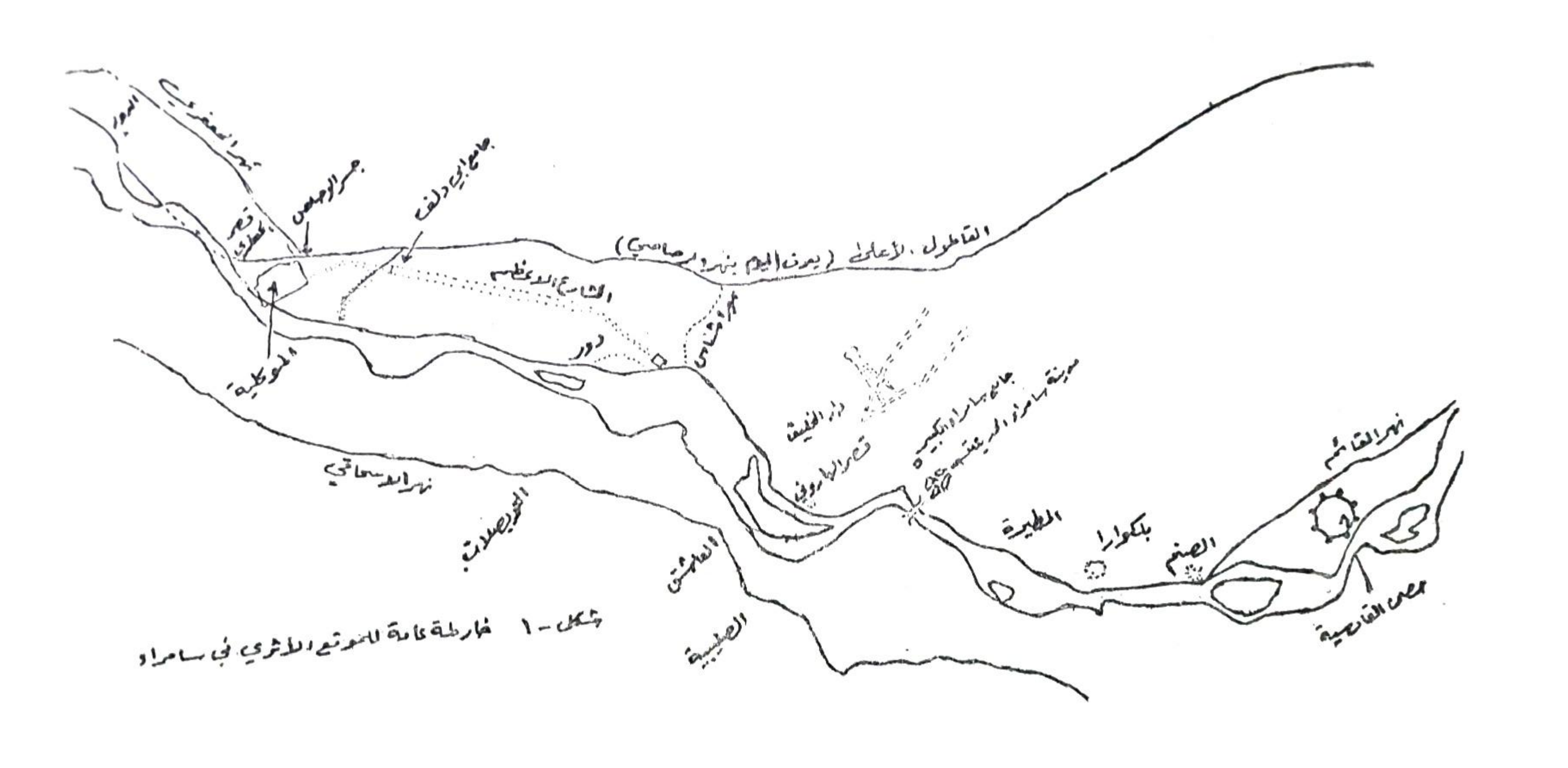
(١١) بدأت عمليات التنقيب في « تل الصوان » في ١٧ شباط من عام ١٩٦٤ م . من قبل بعثة من فنيي مديرية الآثار بأشراف بهنام ابو الصوف مع مساعدين أثريين آخرين .

(١٢) عصر حسونة كما قال گوف في كتابه

Symbols of prehistoric Mesopotamia, p. 1.

سمي كذلك نسبة الى الموقع الرئيسي ، حيـث وجـدت دلائل اثريـة تشير الى وجوده ، ويحتوي على مجموعة واسعة من الفنون الزخرفية في بلاد مابين النهرين ، حيث كانت محدودة في شمال بلاد مابين النهرين ، غير انها كانت واسعة الانتشار فيه . واوضح نماذج مماثلة لها كانت في غرب سوريا السلوقية .

(١٣) El-Wailly and Abu es-Soof, art. "The excavations at Tell es-Sawwan, Sumer, XXI, (1965), p. 17.



شكل -١ خارطة عامة للمواقع الأثرية في سامراء



رئيسية في تل الصوان ورقمت هذه الطبقات بالارقام (١ ــ ٥) من الاسفل الى الأعلى(١٤) . وقد عثر على أواني فخارية في بعض تلك الطبقات وعلى وجه الخصوص في الطبقة الثانية ؛ أما الطبقة رقم ــ ١ فتحتوي على فخار قليل(١٥) . وهكذا فان وجود هذه الاواني الفخارية المتسلسلة أيدت الشواهد المعمارية في أن موقع تل الصوان كان مسكونا الى النهاية من دون أية فواصل زمنية هامة(١٦) .

يتضح مما أوردناه سابقا ، أن المكان الذي شيد المعتصم عاصمته سامراء عليه ، كان مستوطنا منذ أقدم الازمنة ، وقد كان لسكانه نصيب من الحضارة تمتد الى عصور سحيقة في التأريخ .

ولقد احتل الفرس هذه المنطقة في القرون التالية لميلاد السيد المسيح ، واتخذوا من موقع سامراء الحصين مركزاً استراتيجياً وعسكريا اثناء قتالهم مع الرومان ، وقد أقاموا فيه الحصن المعروف باسم « حصن سومير » وهو الحصن الذي جاء ذكره بمناسبة تراجع الجيوش الرومانية بعد مقتل جوليان عام ٣٦٣م .

ولقد تم في العراق خلال الفترة التي كان فيها تحت الحكم الساساني انشاء مشاريع مختلفة للري ، واحياء بعض المشاريع القديمة وانشاء السدود الضخمة . ويظن ان اكثر مشاريع الري القديمة كمشروع النهروان وغيره من المشاريع المهمة الاخرى قد اسسها العراقيون في ذلك العهد (١٧) .

ويشير بعض الباحثين الى أن انشاء مشروع النهروان المذكور كان

---

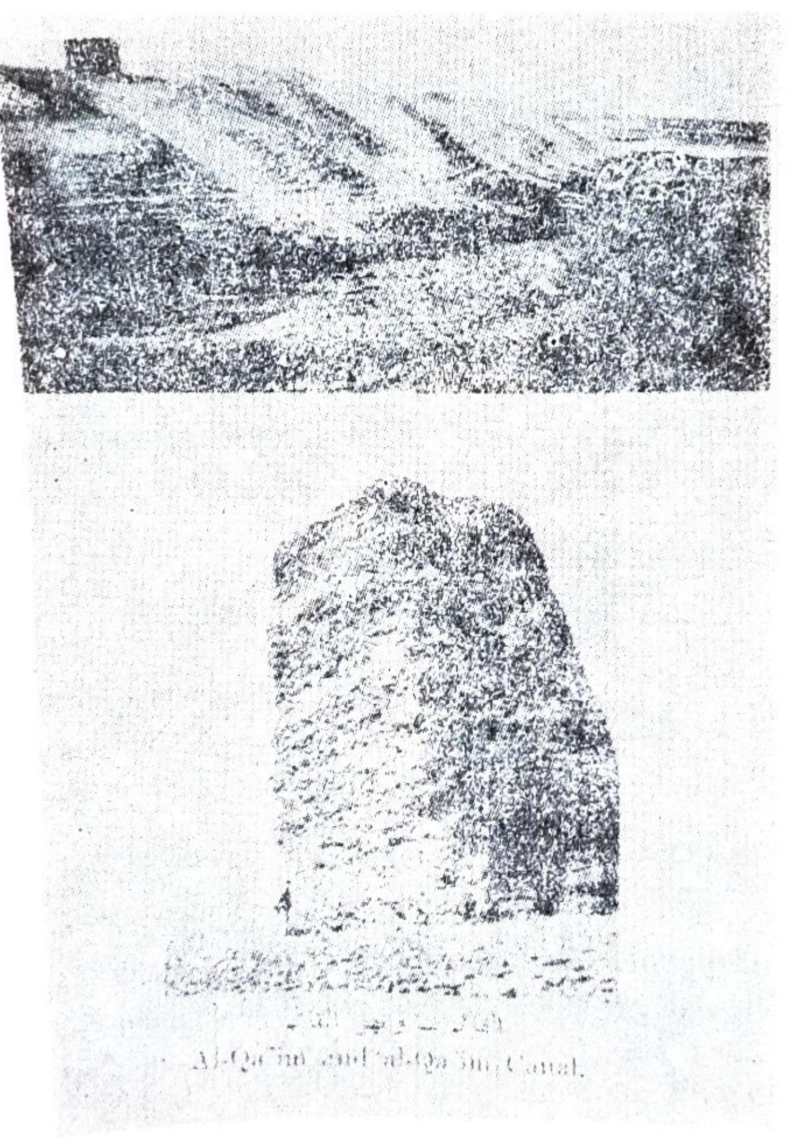
(١٤) نفس المرجع ، صفحة ١٩ .

(١٥) كما اشار المؤلفان في بحثهما الأولي لسنة ١٩٦٥ المنشور بمجلة سومر باللغة الانكليزية في العدد الحادي عشر صفحة ٢١ الى انه في الطبقة رقم ــ ٣ اصبح فخار حسونة المحزوز مألوفا جدا ، وان الطراز الساذج قد اختفى ، ولقد ظهر فخار سامراء الملون بكميات كبيرة ، وعثر على نماذج قليلة مدهونة بعد الحرق في الطبقة رقم ــ ٤ ؛ كما عثر على فخار حسونة المحزوز لآخر مرة وكذلك المدهون ، والمدهون مع حزوز . وفخار سامراء هو السائد ، وقد تخلف قليل منه في الطبقة ــ ٤ بتل الصوان ، ولكنه يكفي لاظهار تطور الفخار .

(١٦) الوائلي وابو الصوف ، المرجع السابق . صفحة ٢٢ .

(١٧) احمد سوسة ، ري سامراء ، ١٥٦/٢ والصفحة التي تليها .

مقروناً بعوامل عسكرية تستهدف وقاية البـــلاد من غـــزوات الرومـــان ، اذ كان القطر العراقي مهدداً من جهة شرقي دجلة حيث صار الرومان يسلكون طريق نصيبين أو سنجار أو أرمينية فى غزواتهم للعراق ، فينزلون بسهولة عن طريق السهول الاشورية شرقي دجلة فى المواسم الملائمة حتى باب طيسفون[١٨] .



شكل ٢ ـ برج القائم ونهر القائم

---

(١٨) نفس المرجع ٢/١٥٧ .

ومن المشاريع المهمة التي تم تنفيذها عهدئذ مشروع النهروان[١٩] الذي يتكون في مجموعه من ثلاثة أنهار رئيسية تقع جميعها في شرق دجلة وتأخذ مياهها منه ، وهذه الانهر هي :

١ ــ القائم : أو مجرى النهروان الصيفي ، وهو يتفرع من دجلة فى جنوب مدينة سامراء .

٢ ــ نهر الصنم : او مجرى النهروان الشتوي ، وهو كذلك يتفرع من دجلة فى جنوب سامراء .

٣ ــ القاطول الاعلى : وهو يأخذ مياهه من نهر دجلة في شمالي سامراء[٢٠] .

أما الاول ، وهو نهر القائم ، فيتفرع كما أشار الدكتور احمد سوسة ، من نهر دجلة في نقطة على بعد حوالي ١١ كيلو متراً من جنوبي سامراء (من مدينة الكوت الحالية)[٢١] . (انظر الخارطة رقم ــ ١) وقد زار روس هذه المنطقة فى عام ١٨٣٤ م ووصف برج القائم كما يلي : ــ

« يقع على الضفة الجنوبية من نهر النهروان على حوالي ٢٠٠ ياردة من النهر . وهو مربع صلد ، مبني من الحصى المخلوط بالكلس ، ويحتوي على ٢٤ طبقة افقية ، ارتفاع كل واحدة منها شبران وربع ، وقياس قطرها من القعر ٥ خطوات ونصف »[٢٢] (انظر الشكل رقم ــ ٢) .

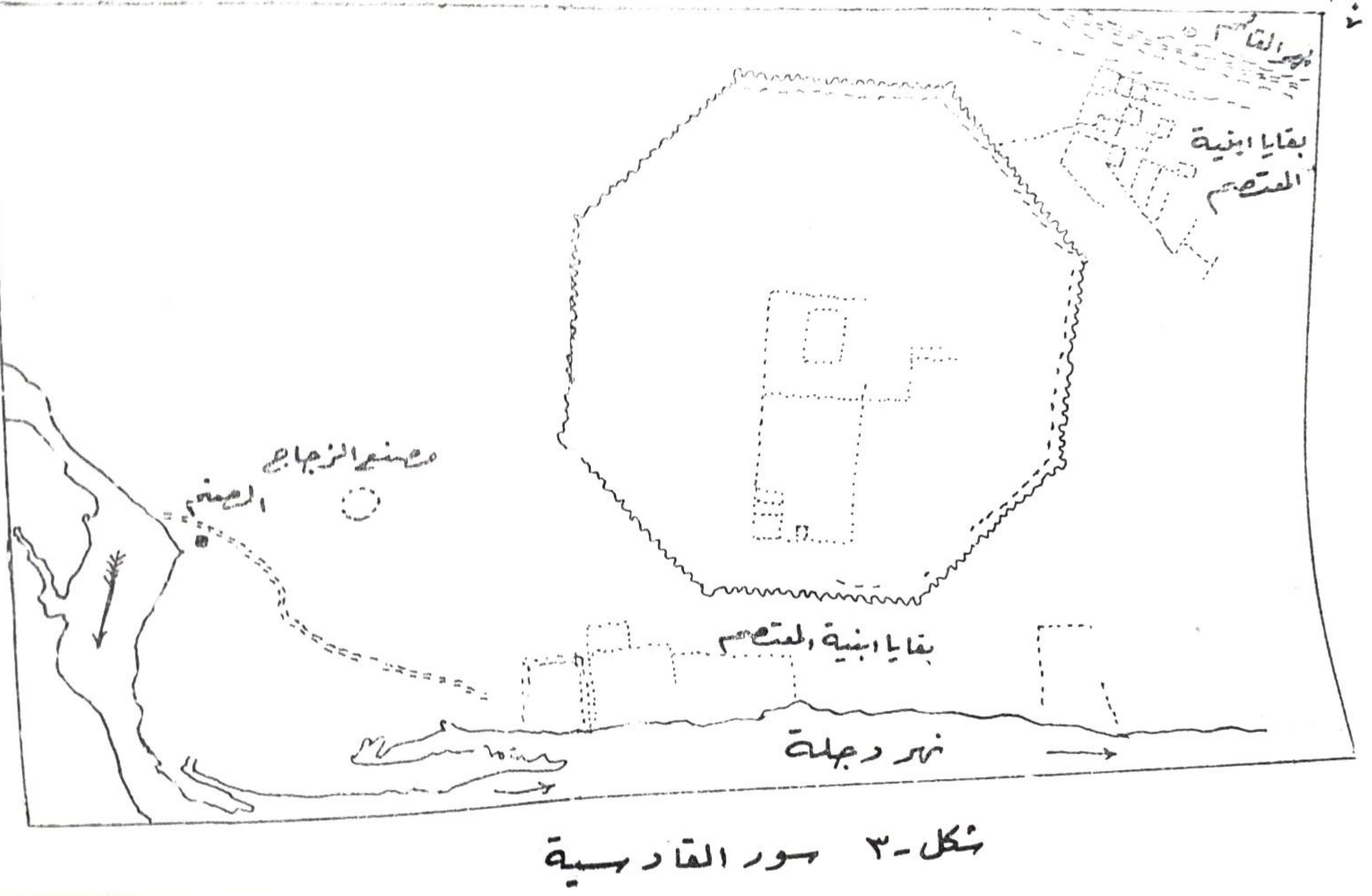
---

(١٩) سمي المشروع نسبة الى نهر النهروان ، وهو نهر يتفرع من نهر دجلة في شمالي مدينة سامراء ويسير بموازاة نهر دجلة متجهاً نحو نهر العظيم فيحيط بذلك بمدينة سامراء من الجهتين الشمالية والشرقية .

(٢٠) يقول ياقوت في المعجم ، ٨٤٦/٤ عن نهر النهروان بأنه ثلاث نهروانات ويسميها بالنهروان الأعلى ، والنهروان الأوسط والنهروان الأسفل .

(٢١) ري سامراء ، ١٤٧/١ .

(٢٢) Journal of the Royal Geographical Society, XI p. 127.
Encyclopaedia of Islam, 2, p. 974.
ويشير سوسة في كتابه ري سامراء ، ١٤٧/١ والصفحة التالية لها ، الى وصف البرج اثناء حديثه عن نهر القائم فيقول « بأن بناء البرج الداخلي بني بالجص والحصى الخشن ، والارجح ان وجه البناء كان مغلقاً بطبقة من الآجر عليها بعض الكتابة وأن الطبقة تخربت او قلعت منها مادة الآجر التي فيها لأستعمالها في ابنية سامراء » .



شكل-٣ سور القادسية

والثاني هو نهر الصنم ، او مجرى النهروان الشتوي ، ويتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع على بعد ستة كيلومترات تقريباً من جنوبي مدخل مجرى القائم ومن أمام «حصن القادسية»[٢٣] مباشرة (شكل ـ ٣)، ولايزال يعرف الموضع الذي يتفرع منه هذا المجرى بالنسبة الـى نهر دجلة بـ « الصنم » ويرجع منشأ هذه التسمية الى عثور الاهالي على صنم فوق الضفة الغربية للمجرى في هذا المكان . ولعل الصنم المذكور كان قد نصب على فم المجرى في نفس الوقت الذي انشيء فيه النهر[٢٤] . ولقد ذكر « روس » هذا الصنم في بحثه فقال : هناك على مقربة من نهر دجلة تل وجـزء من سـور يدعى «طرما» «ومكان الصنم»ومنذ سنوات خلت، حمل الجزء السفلي من تمثال عظيم من الحجر الاسـود ، وهو الآن (يقصد عام ١٨٣٤) في بغداد في حـوزة

← ويختلف الباحثون حول تأريخ هذا البرج ، فقد كتب روس في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية جزء ٦ صفحة ١٢٧ « بأنه على مايظهر عمل أثري غريب يقول الاهالي انه كان دليل ارشاد للقوارب الداخلـة في هذا الفرع من القناة من النهر قبل العصر المحمدي (يقصد الاسلامي) . بفترة طويلة ويرى سوسه كما اوضح في كتابه ري سـامراء ١٤٧/١ أن البرج قديم جداً ويرجح ان البناء الاصلي يرجع الى العصر الذي انشيء فيه النهروان في الأصل واعيد انشاؤه على عهد الرشـيد عندما اعاد الرشيد حفر المجرى نفسه ، ولعل المتوكل أضاف اليه بعض الزخارف او قام بتقويته .

(٢٣) القادسية : اعطى هذا الاسم لعدة أماكن ، الأول ـ كما أشار ياقوت في المعجم ٧/٤ ـ هو المكان الذي يبعد (١٥) فرسخاً عن الكوفة حيـث جرت المعركة الكبيرة بين المسلمين والفرس في عام ١٦ للهجرة ، تحت قيادة سعد بن ابي وقاص في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . والثاني ـ كما أشار ياقوت في معجمه ٩/٤ ـ هو قرية كبـيرة بين حربى وسامراء حيث يصنع الزجاج .

وقد كتب روس عن حصن القادسية عندما زار المنطقة في عام ١٨٣٤ بمجلة الجمعيةالجغرافية الملكية مجلد ٦ صفحة ١٢٧ مايلي : « على بعد ٤٥ ميلاً جنوبي غربي القائم يقف الحصن الساساني القديـم القادسية ... وهو بناء مثمن من الطابوق المفخور بالشمس ، سـمك كل طابوقة (٤) انجات وارتفاعها قدم واحد ، ويقف في كل زاوية بـرج كبير ... » .

(٢٤) احمد سوسة ، ري سامراء ، ١٥٠/١ .

الكولونيل تايلور ، ويضيف « روس » أنه ليس لديه ادنى شك في أن يكـون الجزء الباقي من هذا الصنم مدفونا في مكان ما [٢٥] .

وليس من شك فى أن موضع التقاء فرعي النهروان (القائم والصنم) يؤلف مكاناً عسكريا مهماً ، نظراً للظروف التي رافقت انشاء مشروع النهروان هذا .

اما الفرع الثالث فيسـمى بالقاطول الاعلى ، وقـد سـمي بهـذا الاسم نسبة الى كسرى انو شروان (٣١ هـ ــ ٥٧٩م) الذي يلقب بالعادل ، والذي امر بحفره لارواء الاراضي الواقعة في جنوب سامراء[٢٦] . ويبدأ مجراه من شمالي سامراء متجها نحو الجنوب[٢٧] . ويطلق عليه اليوم اسم « الرصاصي » . وقد سماه العـرب بـ « القاطول الاعـلى » لتمييزه عن القاطول الأسفل « مجرى القائم » الذي سبقت الاشارة اليه [٢٨] .
الاشارة اليه[٢٨] .

وكان على مجرى نهر النهروان عدة جسـور مهمة ، أبرزهـا الجسر الذي اقيم عند مدينة النهروان[٢٩] ، وهي التي تقع على بعد ١٢٠ كيلو متراً جنوبي فم مجرى النهروان ، وسميت أيضاً بمدينة جسر النهروان ، وقد تردد ذكرها في مؤلفات المؤرخين العرب، عند كلامهم على واقعةالنهروان المعروفةالتي إندحر بها الخوارج في عام ٣٨ للهجرة[٣٠] .

اما الجسور التي كانـت على القاطول الاعلى ، فأهمهـا الجسر التأريخي المعروف اليوم باسم « قنطرة الرصاصي » ويقع هذا الجسر على مسافة

---

(٢٥) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ، جزء ٦ ، صفحة ١٢٧ .

(٢٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ١٦/٤ .

(٢٧) سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة ، صفحة ١٢٧ .

(٢٨) احمد سوسة ، ري سامراء ، ٢٠٤/١ .

(٢٩) لقد كانت النهروان ، كما أشار ياقوت في المعجم ٨٤٦/٤ ، مقاطعة كبيرة بين بغداد وواسط على الضفة الشرقية لنهر دجلة .

(٣٠) للتفاصيل انظر المراجع التالية :

الطبري ، ٣٣٦٥/١ ــ ٣٣٩١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤١٠/٤ ــ ٤١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٢٧٣/٣ ــ ٢٩١ .

سبعة كيلو مترات ونصف من فم مجرى القاطول المذكور ، وكان مبنياً بالأحجار البازلتية السوداء ، وقد استعمل الرصاص في بنائه مما حمل الناس على تسميته باسم « قنطرة الرصاصي »[٣١] .

أما المدن الرئيسية التي كانت على مجرى النهروان ، فأن أحسن وصف تأريخي لها وللنهروان نفسه الوصف الذي دونه سهراب في اواخر القرن التاسع الميلادي ، وقد بدأ وصفه من فم القاطول الأعلى فقال : « ويحمل منه (يقصد من نهر دجلة) في شرقيها القاطول الأعلى اوله اسفل دور الحارث بشيء يسير مماس لقصر المتوكل على الله المعروف بالجعفري وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى الأيتاخية وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى المحمودية وعليه هناك جسر زواريق ثم يمر الى الاجمة قرية كبيرة ثم يمر الى الشاذروان ثم يمر الى المأمونية وهي قرية كبيرة ثم الى القناطر ، وهذه قرى عامرة وضياع متصلة ثم يمر الى قرية يقال لها صولي وباعقوبا ويسمى هناك تامرا ثم يمر الى باجسرى ويجيء الى الجسر المعروف بجسر النهروان ويعرف هناك بالنهروان ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ثم يمر الى جسر بوران ثم يمر الى اسكاف بني الجنيد وهي مدينة في جانبين والنهر يشقها ثم يمر بين قرى متصلة وضياع مادة الى أن يصب في دجلة أسفل ماذرايا[٣٢] بشيء يسير في الجانب الشرقي »[٣٣] .

ومن الأعمال المعمارية التي نفذت في موضع سامراء القديم ، قبل عهد المعتصم مشروع الرشيد ، وقد أشار المؤرخون المسلمون الى هذا المشروع في اثناء حديثهم عن اختيار المعتصم لمنطقة سامراء عاصمة له . فقد كتب البلاذري وهو أقرب اولئك المؤرخين عهداً الى تأريخ سامراء فقال :

« ونزلها — يقصد مدينة السلام — أمير المؤمنين المعتصم ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصر الرشيد كان إبتناه حين حفر قاطوله الذي دعاه ابا الجند ليقام ما يسقى من الأراضين بأرزاق جنده »[٣٤] .

---

(٣١) احمد سوسة ، ري سامراء ، ١/١٥٥ .
(٣٢) ماذرايا ، كما قال ياقوت في المعجم ٣٨١/٤ قرية فوق واسط من اعمال فم الصلح مقابل سابس .
(٣٣) عجائب الاقاليم السبعة ، صفحات ١٢٧ — ١٢٨ .
(٣٤) فتوح البلدان ، صفحة ١٢٩ .

والقاطول[٣٥] هو كما أشار ياقوت ، نهر كان في موضع سامراء قبل ان تعمر وكان الرشيد اول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند[٣٦] . والذي يفهم من رواية سهراب[٣٧] أنه كان يأخذ مياهه من دجلة في جنوب مدينة سامراء في مسافة حددها بين المطيرة[٣٨] وبركوارا[٣٩] ، ويتحدث سهراب عنه في اثناء حديثه عن القواطيل الثلاثة التي تأخذ مياهها من دجلة في جنوب سامراء فيقول : « والثالث يقال له أبو الجند وهو الأسفل وهو أجلها وأعمرها شاطئاً يمر بين ضياع وقرى وتتفرع منه أنهار تسقي الضياع التي على شاطىء دجلة الشرقي ويصب اكثرها الى دجلة ثم يمر الى طفر وعليه هناك جسر ثم يمر في القاطول الأعلى فوق صلوى بأربعة فراسخ » .

الواضح من روايتي البلاذري وياقوت[٤٠] أن هارون الرشيد كان أول من حفر هذا النهر ، وان كان ابن عبد الحق قد أشار الى أن نهر القاطول كان في موضع سامراء قبل أن يعمر وأن الرشيد حفره[٤١] . ويرجح الدكتور احمد سوسة رأي ابن عبد الحق في أن النهر كان موجوداً قبل عصر الرشيد، والذي عمله الرشيد هو انه اعاد حفره ، مستدلا على صحة هذا الرأي ما يشاهد اليوم من آثار الحفر الجديد الذي قام به الرشيد ، حيث تدل هذه الآثار على ان الأتربة الناتجة من هذا الحفر وضعت كلها على الجانب الايمن

---

(٣٥) القاطول كما جاء في معجم البلدان ، ١٦/٤ على وزن فاعون وهو من القطل وهو القطع وقد قطلته اي قطعته والقطيل المقطول أي المقطوع .

(٣٦) معجم البلدان ، ١٦/٤ .

(٣٧) عجائب الاقاليم السبعة ، صفحة ١٢٨ ، ويؤيد ياقوت في معجم البلدان، ١٦/٤ ، أن هذا القاطول يقع اسفل القاطول الاعلى .

(٣٨) راجع عن المطيرة الصفحات التالية من هذا الباب .

(٣٩) راجع عن برگوارا الباب الرابع من هذا الكتاب .

(٤٠) قول البلاذري صفحة ٢٩٧ اثناء حديثه عن سفر المعتصم الى منطقة القاطول « فنزل قصر الرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله » وقول ياقوت في المعجم ، ١٦/٤ « وكان الرشيد اول من حفر هذا النهر » .

(٤١) مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع ، ١٠٥٧/٣ .

من النهر وعلى بعد بضعة أمتار من الحافة الأصلية ، وهي تشكل الآن سلسلة تلال عالية تمتد بموازاة الضفة الأصلية على طول النهر(٤٢) .

ويبدو أن الرشيد لم يشيد قصراً فحسب فى القاطول ، وانما كان غرضه بناء مدينة في هذا الموضع ، وهذا واضح في روايتين لكل من الطبري وابن الاثير ، حيث اشارا الى رواية منسوبة الى مسرور الخادم الكبير الذي قال : « سألني المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد ، قال قلت له بالقاطول ، وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم »(٤٣) .

والظاهر ان مدينة الرشيد هذه ، التي اشار اليها المؤرخان الطبري وابن الأثير لم تتم ، إذ أن الرشيد قد ترك العمل بها وتوجه الى الرقة ليدبر منها إخماد ثورة اهل الشام لذا فأن المؤرخين يشيران الى ذلك بصراحة فيقولان : « وبقيت مدينة القاطول لم تستتم »(٤٤) اما المقر الذي اتخذه الرشيد في القاطول فكما يفهم من رواية لياقوت أنه كان على مقربة من اثر عظيم قديم(٤٥) .

انه لمن الغريب جدا ، ان يشير اليعقوبي في مؤلفيه « التاريخ » و « البلدان »(٤٦) ، الى قصر الرشيد او مدينته التي باشر فى بنائها قبل المعتصم فى منطقة القاطول ، ويزداد عجبنا اذا علمنا بأنه ينفي وجود أي عمارة

---

(٤٢) ري سامراء ، ١/٢٣٥ .

(٤٣) الطبري ، ٣/١١٨٠ ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣١٩ .

(٤٤) الطبري ، ٣/١١٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣٩ .

(٤٥) معجم البلدان ، ٣/١٥ .

(٤٦) ومع ذلك فأن اليعقوبي يشير في موضعين من بحثه عن سامراء الى وجود نهرين ، فهو يروي عن تنقل المعتصم من مكان الى آخر متحرياً عن موضع يبني فيه ، ويشير الى انتقاله من باحشما الى المطيرة فيقول «فأقام بها مدة ثم مد الى القاطول فقال هذا اصلح المواضع ، فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول » ويقول عن رغبة المتوكل في البناء في الماحوزة عندما اشار اليه مرافقوه « وقيل له ان المعتصم قد كان على ان يبني ها هنا مدينة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم » .

فى موضع سامراء القديم ماعدا دير للنصارى فيقول فى رواية عن احمد بن أبي يعقوب « كانت سر من رأى في متقدم الأيام صحـراء من أرض الطيرهان لا عمارة فيها ، وكان بها دير للنصارى بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة » .

أما المسعودي ، فأنه لا يشير فى كتابه « المروج » الى منشآت الرشيد في منطقـة القاطول ، وانما يشير الى انه كانت في هذه المنطقة « قرية يسكنها خلق من الجرامقة[٤٧] وناس من النبيط على النهر المعروف بالقاطول »[٤٨] . اما في كتابه « التنبيه والاشراف » فانه يشير صراحة الى وجود قصر الرشيد أثناء حديثه عن انتقال المعتصم الى سامراء فقال عنه بأنه « نزل قصراً كان للرشيد هنالك »[٤٩] .

واذا سألنا أنفسنا أين مكان القصر الذي أقامه الرشيد ؟

وأين مكان المدينة التي أشار بعض المؤرخين العرب الى أن الرشيد شرع فى تشييدها ولكنه لم يتمها ؟

من الجدير بالذكر ان نوضح هنا ، بانه من الصعوبة بمكان الاجـابة على مثل هذه الاسئلة وغيرها التي تخص جغرافية منطقة سامراء القديمة ، اذ أن هذه المنطقة لم تدرس بعد دراسة علمية موسعة ، وما قام به البروفسور هرزفيلد والبعثة الالمانية للتنقيب فى منطقة سامراء القديمة عمل جليل وعظيم ، بل جدير بتقدير الباحثين . فلقد كان عمله موجهاً في الدرجـة الأولى الـى المنشآت والعمائر الأثرية الشاخصة ، والى الأسـاليب الفنية والزخرفية المستخدمة فى تزيين وتزويق هذه العمائر ، من نقوش ، وصور ، وزخارف جصية ، وكل ما يتعلق بالبناء من أساليب ومواد . أما دراسة المنطقة جغرافيا ، تلك الدراسة التي تتناول جغرافية المنطقة وتأريخها في مختلف العصـور

(٤٧) الجرامقة ، ناس نسبوا الى جَرْمَقَ ، وهي كما قال ياقوت في المعجم ، ٢/٦٤ بلدة بفارس . وذكر الاصطخري في المسالك والممالك ، صـفحة ٢٢٩ بانها تقع بين اصبهان ونيسابور .

(٤٨) ٧/١١٩ .

(٤٩) ص٣٥٦ .

التأريخية ، وتتصل بتأريخ الجداول والانهر التي تروي تلك المنطقة فانها لم تعط أهمية كبيرة وبالغة .

وكذلك الحال مع البروفسور كريزويل ، الذي أولى دراسة العمائر الاسلامية فى سامراء أهتمامه فحسب . وهذا ينطبق على فعاليات مديرية الآثار العراقية القديمة العامة ايضاً . أما البحث الذي كتبه الدكتور احمد سوسة ، خبير الري العراقي ، والموسوم بري سامراء فأنه يعد بالغ الاهمية فى دراسة جغرافية سامراء .

إن موقع قصر الرشيد ومدينته يؤلفان مشكلة فى طوبوغرافية سامراء وتأريخها في ذلك العهد . واذا عدنا لمناقشة السؤالين السابقين المتعلقين بقصر الرشيد ومدينته ،فأن الدكتور احمد سوسة يميل الى الأعتقاد بأنهما يقعان في المكان المعروف بأسم « المشرحات » الذي يقع فى شمال شرقي سور القادسية على الضفة اليسرى لمجرى القائم (نهر أبي الجند) وعلى بعد ستة كيلومترات منه . ودليله على ذلك هو انه لايوجد موضع آخر في هذه المنطقة ينطبق عليه الوصف الذي دونه المؤرخون عن القصر والمدينة ، فقد عين المؤرخون موضع القصر والمدينة على القاطول المسمى حالياً نهر القائم بالقرب من صدره، ولاتوجد أطلال على مجرى القائم فى الموضع المشار اليه يصح أن تمثل بقايا قصر مهم كالقصر المذكور غير « اطلال المشرحات » . ويلاحظ أن المؤرخين لما وصفوا موضع قصر الرشيد لم يتطرقوا الى ذكر نهر دجلة في حين أنهم ذكروا أن القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي انشأها على القاطول كانا يطلان على دجلة ، الامر الذي يدل على ان قصر الرشيد ومدينته كانا بعيدين عن دجلة ، وهذا ينطبق تماماً على موقع « المشرحات » المار الذكر ، ويلاحظ أيضاً أن الرشيد لما اعاد حفر نهر ابي الجند (نهر القائم) أمر بوضع كل الأتربة المستخرجة من قعر النهر على الضفة اليمنى ، مما يدل على أنه كان يرغب فى أن يجعل مدينته وقصره يشرفان على النهر المذكور ، لأن وضع الأتربة على الضفة اليمنى التي انشأ فيها قصره ومدينته يكوّن تلولاً عالية تسد منظر النهر عن المدينة والقصر[٥٠] . ومما يدل على أن

---

(٥٠) ري سامراء ، ١/٢٣٩ – ٢٤١ .

قصر الرشيد كان عامراً في زمن المعتصم أن المعتصم بدأ فى حياته إضافة بعض المباني اليه ثم منحه الى اشناس (٥١) • وقد بقي قصر الرشيد هذا على حاله فى عهد المعتصم حتى جاء المتوكل فبنى قصراً جديداً مكانه وأنشأ أمام القصر الجديد البركة الجعفرية المشهورة (٥٢) •

ومن الطبيعي ، فى بيئة مثل التي وصفناها ، تتوافر فيها المياه والانهر والقنوات ، وتمتاز بموقع له اهمية جغرافية وعسكرية خاصة ، أن تنشأ فيه بعض المستوطنات ومراكز السكن ، مثل القرى والاديرة والمدن الصغيرة ، وقد أشار المؤرخون العرب الى بعضها أثناء تناولهم الحديث عن سامراء •

ومن هذه الاماكن ، قطيعة تدعى « الكرخ »(٥٣) ، ونظراً لوجود أماكن عديدة تحمل هذا الاسم فأن المؤرخين أطلقوا عليها « كرخ سامرا » لتمييزها عن بقية الأماكن •

وقد أشار ياقوت اثناء وصفه لكرخ سامراء ، الى انه موضع لمدينة قديمة على ارتفاع من الارض كان يقال له « كرخ فيروز » نسبة الى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك ، وهو اقدم من سامرا ، وحينما بنيت سامرا اتصل بها ، وقد سكنها فى أيام المعتصم الأتراك الشبلية ، وفى هذه المنطقة كان قصر أشناس التركي مولى المعتصم(٥٤) • ولا تزال آثار هذه القطيعة وبقايا ابنيتها ماثلة الى يومنا هذا ، ويمكن مشاهدتها على بعد حوالي عشرة كيلو مترات

---

(٥١) ياقوت ، معجم البلدان ، ١٦/٣ و ١٦/٤ .

(٥٢) احمد سوسة ، المرجع السابق ، ٢٤١/١ .

(٥٣) الكرخ : هناك اماكن عديدة تحمل هذا الاسم ، مثل كرخ باجدا ، وكرخ البصرة ، وكرخ خوزستان، وكرخ بغداد ، وكرخ جدان ، وكرخ سامراء كما ورد في معجم البلدان لياقوت ٢٥٢/٤ ـ ٢٥٧ . أما أصل الكلمة فيشير ياقوت في معجمه ، ٢٥٢/٤ الى انها ليست عربية وانما نبطية ، وهناك من يظن ان اصلها يوناني ثم عربت الى الكرخ وتعني المكان الفسيح .

(٥٤) معجم البلدان ، ٢٥٦/٤ ، هذا وقد اشار ياقوت في نفس المكان الى ان كرخ سامراء لايزال باقياً عامراً الى وقته ، اما سامراء فقد خربت . بينما اشار ابن عبد الحق في كتابه ، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع ، ٤٨٧/٢ (الذي كتبه مؤلفه بعد ياقوت) الى انه لازالت في كرخ سامراء بعض الدور باقية الى عصره ولكنها خالية من السكان .

من شمال مدينة سامراء الحديثة ، حيث لايزال سور فخم من اللبن يعلو خمسة امتار يعرف بـ « سور اشناس » قائماً في ذلك المكان وهو يضم آكاماً يستدل من تناسق مظهرها أنها بقايا قصر كان قد أنشيء ضمن السور ، ويلي هذا السور سور يماثله يقع في الجهة الشمالية الغربية منه يعرف باسم « سور الشيخ ولي » وفي داخل هذا السور بقايا بعض البناء وتسمى البقعة التي يقوم فيها السور باسم « الزنكور »[٥٥] . وقد ذكر البلاذري كرخ فيروز أثناء حديثه عن سامراء فقال « وانزل أشناس مولاه فيمن ضم اليه من القواد كرخ فيروز وانزل بعض قواده الدور المعروفة بالعربايي »[٥٦] .

والذي يبدو مما كتبه المؤرخون ، أن المنطقة التي أنزل المعتصم فيها قواده والمعروفة بالعربايي ، كانت مأهولة قبل عصر المعتصم ، فقد اشار ياقوت الى دير يعرف بدير الطواويس كان عند حدود آخر الكرخ وهذا ما كتبه ياقوت عنه: « وهو بسامرا متصل بكرخ جُدّان يشرف عند حدود آخر الكرخ على بطن يعرف بالبنّي فيه مزدرع يتصل بالدور[٥٧] وبنيانها وهي الدور المعروفة بـ

---

(٥٥) الزنكور : كلمة فارسية معناها مقام النساء ، ويضيف الدكتور احمد سوسة في كتابه ري سامراء ، ١/٥٧ والصفحة التي تليها أنه اذا جاز له أن يبني على هذا المعنى رأياً حول هذا المكان امكن القول بانه كان يشتمل على الابنية المخصصة لعوائل القواد .

(٥٦) فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٧ .

(٥٧) الدور : وهي كما قال ياقوت في المعجم ٦١٥/٢٢ ـ ٦١٦ ، سبعة مواضع بأرض العراق ، أحدها دور تكريت ، وهو بين سامراء وتكريت ، والثاني دور عربايي بين سامراء وتكريت ايضاً ، وفي عمل الدُجيل قرية تعرف بدور بني اوقر وهي المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيي بن هبيرة ، بينها وبين بغداد خمسة فراسخ . والدور ايضاً قرية قرب سَمَيْساط . والدور ايضا محلة نيسابور ، وقرية اخرى تسمى دور حبيب من عمل دجيل ، وفي طرف بغداد قرب دير الروم محلة يقال لها الدور . ومما تقدم نلاحظ ان في منطقة سامراء ثلاثة اماكن تدعى بالدور ، الاول دور تكريت الذي يقع بين سامراء وتكريت ذكر عنه ياقوت في المعجم ٩٤٧/٤ ، انه يقع اسفل قرية هاطري التي تقع اسفل تكريت وسماها « بالدور الاعلى المعروفة بالخربة » وقد سماه ابن حوقل في « المسالك والممالك » صفحة ١٦٦ دور الخَربْ ، وموقعه على بعد ٢٠ كم شمال دور العربايي ، وقد سماه سهراب في كتاب

« دور عربايا » وهو قديم كان منظرة لذي القرنين ويقال لبعض الأكاسرة فأتخذه النصارى ديراً في أيام الفرس »[٥٨].

والى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة ، كانت تقع قرية المطيرة ، وقد قال عنها ياقوت بأنها كانت قرية من نواحي سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء[٥٩] ، ثم اورد رواية نقلها عن البلاذري بيّن فيها ان المطيرة كانت قد أوجدت قبل المعتصم فقال : « وبيعة مطيرة محدثة بنيت في خلافة المأمون ونسبت الى مَطَر بن فزارة الشيباني ، وانما هي مطرية فغيرت الى المطيرة[٦٠] .

ويصعب علينا في الوقت الحاضر تحديد قرية المطيرة ، وذلك لكثرة الخرائب في هذه المنطقة ، ولقد كان من الممكن معرفة موضعها على وجه التحديد اذا عرفنا بالضبط موقع قصر الافشين الذي تفيد النصوص التاريخية بأنه بني في منطقة المطيرة ، الا ان كثرة الخرائب في القسم الجنوبي من سامراء جعل من العسير التعرف على هذا القصر . واذا استعنا بالنصوص التاريخية لتحديد موضع المطيرة ، فأن اليعقوبي يشير الى ان المعتصم اقطع

« عجائب الاقاليم السبعة » صفحة ١٢٧ بدور الحارث . اما ياقوت في معجمه ، ٦١٦/٢ فأطلق عليه اسم « دور سامراء » . أما دور عرَبايا ، فهو قديم كما اشار ياقوت وكان منظرة للاسكندر ذي القرنين ويقال لبعض الأكاسرة ، ثم اتخذه النصاري ديراً في أيام الفرس . اما دور بني اوقر . فكما يفهم من رواية اليعقوبي أنه يقع شمالي بغداد بخمسة فراسخ (أي ما يوازي ٢٥ كيلومتراً) .

(٥٨) معجم البلدان ، ٦٧٥/٢ .

(٥٩) نفس المرجع ، ٥٦٨/٤ . بينما قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع ، « بأن المطيرة قرية من نواحي سامراء كانت من منتزهاتها » .

(٦٠) معجم البلدان ، ٥٦٨/٤ . وقد ايد ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع ، بأنها بنيت في آخر خلافة المأمون وبانيها هو مطر بن فزارة الشيباني فنسبت اليه .

حيدر بن كاوس الأسروشني في آخر البناء مشرقا على قدر فرسخين وسمى الموضع بالمطيرة[٦١] .

واشار اضافة الى ماسبق قوله بأن المتوكل « أنزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة،وانزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقا بموضوع يقال له بلكوارا »[٦٢] . ولما كان قصر بلكوارا قد عين موضعه فى المكان المعروف بـ « المنقور » فى أقصى الجنوب[٦٣] ، أي فى آخر حدود الأبنية من الجنوب ، ولما كان موضع المطيرة بين سامراء وقصر بلكوارا فعلينا ان نبحث عن مكان المطـــيرة في المناطق الواقعة الى شمال قصر بلكوارا . ولقد اشار احمد سوسة بانه من المحتمل ان يكون مكان المطيرة في الموضع الحالي المعروف باسم « ســور الجبرتية » مستدلا بانه لايوجد بناء أعمر منه فى هذه المنطقة[٦٤] .

والظاهر أن منطقة المطيرة كانت تتمتع بميزات تجعلها طيبة السكن : وهذا ما اكده القزويني الذي قال عنها « المطيرة من قرى سامراء أشبه أرض الله بالجنان من لطافة الجو وعذوبة الماء وطيب التربة وكثرة الرياحين »[٦٥] .

ولهذا السبب فقد أقطعها المعتصم اول الامر لقائده المفضل الافشين ، الذي بنى فيها قصرا له ، ويشير اليعقوبي الى أن البناء قد توسع وان الناس قد بنوا من كل ناحية فى جنوب سامراء حتى اتصل البناء بالمطيرة[٦٦] . وحينما مات الافشين منح المعتصم قطيعته وقصره الى وصيف ، وفى هذا الصدد يقول اليعقوبي « فأقطع وصيفا دار أفشين التي بالمطيرة ، وانتقل وصيف عن داره

---

(٦١) البلدان ، صفحة ٢٦٥ ، وقد اورد الشابشتي في « الديارات » صفحة ٩٦ رواية يمكن ان نستنتج منها وقوع المطيرة على مسافة فرسخين (١٠ كيلومترات) الى جنوب سامراء فيقول اثناء حديثه عن دير السوسي « وبين القادسية وسر من رأى اربعة فراسخ والمطيرة بينهما » .

(٦٢) البلدان ، صفحة ٢٦٥ .

(٦٣) مديرية الآثار العراقية القديمة ، سامراء ، صفحة ٦٨ .

(٦٤) ري سامراء ، ١/٦٠ .

(٦٥) آثار البلاد واخبار العباد ، صفحة ٤٦١ .

(٦٦) البلدان ، صفحة ٣٤ .

القديمة الى دار أفشين، ولم يزل يسكنها وكان اصحابه ورجاله حوله وزاد
فى الأسواق »(٦٧) .

وجاء ذكر منطقة المطيرة وقصر الافشين في روايات المؤرخين العرب
بصدد حادثة أسر بابك ، وقد روى كل من الطبري وابن الاثير فى حوادث
سنة ٢٢٣هـ ان الافشين لما صار ببابك الى سامراء انزله في قصره بالمطيرة ،
حين ذهب المعتصم ليراه في جوف الليل(٦٨) .

ووردت بعض الاشارات في مؤلفات المؤرخين العرب تفيد وجود بعض
الاديرة فى منطقة سامراء ، وعلى وجه الخصوص فى جنوبيها ، منها دير يدعى
« دير السوسي » قال عنه الشابُشتي بانه « لطيف على شاطىء دجلة بقادسية
سر من رأى ، وبين القادسية وسر من رأى اربعة فراسخ ، والمطيرة بينهما ،
وهذه النواحي كلها متنزهات وبساتين وكروم والناس يقصدون هذا الدير
ويشربون في بساتينه . وهو من مواطن السرور ومواضع القصف
واللعب »(٦٩) .

والواضح من روايات المؤرخين ان هذا الدير كان موجودا في
سامراء قبل ان يبنيها المعتصم ، فقد روى ياقوت نقلا عن البلاذري بانه
« دير مريم بناه رجل من اهل السوس وسكنه هو ورهبان معه فسمى به
وهو بنواحي سر من رأى بالجانب الغربي »(٧٠) ومما يؤيد صحة ذلك
ما قاله العمري عن هذا الدير حيث روى بانه « في الجانب الغربي بسر من
رأى ، ومنه اراضيها فأبتاعها المعتصم من اهله »(٧١) .

---

(٦٧) نفس المرجع ، صفحة ٣٧ .

(٦٨) الطبري ، ١٢٢٩/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٣٧/٦ — ٣٣٨ . هذا يذكر
المسعودي في المروج ١٧/٧ بأن الافشين انزل بابك بعد وصوله سامراء
بالموضع المعروف بالقاطول على بعد خمسة فراسخ من سامراء .

(٦٩) الديارات ، صفحة ٩٦ .

(٧٠) معجم البلدان ، ٦٧٢/٢ ، ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ٤٣٣/١ .

(٧١) مسالك الابصار في ممالك الامصار ، صفحة ٢٦٢ ..

ودير آخر كان في جنوب سامراء ، يدعى « دير مرمار »(٧٢) ، وكتب عنه الشابُشتي يقول « وهذا الدير بسر من رأى ، عند قنطرة وصيف ، وهو دير عامركثير الرهبان ، حوله كروم ، وشجر ، وهو من المواضع النزهة والبقاع الطيبة »(٧٣) .

وأشار ياقوت الى دير آخر سماه « دير مَرْجُرْجيس » وقد عين موقعه شمال مدينة بلد بثلاثة فراسخ ، أي ما يقرب من ١٥ كيلو مترا من شمالها(٧٤) ، واورد ياقوت كذلك روايتين لديرين آخرين فى منطقة المطيرة ، احدهما سماه « دير ماسرجبيس » حيث قال عنه بانه في المطيرة قرب سامراء(٧٥) . والثاني سماه « دير مَرْماجُرْجُس » قال عنه أنه بنواحي المطيرة(٧٦) .

وهناك دير آخر بمنطقة المطيرة ، وهو « دير عَبْدون » قال عنه ياقوت « هو بسر من رأى الى جنب المطيرة وسمي بدير عبدون لان عبدون أخا صاعد بن مَخْلَد كان كثير الالمام به والمقام فيه فنسب اليه . وكان عبدون نصرانياً واسلم أخوه صاعد على يد الموفق الذي استوزره »(٧٧) .

---

(٧٢) ورد اسمه في المعجم لياقوت ٢/٧٠٠ بشكل « دير مَرْماري » وكتب گورگيس عواد في هامشه على كتاب الديارات للشابشتي صفحة ١٠٤ عن ماري التي سمي الدير باسمها « وماري هذه من اقدم جثالقة المشرق ، جعل مقامه في سلوقية وبنى كنيسة في دير قُنى بالقرب من المدائن وفيها توفي سنة ٨٢ م .

(٧٣) الديارات ، صفحة ١٠٤ ، هذا وقد ردد في معجمه ٢/٧٠٠ نفس ماقاله الشابشتي .

(٧٤) معجم البلدان ، ٢/٦٩٨ .

(٧٥) نفس المرجع ، ٢/٦٩٣ ، هذا بينما سماه ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع ، ١/٤٣٩ « دير ماسرجيس » .

(٧٦) نفس المرجع ، ٢/٦٩٩ ، هذا وقد سماه ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع ، ١/٤٣٩ باسم « دير ماسرجس » .

(٧٧) معجم البلدان ، ٢/٦٧٨ ، واشار عمر بن متى في اخبار فطاركة كرسي المشرق صفحة ٧٥ أن عبدون كان وجه النصارى في وقته بالعراق .



الباب الثاني

المعتصم وسامراء

١ ـ مدخل تاريخي الى العصر العباسي

بنى ابو جعفر المنصور[١] المدينة المدورة التي بقيت عاصمة الدولة العباسية منذ تأسيسها عام ١٤٥ هـ[٢] واقام هو فيها وكذلك ابنه المهدي[٣] ثم الهادي[٤] .

---

(١) ابو جعفر المنصور ، بويع للخلافة في عام ١٣٦ هـ بعد وفاة اخيه ابي العباس الملقب بـ « السفاح » ويعتبر من اعاظم الخلفاء العباسيين ، اذ ثبت اركان الدولة العباسية ، وانتصر على جميع الذين خرجوا على ارادة الدولة في عهده . وبنى بغداد ، التي تسمى بمدينة السلام أحياناً ، وتدعى احياناً بـ « مدينة المنصور المدورة » ومات وهو في الحج عام ١٥٨ هـ ودفن بمنطقة بئر ميمون حيث مات . يراجع للتفاصيل ، الطبري ، ٨٨/٣ ـ ٤٥١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ١٥٦/٦ ـ ٢٢٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢٩٣ ، بينما يذكر اليعقوبي تاريخين مختلفين ففي كتابه ، التاريخ ، ٤٤٩/٢ يشير الى عام ١٤٤ هـ . بينما يشير في كتابه ، البلدان ، صفحة ٢٣٨ الى سنة ١٤٠ هـ . ويروي الطبري في تاريخه ، ٢٣٦/٦ ـ ٢٣٨ ، اربع روايات واحدة منها تشير الى ابتداء العمل في عام ١٤٤ هـ ، ويشير المسعودي في التنبيه والاشراف، صفحة ٣٤١ الى سنة ١٤٥ هـ . ويؤيد المقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ١٢١ ، تأريخ البناء في عام ١٤٥ هـ . ويشير الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، ٦٦/١ ـ ٦٩ في روايتين الى عام ١٤٥ هـ وفي رواية ثالثة له ، ٦٧/١ يشير بانها بنيت بعد سنة ١٤٤ هـ . هذا بينما يخالف الدينوري في الاخبار الطوال جميع هؤلاء المؤرخين ففي صفحة ٣٧٩ ، يعطي وقتاً مبكراً لتاريخ بناء المدينة المدورة حيث يشير الى عام ١٣٩ هـ .

(٣) المهدي ، وهو ابن المنصور ، بويع للخلافة في سنة ١٥٨ هـ بعد وفاة والده ، وتوفي في سنة ١٦٩ هـ بقرية من قرى ماسبذان . للتفاصيل يراجع تاريخ اليعقوبي ، ١٠٤/٢ ـ ١١٣ ، الطبري ٤٥١/٣ ـ ٥٤٤ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٢٤/٦ ـ ٢٦٠ .

(٤) الهادي ، بويع للخلافة سنة ١٦٩ هـ بعد وفاة والده المهدي وتوفي في عيسا باذ سنة ١٧٠ هـ . للتفاصيل يراجع تاريخ اليعقوبي ، ١١٣/٢ ـ ١١٥ ، الطبري ٥٤٤/٣ ـ ٥٦٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٦١/٦ ـ ٢٨٧ .

ولما جاء هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ — ٧٨٦م [٥] ، فضل الأقامة فى قصر الخُلْد[٦] الذي يقع على نهر دجلة ، خارج أسوار المدينة المدورة . وأقام زمناً بالرقة[٧] في الشام[٨] ، وفي عام ١٩٣ هـ — ٨٠٨ م توفي الرشيد بطوس[٩] وكان قد سار من الرقة فى عام ١٩٢ هـ الى بغداد يريد خراسان لمقاتلة رافع بن الليث[١٠] ، واستخلف إبنه الأمين[١١] . وكان الرشيد قد عين ولديه الأمين ثم المأمون وليين للعهد من بعده ، وكتب شروط ذلك وعلقها فى الكعبة[١٢] .

---

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١١٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٦/٢٨٧ .

(٦) قصر الخلد ، بناه المنصور كما يروي الخطيب في تاريخ بغداد ١/٨٠
في سنة ١٥٨ ، والراجح انه سمى بالخلد تشبيها له بجنة الخلد كما
قال ابن الجوزي في المناقب صفحة ١٢ ، التي ورد ذكرها في القرآن
سورة الفرقان الآية ١٦ . ونزل به المنصور في نفس السنة .

(٧) الرقة ، وهي كما أشار ياقوت في معجم البلدان ٢/٨٠٢ ، مدينة مشهورة
على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة في بلاد الجزيرة لانها
من الفرات الشرقي .

(٨) ابن الطقطقي ، صفحة ٣١٩ .

(٩) تاريخ اليعقوبي ، ٢/١٣٣ ، الدينوري ، صفحات ٣٨٧ — ٣٨٨ ،
الطبري ٣/٧٣٧ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٦/٤١٥ و ٦/٢٨٧ —
٢٨٨ . ويراجع ايضاً عن مرض الرشيد الذي ادى الى وفاته في مروج
الذهب ، ٦/٣٥٦ .

(١٠) رافع بن الليث كما اشار الدينوري صفحة ٣٨٧ ، انه ثار في عهد
الرشيد ، وسبب ثورته أن والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان
اساء السيرة واضطهد العرب وجار عليهم فخرج عليه رافع فحاربه
وانحاز اليه بعض اهل خراسان حتى بلغ عدد من معه ٣٠ الف مقاتل
في سمرقند ، ولما سمع الرشيد عزل علي بن عيسى وعين مكانه هرثمة
ابن أعْيَن ثم خرج الرشيد بنفسه الى خراسان ليتولى حرب رافع بعد
ان استخلف ولده الامين على بغداد .

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/١٤١ .

(١٢) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٨٣ ، ويضيف الدينوري بان
الرشيد اتفق على ان يقيم الامين بدار الخلافة (بغداد) ويتولى المأمون
خراسان . انظر للتفاصيل الطبري ، ٣/٧٧٧ ، المسعودي ، مروج
الذهب ، ٦/٣٢٦ .

ولما توفى الرشيد ، كان المأمون بمدينة مرو[١٣] ، والأمين في مدينة السلام « بغداد »[١٤] ، فبويع الأمين ــ واسمه محمد بن هارون ــ فى اليوم الذي مات فيه والده الرشيد[١٥] فى عسكره بطوس[١٦] .

ولم يستمر وفاق الأخوين طويلاً إذ ظهرت بوادر الخلاف بينهما فى السنة الاولى كما أشار الطبري[١٧] .

والذي يبدو ان الفضل بن الربيع ، وزير الأمين ، كان المحرض الذي سعى لدى الأمين على العمل على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وجعل ابنه موسى مكانه[١٨] . ولم يكن الأمين ، كما أشار الطبري ، يميل فى أول الأمر الى خلع أخيه إذ كان يريد الوفاء له[١٩] . غير أن الحاح وزيره الفضل

---

(١٣) مرو ، كما اوضح ياقوت في المعجم ٥٠٧/٤ بانها من اشهر مدن خراسان ، وان معنى لفظ الكلمة بالعربية « الحجارة البيضاء » .

(١٤) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٨٨ ، الطبري ٧٦٤/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤١٦/٦ .

(١٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤١٦/٦ .

(١٦) الطبري ، ٧٦٤/٣ .

(١٧) الطبري ، ٧٦٥/٣ ، غير ان ابن الاثير يشير في تاريخه ١٥٦/٦ ، كذلك اليعقوبي في تاريخه ١٣٨/٢ ، الى أن بدء الخلاف بين الاخوين بدأ في عام ١٩٤ هـ .

(١٨) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحات ٣٨٩ ــ ٣٩١ ، تاريخ اليعقوبي ، ١٣٨/٢ ويضيف اليعقوبي ان علي بن عيسى بن ماهان كان من المحرضين أيضاً . الطبري ٧٧٧/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٦/٦ ، ابن الطقطقي صفحات ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

(١٩) بينما يذكر الدينوري في الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩١ أن الامين أراد ان يصرف المأمون عن خراسان ويستدعيه الى بغداد ثم يتخلص منه ، ويشير الاسعودي في مروج الذهب ، ٤١٩/٦ ــ ٤٢٠ الى أن الامين همّ بخلع المأمون . والواضح من جميع الروايات ان المقربين الى الامين الذين استشارهم لم يوافقوا على رايه ، فقد وضح الدينوري صفحة ٣٩١ ان خازم بن خزيمة قال للامين بعد ان شاوره في خلع اخيه « لاتحمل قوادك وجنودك على الغدر فيغدروا بك » . وكما اشار المسعودي في المروج ٤١٩/٦ الى قول عبد الله بن خازم للامين « انشدك الله يا امير المؤمنين الا تكون اول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه » .

الذي كان يخشى المأمون ، جعل الأمين يستجيب الى ذلك ، وقد قابل المأمون ذلك بأن قطع البريد عن العاصمة واسقط اسم الأمين من الطراز[٢٠] .

وتأزمت الحال بينهما ، المأمون في خراسان بين أخواله ومؤيديه من الخراسانيين[٢١] ، والأمين في بغداد ، يملك زمام العاصمة وجندها ، وقبل أن تنشب الحرب بينهما ، جرت مراسلات للصلح فتبادل الشقيقان عدة رسائل[٢٢] لم تحسم الخلاف بينهما ، مما اضطر الأمين الى ارسال جيش كبير بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وكان طاهر بن الحسين ، وهو من المؤيدين للمأمون مقيما في الري ، وبعد حرب كبيرة انتصر طاهر بن الحسين على جيش علي بن عيسى وقتله ، فتم بذلك النصر الأول للمأمون[٢٣] .

وفي عام ١٩٥ هـ ـ ٨١٠ م أرسل الامين جيشا آخر تحت قيادة عبد الرحمن بن جبلة الى همدان[٢٤] ، وبعد معارك كثيرة مع جيش طاهر قتل خلالها عبد الرحمن ، فأنتصر طاهر للمرة الثانية[٢٥] . وقد امر المأمون

---

(٢٠) تأريخ اليعقوبي ١٣٨/٢، الطبري ٧٧٧/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٦/٦ .

(٢١) الخراسانيين ، نسبة الى خراسان ، وهي كما اشار ياقوت في المعجم ٤٠٩/٢ بلاد واسعة اول حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها مما يلي الهند ، وتشتمل على عدد من المدن منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان وابيورد وسرخس ، وقد فتحت اكثر هذه البلاد عنوة وصلحا في عام ٣١ هـ في أيام الخليفة عثمان بن عفان .

(٢٢) نجد نصوص الرسائل في الدينوري صفحات ٣٩٠ ـ ٣٩١ ، الطبري ٧٨٤/٣ ـ ٧٩١ ، ابن الطقطقي صفحة ٢٩٣ .

(٢٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحات ٣٩١ ـ ٣٩٣، تاريخ اليعقوبي ١٣٨/٢ ـ ١٣٩ ، الطبري ، ٧٩٧/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٢١/٦ ـ ٤٢٣ ، ابن الطقطقي ، صفحة ٢٩٤ ـ ٢٩٦ .

(٢٤) همذان ، وهي كما اشار ياقوت في المعجم ٩٨١/٤ اكبر مدينة بالجبل فتحها المغيرة بن شعبة عام ٢٤ هـ .

(٢٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩٤ في تاريخ اليعقوبي ١٣٩/٢ ، الطبري ، ٨٢٦/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٧٠/٦ ـ ١٧٢ .

بعد ان وصله خبر مقتل علي بن عيسى بن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة بأن يخطب له في المساجد وان يخاطب بأمير المؤمنين(٢٦) .

ولقد سارعت بعض المدن والاقاليم الاسلامية الى خلع الامين ومبايعة المأمون ، فمثلاً خلع داود بن عيسى ، وهو عامل الأمين على مكة والمدينة ، الأمين وبايع المأمون(٢٧) .

وفي عام ١٩٧ هـ — ٨١٢ م تحركت جيوش المأمون من خراسان الى بغداد بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة وزهير بن المسيب(٢٨) ، ولم يستطع الأمين ان يصمد طويلا امام جيوش أخيه ، فتمكن طاهر بن الحسين من حصار الأمين وعائلته داخل القصر وقطع عنه الماء والزاد(٢٩) ، وبعد ان ضاق الخناق على الأمين ، خرج قاصداً الجانب الشرقي من بغداد ، فألقى عليه القبض(٣٠) ، ثم قُتِل(٣١) في عام ١٩٨ هـ — ٨١٣ م(٣٢) . ودخل طاهر بن الحسين بغداد ونادى للمأمون بالخلافة(٣٣) .

ومكث المأمون بعد مقتل أخيه في مرو حتى عام ٢٠٢ هـ — ٨١٧ م ، حيث توجه الى العراق(٣٤) ، ونزل الرصافة ثم تحول منها الى قصره على

---

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ١٧٧/٦ .

(٢٧) نفس المرجع ١٨٤/٦ .

(٢٨) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩٥ ، تاريخ اليعقوبي ، ١٤١/٢ ، الطبري ، ٨٦٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٨٨/٦ ، ابن الطقطقي ، ٢٩٦ — ٢٩٧ .

(٢٩) الطبري ،٩٠٨/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٤٣/٦ — ٤٧٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٤/٦ .

(٣٠) تاريخ اليعقوبي ، ١٤١/٢ ، الطبري ، ٩١١/٣ — ٩٢١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٧٨/٦ .

(٣١) تاريخ اليعقوبي ، ١٤١/٢ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩٥ ، الطبري ، ٩٢٢/٣ — ٩٢٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٨١/٦ — ٤٨٢ .

(٣٢) الدينوري ، الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩٥ .

(٣٣) نفس المرجع ، صفحة ٣٩٥ — ٣٩٦ .

(٣٤) تاريخ اليعقوبي ، ١٤٨/٢ ، الطبري ، ١٠١٥/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٢٤٥/٦ . هذا ولابد ان نشير هنا الى ان ابن الاثير يذكر تاريخين مختلفين لموعد توجه المأمون الى العراق الاول في سنة ٢٠٢ هـ ، والثاني في سنة ٢٠٤ هـ .

شاطىء دجلة[٣٥] • وبقيت بغداد عاصمة الدولة العباسية طيلة حكم المأمون •

وفي عام ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م ، خرج المأمون ومعه أخوه أبو اسحاق (المعتصم) الى بلاد الروم[٣٦]، والظاهر من روايات المؤرخين انه اصيب بمرض أدى الى وفاته على نهر البدندون[٣٧] ، في رجب سنة ٢١٨ هـ[٣٨] ـ فحمله أخوه المعتصم وولده العباس ودفناه بطرسوس[٣٩] • في دار خاقان خادم الرشيد[٤٠] •

٢ـ عصر المعتصم

المعتصم هو محمد بن الخليفة هارون الرشيد بن الخليفة المهدي بن الخليفة أبي جعفر المنصور[٤١] مؤسس مدينة بغداد ، وكنيته أبو اسحاق، وامه تدعى ماردة[٤٢] بنت شبيب[٤٣] •

---

(٣٥) الرصافة ، اسم لاماكن متعددة ، والمقصود هنا رصافة بغداد ، أي الجانب الشرقي منها ، وهي كما اشار ياقوت في المعجم ٢/٧٨٣ ، نشأت لما بنى المنصور مدينته وامر ابنه المهدي ان يعسكر في الجانب الشرقي وان يجعلها معسكراً له ، فالتحق الناس بها وصارت مقدار مدينة المنصور ، وعمل المهدي بها جامعاً اكبر من جامع المنصور واحسن وبلصق الجامع مقابر الخلفاء لبني العباس وبلصقها محلة أبي حنيفة الامام وبها قبره .

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٥٣ .

(٣٧) البدندون ، وهي كما اشار ياقوت في المعجم ، ١/٥٣٠ ، قرية بينها وبين طرسوس مسيرة يوم .

(٣٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ٧/١٠١ .

(٣٩) طرسوس ، وهي كما اشار ياقوت في المعجم ٣/٥٢٦ مدينة من ثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

(٤٠) تاريخ اليعقوبي ، ٢/١٦٢ ، الطبري ، ٣/١١٤٠ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٧/١٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣٠٤ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢/٤٣ .

(٤١) تاريخ اليعقوبي ، ٢/١٦٢ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٠٢ ـ ١٠٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٧٣ .

(٤٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٢ ، الطبري ، ٣/٧٥٨ .

(٤٣) المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٠٣ .

بويع للخلافة في اليوم الذي توفى فيه اخوه[٤٤] المأمون على عين البدندون في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب عام ٢١٨ هـ — ١٠ آب ٨٣٣ م[٤٥] .

والظاهر من النصوص التأريخية أن المأمون قد اوصى بالخلافة من بعده لاخيه المعتصم فقد روى الطبري : « ولما اشتدت بالمأمون علته بعث الى ابنه العباس وهو يظن انه لن يأتيه فأتاه وهو شديد المرض متغير العقل وقد نفذت بما نفذت له في أمر أبي اسحاق بن الرشيد ، فأقام العباس عند ابيه أياماً ،

وقد اوصى ذلك الى أخيه ابي اسحاق وقيل لم يوص الا والعباس حاضر والقضاة والفقهاء والقواد والكتاب »[٤٦] .

ولم يرض الجند في أول الامر مبايعة المعتصم ، إذ تفيد بعض النصوص التأريخية أنهم شغبوا وتجمعوا وطالبوا بالعباس بن المأمون فأرسل المعتصم اليه وأخذ منه البيعة له ، ثم خرج العباس الى الجند فقال لهم : « ماهذا الحب البارد قد بايعت عمي وسلمت الخلافة اليه فسكن الجند »[٤٧] .

---

(٤٤) المسعودي ، مروج الذهب ١٠٢/٧ ، الفخري ، صفحة ٣٠٦ ، بينما يشير الدينوري في الاخبار الطوال صفحة ٣٩٦ على خلاف المؤرخين المسلمين الى أن المأمون كان قد بايع لابنه العباس بولاية العهد من بعده ، فلما مات المأمون جمع المعتصم اليه وجوه القواد والاجناد ودعاهم الى بيعته فبايعوه .

(٤٥) تاريخ اليعقوبي ١٦٣/٢ ، الطبري ١١٦٤/٣ ، المسعودي في المروج يذكر يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب .

(٤٦) ١٣٥/٣ — ١٣٦ . ثم يورد الطبري في الصفحات ١١٣٦ — ١١٣٨ ، نص الوصية التي بعث بها المأمون الى الاقاليم والولايات بخصوص استخلاف المعتصم ، ويذكر ابن الاثير في الكامل ٣٠٢/٦ انه لما مرض المأمون امير المؤمنين امر ان تكتب الى البلاد الكتب بهذه الصيغة : « من عبد الله المأمون امير المؤمنين واخيه الخليفة من بعده ابي اسحاق بن هارون » ويضيف ابن الاثير انه اوصى الى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد ثم يورد نص الوصية في الصفحة ٣٠٢ .

(٤٧) الطبري ١١٦٤/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣١٠/٦ . ويروي المسعودي في مروج الذهب ، ١٠٣/٧ « وكان بينه وبين العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في الامر ثم انقاد العباس الى بيعته » وينظر تاريخ اليعقوبي ١٦٣/٢ .

وامر المعتصم وهو بمرو بهدم ما بنى من مدينة طوانة التي كان المأمون قد أمر ببنائها ، وحمل مافيها من المادة والآلة واحرق الباقي ، وصرف اهلها وساكنيها الى بلادهم . ثم توجه الى بغداد ومعه ابن أخيه العباس فوصلها في اول شهر رمضان سنة ٢١٨ هـ [٤٨] .

وكان اول عمل بدأ به المعتصم عند وصوله بغداد ، هو اعداد العدة لمجابهة خطر ثورة بابك الخرمي ، والذي يظهر من روايات المؤرخين ، أن جذور حركة بابك كانت تمتد الى فترة سابقة لعصر المعتصم ، وتؤيد نصوص تلك الروايات أن خروجه على نظام الدولة العباسية كان في سنة ٢٠١ هـ بمنطقة أرّان[٤٩] وبيلقان[٥٠] حيث كثر اتباعه ومؤيدوه فيها .

وسميّ بالخرمي ، نسبة الى حركة الخرمية التي وجدت بعد موت مزدك ، وقادت زوجته المسماة خرمة الحركة من بعده وساعدت على انتشارها، لذا عرفت هذه الحركة بالخرمية نسبة الى اسم هذه المرأة[٥١] .

وحينما جاء المعتصم للخلافة ، أرسل جيشاً بقيادة محمد بن يوسف المعروف بابي سعيد الى أردبيل ، حيث انتصر على بابك ، وكانت هذه اول معركة يخسر فيها بابك[٥٢] . ووجه المعتصم في جمادى الآخرة سنة ٢٢٠ هـ قائده الافشين[٥٣] ، وعسكر في بَرزند[٥٤] وجرت معركة بين الافشين وبابك في أرشق هرب على اثرها بابك الى البَدّ[٥٥] .

وجه المعتصم في سنة ٢٢٢ هـ ــ ٨٣٦ م بمدد الى الافشين بقيادة جعفر بن دينار الخياط[٥٦] ، وكان من إهتمام المعتصم بحرب بابك ان نظم

---

(٤٨) الطبري ٣/١١٦٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣١٠ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ٢/٤٤ .

(٤٩) أرّان ، اسم لولاية واسعة وبلاد كثيرة كما ذكر ياقوت في معجمه ١/١٨٣ .

(٥٠) بيلقان ، مدينة قرب الدربند تعد في ارمينيا الكبرى وقد غزاها التتر في سنة ٤١٧ هـ وقتلوا كل من وجدوه بها كما ذكر ياقوت في معجمه ١/٧٩٧ – ٧٩٨ .

(٥١) Encyclopaedia of Islam 2, p. 974

(٥٢) الطبري ٣/١١٧١ ، ابن الاثير الكامل ٦/٣١٥ .

(٥٣) الطبري ٣/١١٧٠ – ١١٧١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٧/١٢٣ .

(٥٤) الطبري ٣/١١٧١ – ١١٧٣ .

(٥٥) البذ ، كما جاء في المعجم لياقوت ١/٥٢٩ ، كورة بين اذربيجان وأرّان .

(٥٦) الطبري ٣/١١٩٤ – ١١٩٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣٢٥ .

وسائل الطرق بين العاصمة سامراء وبين قائده الافشين لكي توافيه الاخبار بسرعة[٥٧] .

وفي يوم الجمعة المصادف ٢٠ رمضان من سنة ٢٢٢ هـ ــ ٨٣٦ م فتحت البذ[٥٨] مدينة بابك ، وهرب هو مع نفر من اهله واصحابه[٥٩] متوجها الى جبال ارمينيا حيث استطاع سهل بن سنباط ان يقبض عليه ويبعث به الى الافشين[٦٠] . وكتب الافشين الى المعتصم يخبره باسر بابك واخيه عبد الله ، فأمر المعتصم بالقدوم بهما عليه[٦١] .

وصل الافشين ، القائد المنتصر ، سامراء يوم الخميس المصادف ٣ صفر سنة ٢٢٣ هـ ــ ٨٣٧ م [٦٢] ، مع بابك واخيه وكان المعتصم يوجه الى الافشين كل يوم من وقت مغادرته برزند حتى وصوله سامراء فرساً وخلعة[٦٣] .

وكان في استقبال الافشين عند وصوله ، هارون بن المعتصم واهل قصره بالمطيرة[٦٤] . ويشير الطبري ان المعتصم لم يصبر على رغبته في رؤية بابك ، فخرج من قصره وجاء الى قصر الافشين بالمطيرة ، ودخل على بابك متنكراً .

وفي اليوم التالي ، وضع بابك فوق فيل ليراه الناس ، واقتيد من المطيرة الى باب العامة ، والناس على جانبي الطريق ، حيث احضر الى الخليفة المعتصم في دار العامة ، وامر المعتصم بعد ذلك بقتله[٦٥] ، ثم صلب بدنه

---

(٥٧) الطبري ٣/١٢٢٩ .
(٥٨) الطبري ٣/١١٩٧ .
(٥٩) الطبري ٣/١٢١٨ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٢٣ ــ ١٢٤ .
(٦٠) الطبري ٣/١٢٢٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٢٤ ــ ١٢٦ .
(٦١) الطبري ٣/١٢٢٨ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٢٧ .
(٦٢) الطبري ٣/١٢٢٩ ــ ١٢٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٣٧ .
(٦٣) الطبري ٣/١٢٢٩ ــ ١٢٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٣٧ .
(٦٤) الطبري ٣/١٢٢٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٧/١٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٣٧ ــ ٣٣٨ .
(٦٥) الطبري٣ ٣/١٢٣٠ ــ ١٢٣١ ، المسعودي مروج الذهب ٧/١٣١ ، ابن الاثير ٦/٣٣٨ .

بسامراء عند العقبة وموضع خشبته مشهور[٦٦] .

ثم حُمل أخوه عبد الله الى بغداد ، وفَعَل به اسحاق بن ابراهيم حاكم بغداد مثل ما عمل بأخيه بابك ، وصلب في الجانب الشرقي بين الجسرين[٦٧] . واكرم المعتصم الافشين ، ومنحه ٢٠ مليون درهم له ، منها عشرة ملايين درهم للافشين نفسه ، وعشرة ملايين درهم لجنده ، وادخل عليه الشعراء يمدحونه[٦٨] .

وفي سنة ٢١٩ هـ ـ ٨٣٤ م ثار محمد بن القاسم بن عمر بن علي بالطالقان في خراسان ، وكان يدعو الى آل علي ، واجتمع اليه ناس كثير ، وجرت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر معارك بمنطقة الطالقان وجبالها هُزم هو واصحابه واستقر بمدينة نسا ، حيث قبض عليه حاكمها وارسله الى عبد الله بن طاهر فبعث به عبد الله بن طاهر الى المعتصم فسجنه في محبس ضيق لدى مسرور الخادم[٦٩] .

في سنة ٢٢٣ هـ ـ ٨٣٧ م هاجم ثيوفيلوس (يرد اسمه في المصادر العربية بأسم توفيل بن ميخائيل) امبراطور الروم ، مدينة زبَطْرة[٧٠] ، فأسر أهلها ثم توجه الى ملطية[٧١] فأغار على أهلها وعلى بعض الحصون الاسلامية ، وسبى النساء المسلمات ، ومثّل بمن وقع في يده من الاسرى

---

(٦٦) الطبري ٣/١٢٣٠ ـ ١٢٣١ ، يذكر المسعودي في مروج الذهب ١٣١/٧ ان بابك صلب على خشبة طويلة في اقاصي عمارة سامراء وموضعه مشهور بخشبة بابك .

(٦٧) الطبري ٣/١٢٣١ ، ابن الاثير ٦/٣٣٨ .

(٦٨) الطبري ٣/١٢٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٣٨ .

(٦٩) الطبري ٣/١١٦٥ ـ ١٢٦٦ ، ابن الاثير ٦/٣١٢ .

(٧٠) زبطرة ، كما قال ياقوت في المعجم ٢/٩١٤ ـ ٩١٥ مدينة تقع بين ملطية وسميساط .

(٧١) ملطية ، كما قال ياقوت في المعجم ٤/٦٣٤ من بناء الاسكندر تتاخم الشام ، وفي سنة ١٤٠ هـ وجه المنصور عبد الوهاب بن ابراهيم لبناء ملطية فأقام فيها سنة حتى بناها .

بأن سمل عيونهم وقطع آذانهم وانوفهم[٧٢] أما سبب هذا الهجوم فتوضحه بعض النصوص[٧٣] كما يلي :

أن الافشين حين حاصر بابك وضيق عليه الخناق ، وشعر بالضعف ، كتب بابك الى الامبراطور البيزنطي توفيل بن ميخائيل ، يعلمه ان « ملك العرب قد وجه عساكره اليه حتى وجه خياطه (يعني جعفر بن دينار) وطباخه (يعني إيتاخ) فأن اردت الخروج اليه ليس في وجهك أحد يمنعك »[٧٤] .

وقد استنتج الطبري بصورة دقيقة بأن غرض بابك من وراء ذلك كان لتخفيف الضغط المتزايد عليه من ناحية ولكي يقسم جيش الخليفة المعتصم بواسطة فتح جبهة جديدة[٧٥] .

وحينما وصلت انباء مهاجمة زبطرة الى سامراء ، استعظم المعتصم هذا الهجوم ، ووجه عُجيف بن عنبسة وعمرا الفرغاني ومحمد كوته وجماعة من القواد الى زبطرة اعانة لاهلها ، فوجدوا ان ملك الروم قد تركها وانصرف الى بلاده ، ومكثوا فيها قليلاً حيث عاد الى المدينة والى القرى المحيطة بها بعض من هرب من اهلها[٧٦] .

وفي سنة ٢٢٣ هـ ــ ٨٣٧ م [٧٧] وبعد ان انتهى المعتصم من حركة بابك وتخلص منه ، تجهز جهازاً للحرب ، لم يتجهز مثله خليفة من قبل ، وقسم جيشه بما هو معروف عن تقسيم الجيش الاسلامي ، الى مقدمة بقيادة

---

(٧٢) تاريخ اليعقوبي ١٦٤/٢ ، الطبري ١٢٣٤/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ١٣٣/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٣٩/٦ .

(٧٣) الطبري ١٢٣٥/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ١٣٣/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٣٩/٦ .

(٧٤) الطبري ١٢٣٤/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٣٩/٦ .

(٧٥) الطبري ١٢٣٥/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٣٣/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٣٩/٦ .

(٧٦) الطبري ١٢٣٥/٣ ـ ١٢٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٤٠/٦ .

(٧٧) يشير الطبري ١٣٦/٣ وابن الاثير ٣٣٩/٦ الى خروج المعتصم لحرب الروم في حوادث سنة ٢٢٣هـ . ومع ذلك فانهما يرويان أن هناك بعض من قال بان خروجه كان في عام ٢٢٢ او ٢٢٤ هـ .

أشناس ومؤخرة بقيادة محمد بن ابراهيم ، وميمنة وعليها ايتاخ ، وميسرة وعليها جعفر بن دينار الخياط ، وفي القلب عجيف بن عنبسة[٧٨] .

ثم وضع الخطط لدخول انقرة ، بأن ارسل الافشين فى جيش واشناس فى جيش آخر ، ووضع الجيش الثالث تحت قيادته ، واصدر اوامره بالتوجه نحو انقرة للاستيلاء عليها[٧٩] . غير ان اهالي مدينة انقرة اخلوا المدينةوهربوا منها عندما سمعوا بقدوم جيش المعتصم[٨٠] .

ودخل جيش اشناس انقرة ، وبعده في يوم لحق به المعتصم ثم انضم اليهما الافشين بعد يوم آخر . ومكثت هذه الجيوش الثلاثة فى انقرة عدة ايام ثم زحفت منها متوجهة نحو مدينة عمورية ، المعتصم في قلب الجيش ، والافشين على الميمنة ، وأشناس على الميسرة ، وحينما وصلوا اسوار المدينة ، وزع المعتصم فرق هذه الجيوش حول تلك الاسوار وبدأ حصار المدينة[٨١] .

وبعد حصار شديد للمدينة ، استطاع المسلمون الدخول اليها من فجوة فى سورها ، واسروا قائد عمورية ياطس[٨٢] . وامر المعتصم فهدمت عمورية واضرمت النيران فيها حتى احرقت ، واقام المعتصم فى هذه المدينة خمسة وخمسين يوماً ثم غادرها نحو طرسوس[٨٣] .

وفي نشوة هذا الانتصار ، اكتشف المعتصم مؤامرة حاكها كبار قواده وابن اخيه العباس بن المأمون ، وكانت هذه المؤامرة تستهدف اغتيال الخليفة وكبار قواده المقربين اليه ، وتنصيب العباس خليفة بدلاً منه .

وملخص قصة هذه المؤامرة كما يرويها الطبري أنه حينما وجه المعتصم عجيف بن عنبسة الى الروم لم يطلق يده في النفقات كما فعل للافشين ، مما

---

(٧٨) الطبري ٣/١٢٣٦ – ١٢٣٧ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٣٥ .
(٧٩) الطبري ٣/١٢٣٦ – ١٢٣٧ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٣٥ .
(٨٠) الطبري ٣/١٢٤٣ .
(٨١) الطبري ٣/١٢٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٤٣ .
(٨٢) للتفاصل حول دخول المسلمين مدينة عمورية يراجع ، الطبري ٣/١٢٣٤ – ١٢٥٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٣٣ – ١٣٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٣٩ – ٣٤٣ .
(٨٣) ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٤٥ .

جعل عجيف يحقد على المعتصم فأقنع العباس بأن يعملوا على ازالة المعتصم ، فبدءا بالأتصال بكبار القواد حيث عين كل واحد من هؤلاء القادة واحداً من اتباعه ليشترك مع المجموع فى اغتيال المعتصم وكبار قواده الاتراك مثل الافشين واشناس وغيرهما[٨٤] •

غير أن خيوط المؤامرة كشفت بعد حين من اعدادها ، والقى رجال المعتصم القبض على مدبريها ومعهم العباس بن المأمون الذي اعترف لعمه بكل ماله علاقة بهذه المؤامرة ، وسلم الخليفة ابن اخية العباس الى الافشين الذي سجنه حتى مات فى السجن[٨٥] •

وفى عام ٢٢٤ هـ ــ ٨٣٨ م خرج ثائر آخر على سلطة المعتصم هـو مازيار بن قارون بطبرستان[٨٦] •

كان مازيار أحد امراء طبرستان ، وقد عينه الخليفة المأمون والياً عليها ولقبه باسم محمد • وسمح له بأن يحتفظ بلقب « مولى امير المؤمنين » حيث كان يراسل كلاً من الخليفتين المأمون والمعتصم بهذا اللقب •

لم يكن مازيار مخلصا لسيده الخليفة ؛ وقد ابقى عليه كل من المأمون والمعتصم اذ لم يكن لهما الخيار في الأبقاء عليه نظراً للظروف القاسية التي كانا يعانيان منها فى مناطق أخرى من الدولة الاسلامية[٨٧] •

وتشير بعض النصوص التأريخية ان الافشين كان يكاتب مازيار سراً ، ويدعوه للتمرد ، مما حمل المازيار على الثورة ، ومنع الخليفة عن الخروج كما سيطر على جبال طبرستان[٨٨] •

---

(٨٤) الطبري ٣/١٢٥٦ ــ ١٢٥٧ •

(٨٥) الطبري ٣/١٢٦٠ ــ ١٢٦١ . لتفصيل قصة كل قائد يراجع الطبري ، ٣/١٢٦٤ ــ ١٢٦٧ ، وابن الاثير ، الكامل ٦/٣٤٦ ــ ٣٥٠ •

(٨٦) طبرستان كما قال ياقوت في المعجم ٣/٥٠٢ ، بلاد واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم والغالب على هذه النواحي الجبال ومن بلدانها دهستان وجرجان واستراباد وآمل وسارية وشالوس •

(٨٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٣٣٩ ــ ٣٤٠ ، اليعقوبي ، البلدان ٢٧٦ ــ ٢٧٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ، صفحة ٣٠٩ •

(٨٨) الطبري ٣/١٢٦٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٣٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٥١ •

وحينما وصلت اخبار هذه الثورة الى المعتصم والى عبد الله بن طاهر ، وجه عبد الله بن طاهر الى الثائر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف ووجه قوة اخرى باربعة آلاف مقاتل بقيادة عيّاش بن جَبْلَة ، كما وجه الخليفة المعتصم محمد بن ابراهيم بن مصعب في جمع كثيف[٨٩] .

وجرت عدة معارك بين جيوش المعتصم واتباع مازيار ، إنتصر في النهاية جند الخليفة[٩٠] . وارسله عبد الله بن طاهر اسيراً الى الخليفة مع عدد من رسائل ، يقال ان الافشين كان قد بعث بها الى مازيار محرضاً اياه على التمرد[٩١] .

وكان المعتصم قد أمر قبل وصول مازيار الى سامراء بيوم واحد أن يقبض على الافشين .والذي يبدو من الشواهد التأريخية أن مازيار اعترف بأن الافشين كان يراسله ويحرضه على الثورة[٩٢] .

وعقدت محاكمة عامة في دار الخليفة بسامراء ، وفي حضور القضاة والافشين ، وكان غرض هذه المحاكمة تأكيد الدور الذي لعبه الافشين في ثورة المازيار هذه . وتوفي المازيار في عام ٢٢٥ هـ ــ ٨٣٩ م بعد ان جلد ٤٥٠ سوطاً ثم صلب جسده الى جنب جسد بابك[٩٣] .

أما موت المعتصم فأن جميع المؤرخين يتفقون على أنه كان في سنة ٢٢٧هـ ــ ٨٤١م ، الا انهم لم يذكروا تحديد تأريخ وفاته . فالمسعودي يذكر أن وفاته كانت في ١٩ ربيع الاول ، بينما اليعقوبي والطبري وابن الاثير يشيرون الى

(٨٩) الطبري ١٢٧٥/٣ ــ ١٢٧٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٣٧/٧ .
(٩٠) في حوادث جيوش المعتصم على المازيار يراجع الطبري ١٢٨٤/٣ ــ ١٢٩٨ ، المسعودي ،مروج الذهب ١٣٧/٧ ومابعدها .
(٩١) الطبري ١٢٩٨/٣ .
(٩٢) الطبري ١٣٠٣/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٣٨/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٦٢/٦ ــ ٣٦٣ .
(٩٣) الطبري ، المسعودي ، مروج الذهب ١٣٨/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٦٣/٦، ياقوت ، معجم البلدان ٥٠٦/٣ .

تأريخ ١٨ من نفس الشهر(٩٤) . وعلى كل حال ، فأنه دفن في قصر الجوسق الخاقاني حيث كان يقيم فيه(٩٥) .

٣ـ لماذا انتقل المعتصم من بغداد ؟

يظهر من المراجع التأريخية المختلفة أن المعتصم بدأ في تشييد مدينة سامراء فى سنة ٢٢٠ هـ ــ ٨٣٧ م . وبالنسبة الى الدينوري الذي توفي في سنة ٢٨٢ هـ ــ ٨٩٥ م ، فان المعتصم جاء الى بغداد فى سنة ٢١٨ هـ ــ ٨٣٨ م حيث أقام فيها مدة سنتين ثم انتقل بعد ذلك مع جنده الاتراك الى سامراء التي بناها ، وجعل فيها محل إقامته ومركز قيادته العسكرية(٩٦) .

وأعطى اليعقوبي تأريخين مختلفين ، فهو يقول في « البلدان » بأن المعتصم ذهب من طرسوس الى بغداد فى السنة التي استخلف فيها وهي سنة ٢١٨ هـ ــ ٨٣٣ م ، فأقام اول الامر فى بيت المأمون ، ولكن اقيم له بعد ذلك داراً شيد فيالجانب الشرقي من بغداد ، سكنه خلال الفترة ٢١٨ ــ ٢٢١ هـ ــ ٨٣٣ ــ ٨٣٦ م (٩٧) .

واعطى المسعودي تأريخين مختلفين كذلك مثل اليعقوبي(٩٨)، ففيكتابه « التنبيه والاشراف » قال أن المعتصم غادر القاطول في نهاية سنة ٢٢٠ هـ ــ ٨٣٥ م (٩٩) . بينما يقول فى كتابه « مروج الذهب » بأن العمل فى سامراء بدأ فى سنة ٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م (١٠٠) .

ويتفق كل من الطبري وابن الأثير في أن مغادرة المعتصم القاطول كانت فى سنة ٢٢٠ هـ (١٠١) .

---

(٩٤) البلدان ، صفحة ٣٩ ، والتاريخ ٢/١٦٨ ، الطبري ٣/١٣٢٢ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٠٣ والتنبيه والاشراف صفحة ٣٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٧٣ .

(٩٥) المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٠٣ .

(٩٦) الاخبار الطوال ، صفحة ٣٩٦ .

(٩٧) صفحة ٢٥٢ .

(٩٨) ٢/١٦٤ .

(٩٩) صفحة ٣٥٦ .

(١٠٠) ٧/١٢٣ .

(١٠١) الطبري ٧/١١٨٠ ، الكامل ٦/٣٩ .

وحينما وصل المعتصم الى بغداد قادماً من طرسوس ، أقام اولاً فى دار المأمون فى الجانب الغربي من بغداد ، ثم انتقل هو واهل بيته الى دار شيد له في الجهة الشرقية من بغداد[١٠٢] • ولم تشر المراجع العربية الى هذا القصر كما انها لم تصفه[١٠٣] •

ويبدو ان هناك اسبابا عديدة توضح رغبة المعتصم في عدم البقاء ببغداد، وسوف نبحث فى هذه الاسباب فيما بعد فى الصفحات التالية من هذا الفصل • وتوضح المصادر العربية ، أن العامل الرئيسي لانتقال المعتصم من بغداد الى سامراء هو معاملة الجند الاتراك السيئة لسكان بغداد[١٠٤] •

وهؤلاء الجند كانوا في الواقع اضافة جديدة للجيش ظهرت خلال فترة حكم المعتصم ولقد كانت هناك عوامل وظروف كثيرة اثرت على تصميم المعتصم في استخدام الاتراك والجنود الاتراك والجنود الجدد الآخرين ، بعض تلك العوامل موجودة قبل قيام الدولة العباسية ، والبعض الآخر ظهر بعد وفاة والد المعتصم واستمرت اثناء عهد اخيه المأمون[١٠٥] •

ومن تلك العوامل ، عامل الخوف من تعاظم قوة الفرس الذين اخذت آراؤهم السياسية والاجتماعية تنتشر بالتدريج في كل مكان من الامبراطورية •

ولقد كانت حاجة المعتصم لهؤلاء الاتراك وغيرهم من الجند بسبب مقدرتهم العسكرية التي اكتسبوها من موطنهم ، كما رغب فيهم أيضاً لكي

---

(١٠٢) البلدان ، صفحة ٢٥٥ ، الطبري ٣/١١٨٢ .

(١٠٣) ذكر الطبري ٣/١١١ انه اقيم للمعتصم بستان يشتمل على جميع انواع الزهور والنباتات .

(١٠٤) للتفاصيل تراجع المراجع التالية : اليعقوبي ، البلدان صفحة ٢٥٥ وما بعدها ، الطبري ٣/١١٧٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ٧/١٨ ، والتنبيه والاشراف صفحة ٣٥٦ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ٦/٣٦٩ ، ياقوت معجم البلدان ٣/١٦ وما بعدها .

(١٠٥) Ahmed, The Role of The Turks in Iraq during the Caliphate of Mu'tasim 218-227. p. 40.

يقفوا فى وجه العديد من الثورات والانتفاضات ، مثل تلك التي أزعجت أخاه الخليفة والتي سوف تجابهه أيضاً [١٠٦] .

ولقد حصل المعتصم على هؤلاء الجند الاتراك من منطقة شمالي شرقي بلاد فارس واستخدمهم كحرس خاص . وتشير المصادر الى أن المعتصم بدأيجمع الجند الترك خلال خلافة أخيه المأمون ، إذ أن اليعقوبي يروي : « أعلمني جعفر الخشكي قال كان المعتصم يوجه بي في ايام المأمون الى سمرقند الى نوح بن أسد في شراء الاتراك فكنت أقدم عليه فى كل سنة منهم بجماعة فأجتمع له فى أيام المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام فلما افضت اليه الخلافة الح في طلبهم واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس وكان ممن اشترى جماعة منهم اشناس »[١٠٧] .

واستمر المعتصم على الحصول عليهم خلال حكمه وحكم شقيقه ، لذلك فأن العدد ازداد بسرعة الى حوالي (٧٠) الف شخص . ويوضح اليعقوبي أنه عندما اصبح خليفة وأصل بحثه عنهم ، مشتريا العبيد من الناس في بغداد ، ومن ضمن الذين اشتراهم في بغداد مجموعة كبيرة كانت تشتمل على اشناس الذي كان صانعا لسلاسل الدروع ، مملوك بيت نعمان ، وسيما الدمشقي[١٠٨] .

والملاحظة الرئيسية هنا ، التي ربما تكون مهمة في نقاش أسباب ترك المعتصم بغداد الى سامراء ، أن اولئك الاتراك كانو أصلاً مسؤولين ، وفق مايقول جميع المؤرخين ، عن المشاكل والمتاعب فى بغداد . وقد اوضح اليعقوبي

---

(١٠٦) Ahmad, Ibid., p. 45.

ويشير الدكتور لبيد ابراهيم احمد في رسالته الموسومة « دور الاتراك في العراق خلال خلافة المعتصم ٢١٨ – ٢٢٧ » صفحة ٤٦ بان معظم المؤرخين امثال اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن الفقيه وابن الاثير والجاحظ قد تركوا معلومات كثيرة عن الاتراك وعن قابلياتهم وعن مميزاتهم الطبيعية . وافضل تلك المعومات ما قدمه الجاحظ عنهم في رسالته « مناقب الترك » الذي قارن فيه بين الجند الترك وغيرهم من الجند في ذلك العصر .

(١٠٧) البلدان ، صفحة ٢٩ .

(١٠٨) نفس المرجع صفحة ٣٠ .

ذلك في بحثه حيث يقول : « كان اولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا وشمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدراً لايعدون على من فعل ذلك فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد »(١٠٩) .

ولقد أغضب هذا أهالي بغداد ، ويروي الطبري أن أحد المسنين خاطب الخليفة المعتصم ، وهو راجع من الصلاة ، بقوله : « يا ابا اسحاق قال فابتدره الجند ليضربوه فأشار اليهم المعتصم فكفهم عنه ، فقل للشيخ مالك ؟ قال لاجزاك الله عن الجوار خيراً ، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج(١١٠) فأسكنتهم بين اظهرنا فأيتمت بهم صبياننا وارملت نسوانا وقتلت بهم رجالنا »(١١١) .

وبدأ الجنود الاتراك يتذمرون أيضاً(١١٢) ، وكان المعتصم في موقف دقيق وحرج اذ لم يكن في استطاعته معاقبة حرسه الخاص ولا المواطنين .

ولم يكن هذا السخط على الجنود الاتراك محصوراً بين السكان المدنيين ، بل ان عدواه انتقلت الى الجنود القدامى كذلك ، الى درجة خشى المعتصم معها ان تعصف به وبجنده الاتراك ثورة عارمة(١١٣) . وقد أشار الطبري الى هذا الشعور في قول منسوب الى الخليفة المعتصم فقال : « أني اتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة رجل واحد »(١١٤) .

وكما اشرت في بداية هذا الفصل فان معظم المؤرخين يتفقون على أن رحيل المعتصم كان في سنة ٢٢٠ هـ ــ ٨٣٥ م ، واذا استعنا بمساعدة النصوص

---

(١٠٩) البلدان صفحة ٣٠ .

(١١٠) بعض المؤرخين كالطبري ٣/ ١١٨ يسمى اولئك الجنود الاتراك « بالعلوج » التي تعني « حمير الوحش » والبعض الآخر كاليعقوبي في البلدان صفحة ٣٠ ، والمسعودي في التنبيه والاشراف صفحة ٣٥٦ ، والطبري ١١٨/٣ يسمونهم بالعجم التي تعني الغرباء او الاجانب .

(١١١) ١١٨١/٣ ، وابن الاثير ، الكامل ٦١٩/٣ .

(١١٢) الطبري ١١٨١/٣ .

(١١٣) Ahmad, The Role of the Turks in Iraq during the Caliphate of Mu'tasim. p. 57.

(١١٤) ١١٧٩/٣ ، وانظر ايضاً ، ابن الاثير ، الكامل ٣١٩/٦ ، ابن الطقطقي صفحة ٣٠٩ . ياقوت ، معجم البلدان ١٦/٣ .

التأريخية في تحديد تحركه بصورة اكيدة ، فأننا نلاحظ بأن كلاً من اليعقوبي والطبري قد اشارا الى شهر ذي القعدة(١١٥) بينما يشير كل من المسعودي وياقوت الى نهاية سنة ٢٢٠ هجرية(١١٦) ، وبناء على ذلك فأننا نستنتج بأن المعتصم كان قد ترك بغداد على وجه الدقة إما في نهاية عام ٢٢٠ هـ او في بداية عام ٢٢١ للهجرة .

ويبدو ان المعتصم لم ينطلق مباشرة الى سامراء ، اذ ان هناك بعض الدلائل التأريخية تشير بأنه كان يتنقل من مكان الى آخر حتى انتهى به المطاف اخيرا الى سامراء على اعتبار ان موضعها اكثر ملاءمة من غيره ، ولذلك أمر بان تبنى العاصمة الجديدة .

وينفرد اليعقوبي وحده من بين المؤرخين، فيقدم رواية موجزة جداً متتبعاً المعتصم خطوة بعد خطوة من بغداد حتى سامراء فيقول :(١١٧) « فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد فخرج الى الشماسية(١١٨) ، وهو الموضع الذي كان المأمون يخرج اليه فيقيم به الايام والشهور فعزم أن يبني بالشماسية خارج بغداد مدينة فضاقت عليه أرض ذلك الموضع وكره ايضاً

---

(١١٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤ .

(١١٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، صفحة ٣٥٦ وما بعدها ، ياقوت ،معجم البلدان ٣/١٦ .

(١١٧) البلدان ، صفحة ٣٠ ، ولم يشر ياقوت الى الموضع الذي غيره المعتصم ولكنه يذكر في المعجم ٣/١٦ أن المعتصم انتقل من مكان الى آخر حتى عثر على الموضع الذي شيد فيه عاصمته .

(١١٨) الشماسية : كما يذكر ياقوت في المعجم ٢/٣١٧ – ٣١٨ « منسوبة الى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلا مدينة بغداد واليها ينسب باب الشماسية ، وبها كانت دار معز الدولة ابي الحسين احمد بن بويه وفرغ منها في سنة ٣٠٥ ، وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر الف الف درهم ومسناته باق اثرها وباقي المحلة كله صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس » وينظر ايضاً كتاب لسترانج Baghdad during the Abbasid Caliphate, p. 170. .

قربها من بغداد فمضى الى البردان[١١٩] بمشورة الفضل بن مروان وهو يومئذ وزير وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائتين ، وأقام بالبردان أياماً واحضر المهندسين ثم لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحمشا[١٢٠] من الجانب الشرقي من دجلة فقدر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهرا فلم يجد فنفذ الى القرية المعروفة بالمطيرة فأقام بها مدة ثم مر الى القاطول فقال هذا أصلح المواضع فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول »[١٢١] . ولم يذكر المسعودي جميع المواضع التي مكث فيها المعتصم لفترة من الزمن .

والظاهر ان المعتصم أقام فى البردان الا انه لم يرتح الى هوائها ، فاخذ بالانتقال عنها والبحث عن اماكن أخرى على مقربة من نهر دجلة حتى استطاع العثور على موضع يعرف باسم القاطول .

وفي منطقة القاطول بدأ المعتصم البناء ، ووزع أراضي مختلفة على أفراد الجيش والموظفين الاداريين وعلى الناس ، وعين كذلك قطعة من الارض لتقام عليها الاسواق ، فأبتدأ البناء بعدئذ وارتفعت المباني والعمائر الى إرتفاع معين .

ومهما يكن من شيء ، فأن معظم المؤرخين يتفقون على أن القاطول لم يكن آخر مرحلة من مراحل تحرك المعتصم الى سامراء، ولقد كان موضع القاطول معروفا عند الخلفاء العباسيين ومألوفاً لديهم ، إذ ان الخليفة هارون الرشيد لم يشيد فى هذا الموضع قصراً فحسب ، وانما توضح النصوص التأريخية أنه اقام مدينة هناك ، ويؤكد ذلك كل من الطبري[١٢٢] وابن الأثير[١٢٣] ، حيث يشيران بأن مسرور « الخادم الكبير » قال :

---

(١١٩) البردان : كانت ـ كما اشار ياقوت في المعجم ٥٥٢/١ ـ من قرى بغداد على بعد سبعة فراسخ منها (حوالي ٣٥ كيلو متراً من بغداد) .

(١٢٠) باحمشا : كانت ـ كما اشار ياقوت في المعجم ٤٥٨/١ ـ قرية تقع بين أوانا والحظيرة .

(١٢١) البلدان ، صفحة ٣٠ .

(١٢٢) ١١٨٠/٣ .

(١٢٣) الكامل ٣١٩/٦ .

« سألني المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد قال ، قلت له بالقاطول وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم » .

وانه لمن المهم ان نعرف اين مكث المعتصم في القاطول ، وفيما اذا كان قد بنى لنفسه فيه قصراً جديداً لاقامته هناك أم انه عاش في قصر الرشيد . ولكن ليس من السهل التأكد من ذلك على الرغم من أن النصوص التاريخية المتوفرة تبسط بعض المعلومات ، فالبلاذري يقول بهذا الصدد : « ونزلها (يقصد بغداد) أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصر الرشيد كان إبتناه حين حفر قاطوله »[١٢٤] .

ولم يشر اليعقوبي الى قصر الرشيد هذا ، ولكنه روى أن المعتصم « وسكن هو في بعض ما بني له »[١٢٥] . وقال ايضا«وخرج المعتصم الى القاطول في النصف الثاني من ذي القعدة سنة ٢٢٠ فأختط موضع المدينة التي بناها واقطع الناس المقاطع وجد في البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الاسواق ثم ارتحل من القاطول الى سر من رأى »[١٢٦] .

وقد ذكر المسعودي في « مروج الذهب » أن المعتصم بنى قصراً في القاطول [١٢٧] وفي كتابه الآخر « التنبيه والاشراف » روى أن الخليفة نزل قصراً للرشيد في القاطول[١٢٨] .

ولا يشير الطبري الى تشييد مدينة في موضع القاطول[١٢٩] ، وكذلك ابن الأثير لايذكر بناء المعتصم في هذا الموضع ، الا أنه يروي بأن هارون الرشيد اقام مدينة هناك حيث لاتزال آثارها وسورها قائمين [١٣٠] .

أما ياقوت ، فأنه لم يكن موفقاً في احدى رواياته ، إذ ذكر بان الرشيد حفر نهراً عندها (يقصد عند سامراء) سماه القاطول وابي الجند وبنى عنده

---

(١٢٤) فتوح البلدان صفحة ٢٩٧ .
(١٢٥) البلدان ، صفحة ٣١ .
(١٢٦) التاريخ ١٦٤/٢ .
(١٢٧) ١١٩/٧ .
(١٢٨) صفحة ٣٥٧ .
(١٢٩) ١١٨٠/٣ .
(١٣٠) الكامل في التاريخ ٣١٩/٦ .

قصراً ثم بنى المعتصم أيضاً هناك قصراً ووهبه لمولاه أشناس . فلما ضاق بغداد بجنده وعساكره واراد استحداث مدينة كان هذا الموضع فى ذهنه فجاءه وبنى عنده سر من رأى . ولكنه روى في رواية اخرى له أن المعتصم جعل اقامته لفترة من الزمن فى القاطول بالمضارب(١٣١) . وبدأ بعد ذلك بالانتقال من مكان الى آخر حتى استطاع في النهاية اختيار موضع حيث شيد فيه عاصمته .

وهكذا يلاحظ الباحث ، أن المؤرخين العرب يوردون روايات مختلفة حول إقامة المعتصم فى القاطول الى درجة جعلوا الباحث فى موقف معقد الى درجة كبيرة ، ومع ذلك فمن الممكن ان نبسط الاستنتاج التالي : عندما وصل المعتصم الى القاطول ، نزل في اول الامر فى معسكر مع اتباعه وجنده وقادتهم ، وعندما تم تعمير قصر هارون الرشيد الذي اضيفت اليه مبان اخرى ليكون مكانا ملائما لسكنى الخليفة نزله المعتصم وفى نفس الوقت امر ان تبنى له مدينة صغيرة لتتسع له ولحاشيته ، ويبدو ان هذه المدينة الصغيرة كانت بمثابة المباني الخاصة التي اقيست للخليفة والتي قصدها اليعقوبي فى قوله « قد سكن فى بعض ما بنى له »(١٣٢) .

٤ - اين يقع قصر المعتصم ؟

لم يقدم المؤرخون فى رواياتهم معلومات كافية عن موضع قصر المعتصم ، وحقيقة واحدة يمكن أن تساعدنا في البحث عن موضع ذلك القصر ، هي أن أغلبهم يشير الى أن هذا القصر كان يقع في منطقة تعرف بالقاطول. وقد كتب سوسة أن « القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي انشأها على دجلة وعلى القاطول يقعان في المنطقة المعروفة بالقادسية ، وهذه تشتمل على المنطقة التي تبدأ عند « قصر بركوارا » من الغرب ، فتمتد على ضفة نهر دجلة الى الجنوب الشرقي حتى صدر مجرى القائم »(١٣٣) . (اللوحات ـ ١ و ٣) .

(١٣١) معجم البلدان ١٦/٣ .
(١٣٢) البلدان ، صفحة ٣١ .
(١٣٣) ري سامراء ٢٤١/١ والصفحة التي تليها .

ويبدو أن وصول المعتصم الى منطقة القاطول كان فى بداية فصل الشتاء أذ ان المسعودي يؤكد ذلك فيقول : « ونالت من مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالبناء »(١٣٤) .

ومهما يكن من أمر ، فأن موضع القاطول لم يعجب المعتصم ، لذلك لم يمكث هناك اكثر من ثلاثة أشهر ، ويذكر اليعقوبي رأي الخليفة المعتصم فى هذا الموضع وهو أن : « ارض القاطول غير طائلة وانما هي حصا وافهار والبناء بها صعب جدا وليس لارضها سعة »(١٣٥) .

ويسترسل اليعقوبي بعد ذلك في روايته فيقول أن المعتصم « ركب متصيداً فمر فى مسيره حتى صار الى موضع سر من رأى ، صحراء من أرض الطيرهان لاعمارة بها ولا أنيس فيها الا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من رهبان . وقال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال له بعض الرهبان نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سر من رأى وانه كان مدينة سام بن نوح سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلها ولده فقال انا والله ابنيها وانزلها وينزلها ولدي »(١٣٦) .

---

(١٣٤) مروج الذهب ١٢٩/٧ .

(١٣٥) ورواية اخرى تشبه هذه الرواية تقريباً . ولكنها قصيرة وموجزة حول تنقل المعتصم باحثاً عن مكان مناسب له ليقيم عليه مدينته ، رواها كل من البلاذري في فتوح البلدان صفحة ٤٦٠ ، والمسعودي في مروج الذهب ١٢٠/٧ والصفحة التي تليها ، وفي كتابه « التنبيه والاشراف » صفحة ٣٥٧ .

(١٣٦) وعلى كل حال ، فأن اليعقوبي وحده من بين عدد من المؤرخين يذكر أن المعتصم قد قدم سبباً خاصاً لبناء سامراء فقال : « ولقد امر الرشيد يوماً ان يخرج ولده الى الصيد فخرجت مع محمد والمأمون وأكابر ولد الرشيد فأصطاد كل واحد منا صيداً واصطدت بومة ثم انصرفنا وعرضنا صيدنا عليه فجعل من كان معنا من الخدم يقول هذا صيد فلان وهذا صيد فلان حتى عرض عليه صيدي فلما رأى البومة وقد كان الخدم اشفقوا من عرضها لئلا يتطير بها او ينالني منه غلظة فقال من صاد هده قالوا ابو اسحاق فأستبشر وضحك واظهر السرور ثم قال أما انه يلي الخلافة ويكون جنده واصحابه والغالبون عليه قوماً وجوههم مثل

تشير معظم النصوص التأريخية الى أن موضع سامراء كان يحتويه دير مسيحي ، وأن المعتصم أمر أن تشتري أرض ذلك الدير من اصحابه ، وقد اورد اليعقوبي ذلك بصورة واضحة في كتابيه « البلدان » و « التأريخ » فقال :

« ثم ارتحل من القاطول الى سر من رأى فوقف في الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فأشترى من اهل الدير الارض »(١٣٧) .

وقال كذلك أن المعتصم عزم « على أن ينـزل بذلك الموضع فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وابن ابي دواد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير وقال لهم إشتروا من اصحاب هذا الدير هذه الأرض وادفعوا اليهم ثمنها أربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك »(١٣٨) .

وروى المسعودي أن المعتصم « أقام في الموضع ثلاثة أيام يتصيد في كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية في ذلك لتأثير الهواء والتربة والماء فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير واشترى منهم ارضهم بأربعة آلاف دينار »(١٣٩) واشار المسعودي كذلك الى أن موضع قصر المعتصم كان في موضع الأرض والدير اللذين اشتراهما من النصارى ، فقال : « وارتاد لبناء قصره موضعاً فيها فأسس بنيانه »(١٤٠) . وقد اشار العمري الى هذا كذلك حينما تحدث عن دير السوسي ،فاوضح أنه كان يقع على الجانب الغربي بسر من رأى ، وقد اشترى المعتصم ارضه من اصحابه(١٤١) .

وجه هذه البومة فيبني مدينة قديمة وينزلها هؤلاء القوم ثم ينزلها ولده من بعده . وما سر الرشيد يومئذ بشيء من الصيد كما سر بصيدي لتلك البومة » .

(١٣٧) التاريخ ١٦٤/٢ .

(١٣٨) البلدان ، صفحة ٣٢ .

(١٣٩) مروج الذهب ١٢١/٧ .

(١٤٠) التنبيه والاشراف ، صفحة ٣٥٧ .

(١٤١) مسالك الابصار في ممالك الامصار ، صفحة ٢٦٢ .

٥- لماذا اختار المعتصم سامراء ؟

يبدو واضحاً ، كما تشير معظم النصوص التأريخية العربية ، أن المعتصم لم يكن مسبوقاً بفكرة معينة عن موضع محدد فى سامراء لأختياره مكانا للعاصمة الجديدة قبيل مغادرته بغداد ، وبناء على ذلك ، فأن المرء يجب ان يعترف بأن اختيار المعتصم سامراء قد استقر نهائيا بعد اختبار ومحاولات في ارتياد أماكن عديدة •

وقد كان هذا واضحاً من تنقلات المعتصم وتحركاته بعد مغادرته بغداد بحثاً عن موضع ملائم ، وعلى الرغم من هذا الوضوح فأن الطبري يقدم فى كتابه رواية عن احمد بن خالد فيقول : « بعثني المعتصم سنة ٢١٩ وقال لي يا أحمد اشتر لي بناحية سامراء موضعاً ••• فأتيت الموضع فأشتريت سامراء بخمسمائه درهم من النصارى اصحاب الدير »(١٤٢) ويظهر لنا بأن هذه الرواية مقبولة ، إذ من الصعب على المرء أن يعتقد بأن المعتصم كان يبحث عن موضع اذا كان يمتلك بالفعل موضعاً •

وعلى كل حال ، فأن المعتصم الذي كان يتنقل من مكان الى آخر مصحوباً بعدد كثيف من الجند والاتباع وعوائلهم مع العمال ، كان عليه ، والحالة هذه ، أن يكون شديد الحرص على أن ما سوف يختاره لابد وأن يكون المكان الاكثر صلاحاً وملائمة •

وكما أوضحت سابقاً ، فان المكان الذي شغلته مدينة سامراء ، كان معروفا قبل العصر العباسي بزمن طويل •

ولعل الباحث يستطيع ان يدرك أن لموضع سامراء هذا فوائد كثيرة ، أولها مكانها الستراتيجي الذي يضعها فى موقف ملائم للسيطرة على الاجزاء المختلفة من جميع الامبراطورية • بالاضافة الى ذلك فأن المياه كانت تحيط بالمدينة من جميع جهاتها ، ويحدها نهر دجلة من جانبها الغربي ابتداء من اقصى موضعها شمالا حتى حدودها الجنوبية •

---

(١٤٢) ١١٧٩/٣ •

وقد منح هذا الموقع ، المدينة سهولة الاتصال بكل من الاقسام الشمالية والجنوبية من العراق ، وكانت فائدته كبيرة جداً للاغراض السياسية والتجارية على حد سواء •

كما ان نهر النهروان بفرعيه ، يحف بموقع المدينة من جانبه الشرقي ، وهكذا ، فليس هناك ادنى شك ، في أن كلا من نهري دجلة والنهروان يمنحان هذا الموقع أهمية عسكرية عظيمة ، وعلى وجه العموم ، فأن مياه هذين النهرين يؤلفان سوراً طبيعياً يجعل المدينة في موضع أمين •

وزيادة على ماقدمناه ، فأن ارتفاع موضع سامراء ، قد وهب المدينة حماية ضد خطر الفيضان الذي يهدد مدينة بغداد كل عام • وبعد ان اشترى المعتصم الارض من مالكيها ، بدأ في إقامة القصور والابنية المهمة ، ومما يؤسف له ، أن معظم هذه المباني التي اقيمت في عهد المعتصم تؤلف في الوقت الحاضر خرائب لاشكل لها ، مما يصبح من العسير معه أن نكون فكرة عن تخطيط المدينة في زمن المعتصم •

ولقد اولى المؤرخون المسلمون اهتماماً خاصاً لمدينة المنصور المدورة في بغداد ، وخاصة الخطيب البغدادي واليعقوبي الذي يعطي بحثه عنها فكرة كاملة عن تخطيط المدينة(١٤٣) •

وكذلك حال المدن الاسلامية الثلاث ، البصرة والكوفة وواسط فأنها كانت موضع عناية الكتاب والمؤلفين العرب القدامى •

أما سامراء ، فأنها لم تلق من عناية اولئك الكتاب والمؤلفين مالقيت المدن العراقية الاخرى ، ماعدا بحث موجز عنها تضمنه كتاب « البلدان » لليعقوبي وفي بحثه هذا اسماء الشوارع والاقطاعات والاسواق ويشير كذلك الى قصور المعتصم مثل الجوسق الخاقاني والعمري (من المحتمل اسمه العمري) والوزيري من غير أن يرشدنا الى تفاصيل تخطيطها وبنائها •

واهمل اليعقوبي الاشارة الى تخطيط مسجد المعتصم ومسجد المتوكل ، واكتفى بالقول : « ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع » •

---

(١٤٣) انظر البلدان ، الصفحات ٤ ـ ٢٨ •

واذا كنا نعرف تفاصيل معمارية وافية عن أسوار بغداد الثلاثة ، وفصلانها ورحبتها ومسجدها ، وقصر باب الذهب في زمن تشييدها ، فأننا لانعرف بصورة عملية مخططات ومشاريع العمائر ، التي كانت قد اقيست في عصر المعتصم أكثر مما عرفناه من نتائج التنقيبات الاثرية التي قام بها « ڤيولة » في قصر الجوسق الخاقاني والبعثة الاثرية الالمانية والبعثة العراقية . ولكن بحث اليعقوبي يعطينا صورة عامة عن التخطيط الذي اتبع في زمن المعتصم فهو يقول :

« ثم احضر المهندسين فقال إختاروا أصلح هذه المواضع فأختاروا عدة مواضع للقصور وصير الى كل رجل من اصحابه بناء قصر فصير الى خاقان عرطوج ابي الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقاني والى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري والى ابي الوزير بناء القصر المعروف بالوزيري، ثم خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع ووسعت صفوف الاسواق وجعلت كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد ، وكتب في اشخاص الفعلة والبنائين واهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها من بغداد وسائر السواد من انطاكية وسائر سواحل الشام وفي حمل عملة الرخام وفرش الرخام فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام ، وافرد قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعا وجعلهم معتزلين عنهم لايختلطون بقوم من المولدين ولا يجاورهم الا الفراغنة ، واقطع اشناس واصحابه الموضع المعروف بالكرخ وضم اليه عدة من قواد الاتراك والرجال وامره ان يبني المساجد والاسواق ، واقطع خاقان عرطوج واصحابه مما يلي الجوسق الخاقاني وامر بضم اصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس واقطع وصيفا واصحابه مما يلي الحير وبني حائطا سماه حائر الحير ممتداً وصيرت قطائع الاتراك جميعاً والفراغنة العجم بعيدة من الاسواق والزحام في شوارع واسعة ودروب طوال ليس معهم في قطائعهم ودروبهم أحد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره ، ثم اشترى لهم الجواري فأزوجهم منهن ومنعهم ان يتزوجوا او يصاهروا الى أحد من المولدين الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم الى بعض واجرى لجواري

الاتراك ارزاقاً قائمة واثبت اسماءهن في الدواوين فلم يكن يقدر احد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها ، ولما اقطع اشناس التركي في آخر البناء مغرباً واقطع أصحابه معه وسمي الموضع الكرخ ، أمره ان لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم ولا يطلق معاشرة المولدين فأقطع قوماً آخرين فوق الكرخ وسماه الدور وبنى لهم فى خلال الدور والقطائع المساجد والحمامات وجعل في كل موضع سويقة فيها عدة حوانيت للتامين والقصابين ومن اشباههم ممن لابد لهم منه ولا غنى عنه ، واقطع الأفشين خيذر بن كاوس الاسروشني فى آخر البناء مشرقاً على قدر فرسخين وسمى الموضع المطيرة فأقطع اصحاب الاسروشنية وغيرهم من المضمومين اليه حول داره وامره ان يبني فيما هناك سويقة فيها حوانيت للتجار فيما لابد منه ومساجد وحمامات .
واستقطع الحسن بن سهل بين آخر الاسواق وكان اخرها الجبل الذي صار فيه خشبة بابك ، وبين المطيرة موضع قطيعة أفشين ، وليس في ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات ثم احدقت العمارة به حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سر من رأى وامتد بناء الناس من كل ناحية واتصل البناء بالمطيرة وجعلت الشوارع لقطائع قواد خراسان واصحابهم من الجند والشاكرية وعن يمين الشوارع ويسارها الدروب فيها منازل الناس كافة وكان الشارع المعروف بالسريجة وهو الشارع الاعظم ممتدا من المطيرة الى الوادي المعروف فى هذا الوقت بوادي اسحاق بن ابراهيم لان اسحاق بن ابراهيم انتقل من قطيعته ايام المتوكل فبنى على رأس الوادي واتسع في البناء ، ثم قطيعة اسحاق بن يحيى بن معاذ ثم تتصل قطائع الناس يمنة ويسرة في هذا الشارع الاعظم وفى دروب من جانبي الشارع الاعظم تنفذ الى شارع يعرف بابي احمد وهو ابو احمد بن الرشيد من احد الجانبين وتنفذ الى دجلة وما قرب منها من الجانب الآخر وتمر القطائع الى ديوان الخراج الاعظم وهو في هذا الشارع الكبير وفي هذا الشارع قطائع قواد خراسان ، منها قطيعة هاشم بن باينجور ، وقطيعة عجيف بن عنبسة ، وقطيعة الحسن بن علي المأموني ، وقطيعة هارون بن نعيم وقطيعة حزام بن غالب ، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصة والعامة ، يتولاها حزام ويعقوب اخوه ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق فى مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف

والحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس والاسواق فى هذا الشارع يمنة ويسرة مثل سائر البياعات والصناعات ، ويتصل ذلك الى خشبة بابك ثم السوق العظمى لاتختلط بها المنازل ، كل تجارة منفردة وكل أهل مهنة لايختلطون بغيرهم • ثم الجامع القديم الذي لم يزل يجمع فيه الى أيام المتوكل فضاق على الناس فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً فى طرف الحير المسجد الجامع والاسواق من أحـد الجانبين ، ومن الجانب الاخر القطايع والمنازل واسواق اصحاب البياعات الدنية مثل اصـحاب الفقاع والهرائس والشراب ، وقطيعة مبارك المغربي وسويقة مبارك وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر ثم قطيعة أبي الوزير ثم قطيعة العباس بن علي بن المهدي ثم قطيعة عبد الوهاب بن علي بن المهدي ، ويمتد الشارع وفيه قطايع عامة الى دار هارون بن المعتصم وهو الواثق عند دار العـــامة وهي الدار التي نزلها يحيى بن اكثم في ايام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة •

ثم باب العامة ودار الخليفة وهي دار العامة التي يجلس فيها يوم الاثنين ثم الخزائن الخاصة والخزائن العامة ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم ثم قطيعة قرقاش الخادم وهو خراساني ثم قطيعة ثابت الخادم ثم قطيعة ابي الجعفاء وسائر الخدم الكبار (شكل ــ ٤) •

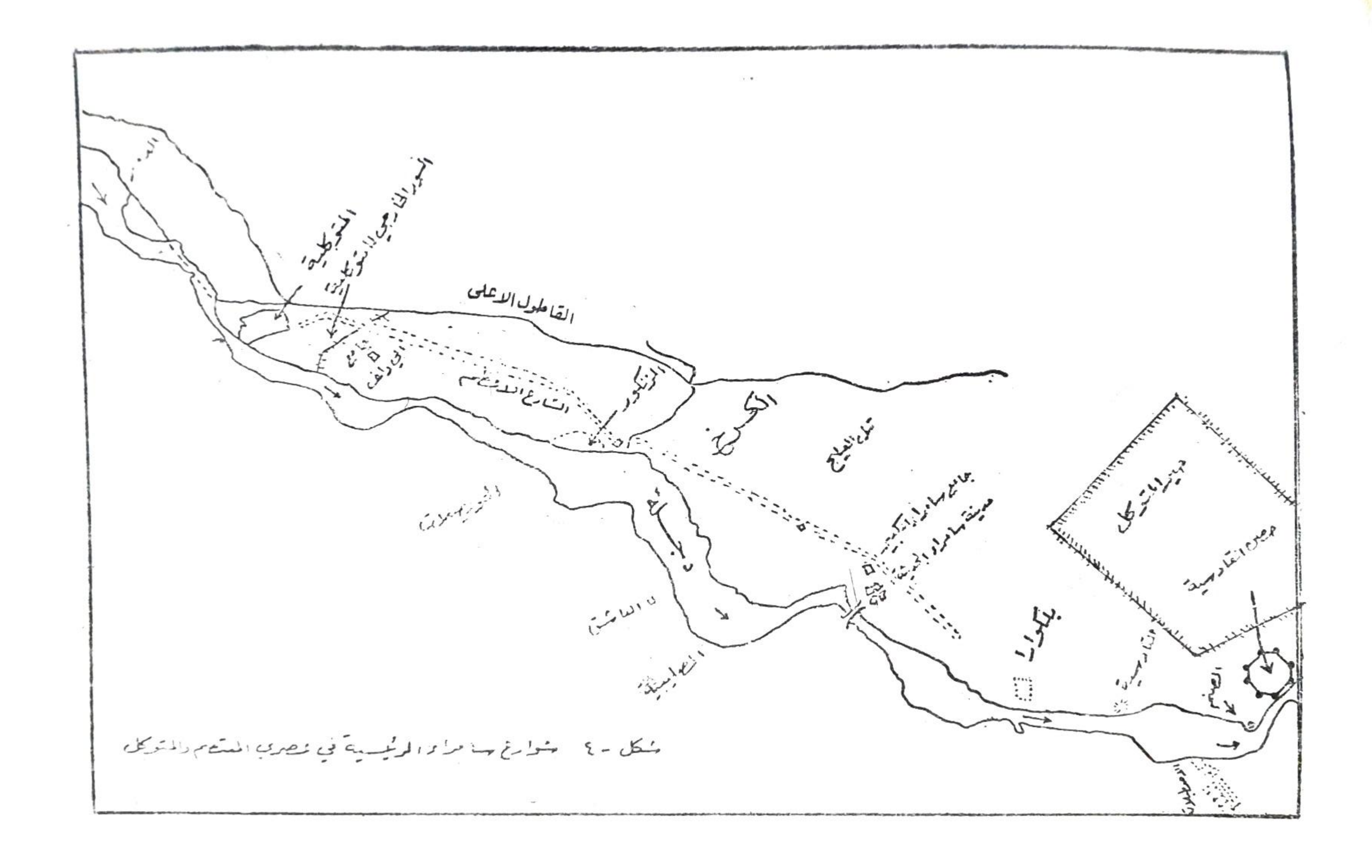
والشارع الثاني يعرف بأبي احمد وهو ابو احمد بن الرشيد أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التي بناها فى أيام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان وانسابهم من العرب ومن أهل قم واجهـان وقزويـن والجبل وآذربيجان يمنة فى الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى شـارع السرجية الأعظم وما كان يلي الشمال ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع أبي احمد ابن الرشيد في وسط الشارع وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقـال له وادي ابراهيم بن رياح قطيعة ابن ابي دواد وقطيعة الفضـــل بن مروان وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات وقطيعة ابراهيم بن رياح في الشـارع الاعظم ثم تتصل الاقطاعات فى هذا الشارع وفي الدروب الى يمنته ويسرته الى قطيعة بغا الصغير ثم قطيعة بغا الكبير ثم قطيعة سيما الدمشقي ثم قطيعة برمش ثم قطيعة وصيف القديمة ثم قطيعة إيتاخ ويتصل ذلك الى باب البستان وقصور الخليفة •

والشارع الثالث شارع الحير الأول الذي صارت فيه دار احمد بن الخصيب فى أيام المتوكل فاصل هذا الشارع من المشرق ومن الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم وفيه قطايع الجند والشاكرية واخلاط الناس ويمتد الى وادي ابراهيم بن رياح .

والشارع الرابع يعرف بشارع برغامش التركي . وفيه قطائع الاتراك والفراغنة ، فدروب الاتراك منفردة ودروب الفراغنة منفردة والاتراك فى الدروب التي في القبلة والفراغنة بأزائهم بالدروب التي في ظهر القبلة كل درب بأزاء درب لايخالطهم أحد من الناس وآخر منازل الاتراك وقطائعهم ، قطائع الخزر مما يلي المشرق اول هذا الشارع من المطيرة عند قطائع الأفشين التي صارت لوصيف واصحاب وصيف ثم يمتد الشارع الى الوادي الذي يتصل بوادي ابراهيم بن رياح .

والشارع الخامس يعرف بصالح العباسي ، وهو شارع الاسكرفيه قطائع الاتراك والفراغنة والاتراك أيضاً فى دروب منفردة التي على رأس الوادي ويتصل ذلك بقطائع القواد والكتاب والوجوه والناس كافة ثم شارع خلف شارع الاسكر يقال له شارع الحير الجديد فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة والاسروشنية وغيرهم من سائر كور خراسان ، وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط وبني خلفه حائط غيره وخلف الحائط الوحش من الظباء والحمير الوحش والايايل والارانب والنعام وعليها يدور في صحراء حسنة واسعة .

والشارع الذي على دجلة يسمى شارع الخليج وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والابلة والاهواز ، وما إتصل بذلك ، ومن الموصل ويعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم او اكثرهم والموضع المعروف بالأزلاخ الذي عمر بالرجالة المغاربة في أول ما اختطت سر من رأى ، واتسع الناس فى البناء بسر من رأى اكثر من إتساعهم ببغداد وبنوا المنازل الواسعة الا أن شربهم جميعاً من دجلة مما يحمل فى الروايا على البغال وعلى



شكل - ٤ شوارع سامراء الرئيسية في عصري المعتصم والمتوكل

الابل لأن آبارهم بعيدة الرشاء ثم هي مالحة غير سائغة فليس لها إتساع في الماء ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة »[١٤٤] .

طبقاً لهذا الوصف الذي قدمه اليعقوبي ، يظهر أن المخطط الذي درج عليه المعتصم في بناء سامراء كان يختلف عن ذلك المخطط الذي اتبع فى المدن العراقية المبكرة مثل البصرة والكوفة وواسط وبغـداد .

فلقد كان المخطط الذي نفذت وفقه تلك المدن يشتمل على المسجد الجامع الذي يتوسط المدينة ، وبلصقه دار الأمارة ، تحيط بهما الـدور والأسواق ودوائر الدولة .

والبصرة كانت أقدم المدن الأسلامية التي شيدت فى العراق[١٤٥] ، بناها عتبة بن غزوان فى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ولم يعط المؤرخون تأريخاً معيناً للسنة التي اقيمت فيها ، غير أنها على الاغلـب قد بنيت في عام ١٤ للهجرة[١٤٦] (٦٣٤ للميلاد) . وقد كان مسجدها كمـا يذكر البلاذري بسيطاً[١٤٧] .

وبالنسبة الى رواية اخرى للبلاذري ايضا يشير الى أن المســجد في الاصل كان مبنياً من القصب ، فقال : « وبنى عتبة دار الامارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء ، وفيها السجن والديوان فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فأذا رجعوا اعادوا بناءه »[١٤٨] ويشير البلاذري بأن عتبة قد اقام دار الامارة دون المسجد[١٤٩] .

---

(١٤٤) البلدان ، صفحات ٢٥٨ — ٢٦٤ .

(١٤٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحات ٣٤٦ — ٣٥١ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، صفحة ٣٥٧ وما بعدها ، ابن قتيبة ، المعارف ، صفحة ٢٧٩ وما بعدها وكريزويل E.M.A., 1, p. 15

(١٤٦) الطبري ١/٢٣٧٧ — ٢٣٨٠ ، والصفحة ٢٣٨٣ وما بعدها ، ياقوت ، معجم البلدان ١/٦٤٠، بينما يشير اليعقوبي في البلدان الى سنة ١٧ للهجرة وابن الفقيه الى سنة ١٦ للهجرة .

(١٤٧) فتوح البلدان ، صفحة ٣٤١ والتي تليها .

(١٤٨) نفس المصدر صفحة ٣٤٠ وصفحة ٣٥٠ .

(١٤٩) نفس المصدر صفحة ٤٣٤ وما بعدها .

وكانت الكوفة ثاني مدن العراق الأسلامية الأولى ، بنيت في عام ١٧ للهجرة (٦٣٨ للميلاد) ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)(١٥٠) وقد روى البلاذري أن عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص أمره بأن : « يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً ، وأن لايجعل بينه وبينهم بحراً . فاتى الانبار واراد ان يتخذها منزلا فكثر على الناس الذباب فتحول الى موضع آخر فلم يصلح فتحول الى الكوفة وأختطها وأقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها »(١٥١) .

وروى البلاذري أيضاً : « فلما انتهى (يقصد سعداً) الى موضع مسجدها امر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة ، فاعلم على موقعه ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال واعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه . ثم وضع مسجدها ودار الامارة في العالي وما حوله ، وأسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة » (١٥٢) .

وبعد ذلك بفترة من الزمن ، أي في عام ١٧ للهجرة أعيد بناء المسجد والقصر معاً حيث بقي مقراً للولاة وملاصقاً للجدار الجنوبي للمسجد (١٥٣) .

وكانت واسط ثالث مدن العراق الاسلامية المبكرة ، بناها الحجاج ابن يوسف الثقفي كما يشير البلاذري في عام ٨٣ او ٨٤ للهجرة .

ويضيف أيضاً أنه « بنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها ، وكانت

---

(١٥٠) فتوح البلدان ، صفحات ٤٣٤ ـ ٤٣٦ ، الطبري ٢٤٨١/١ والصفحات ٢٤٨٥ ـ ٢٤٩٢ وصفحة ٢٤٩٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ٣٢٢/٤ ـ ٣٢٤ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ١١٦ وما بعدها ، ابن حوقل ، المسالك والممالك ، صفحة ١٦٢ وما بعدها .

(١٥١) فتوح البلدان ، صفحة ٣٣٤ وما بعدها .

(١٥٢) نفس المصدر ، صفحة ٤٣٥ .

(١٥٣) كريزويل E.M.A., 1, p. 18

واسط ارض قصب فسميت واسط القصب وبينها وبين الاهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد »[١٥٤] .

وعندما انتهى الحجاج من بناء مدينة واسط ، كتب الى الخليفة عبد الملك بن مروان : « إني اتخذت مدينة في كرش من الارض بين الجبل والمصرين وسميتها واسطا[١٥٥] .

ولقد اظهرت التنقيبات الاثرية التي اجرتها مديرية الاثار العراقية القديمة بأشراف الاستاذ فؤاد سفر[١٥٦] بقايا كل من قصر الحجاج (دار الامارة) ومسجده ، وقد ذكر الاستاذ فؤاد سفر أنه « استناداً الى الشواهد الاثرية وغير الأثرية نستطيع الآن أن نعد الجامع الأول ، وهو أقدم الجوامع الاربعة المكتشفة فى بقعة واحدة ، جامع الحجاج بن يوسف »[١٥٧] .

وفيما يتعلق بقصر الحجاج فى واسط فأن الاستاذ فؤاد سفر قد اوضح أنه يعتقد أن البناء الذي كشف عن جزء منه وراء الجامع الاول هو قصر الحجاج أي قصر امارته[١٥٨] .

---

(١٥٤) معظم المؤرخين يتفقون ـ كما يشير الاستاذ فؤاد سفر في كتابه واسط صفحة ١ وما بعدها ـ على أن الحجاج شيد مدينته الجديدة واسط في سنة ٨٣ للهجرة (٧٠٢ للميلاد) أو في سنة ٨٤ للهجرة ، وانتهى البناء منها في سنة ٨٦ للهجرة للتفاصيل راجع : ـ

البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٤٤٩ ، الطبري ١٢٢٥/٢ وما بعدها ، السمعاني ، الانساب ، صفحة ٥٧٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ٨٨٤/٤ ، القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، صفحة ٣٢٠ ، أبو الفدا، تقويم البلدان صفحة ٣٠٧ ، ولكن بحشل الذي يعد اكثر المؤرخين والكتاب ثقة في تأريخ هذه المدينة يشير في(ص١٠) الى أن البناء استمر من عام ٧٥ حتى عام ٧٨ للهجرة (٦٩٤ ـ ٦٩٧) .

(١٥٥) فتوح البلدان ، صفحة ٤٤٩ .

(١٥٦) اشار فؤاد سفر في كتابه واسط الى أن مديرية الآثار القديمة العامة استهدفت امرين رئيسيين من تنقيباتها في موسمها السادس ، أحدهما الاستمرار في البحث بطريق الحفر عن قصر الحجاج ذي القبة الخضراء ، وهذا القصر ينبغي ان يكون بجوار المسجد الجامع الذي كشف عنه في المواسم السابقة وسمي اوانذاك بجامع الحجاج .

(١٥٧) فؤاد سفر ، واسط ، صفحة ٢٥ .

(١٥٨) فؤاد سفر ، واسط ، صفحة ٢٨ .

وذات الاسلوب كان قد اتبع في بناء بغداد ، ولكن مع تغيير بسيط ، إذ ان المنصور بنى قصره المعروف بقصر باب الذهب في مركز المدينة المدورة(١٥٩) واقام المسجد الجامع الى جانب قصره (١٦٠).

وهكذا يبدو من هذه النصوص التأريخية ، ومما اظهرته التنقيبات الأثرية أن المسلمين كانوا يتبعون قواعد معينة في بناء مدنهم . غير انه يظهر في تشييد سامراء أن المعتصم والمهندسين الذين كانوا مسؤولين عن مخططات المدينة وبنائها قد غيروا بعض الشيء في تلك القواعد التي كانت متبعة سابقا في المدن الاسلامية الاولى كالبصرة والكوفة وواسط وبغداد .

ويبدو لنا أن هذه الفكرة الجديدة التي تجعل المسجد الجامع والاسواق المحيطة به بعيداً عن قصر المعتصم ، ربما هدفها جعل محل اقامة الخليفة بعيداً عن مركز المدينة . ومن المحتمل أن يكون المعتصم قد تأثر في هذا القرار بما كان المنصور قد صنعه حينما اقام الاخير مدينة بغداد المدورة ، حيث كانت الاسواق قد بنيت في الأصل داخل مدينة المنصور ، في الطاقات التي كانت تحف بالطرق الأربعة المؤدية الى البوابات ، غير أنه لم تمض سنتان حتى امر الخليفة بتحويل الاسواق خارج أسوار المدينة الى ضاحية الكرخ(١٦١) .

يتضح من رواية اليعقوبي التي اشرنا اليها فيما سبق ، ومن الصور الجوية التي تظهر أماكن وجود الخرائب القائمة ، أن تخطيط سامراء في عهد المعتصم كان كما هو موضح أدناه تقريبا : ـ

---

(١٥٩) روايات مختلفة من النصوص التاريخية تشير الى ان قصر باب الذهب كان قد شيد في وسط الرحبة . فمثلاً يروي اليعقوبي في البلدان صفحة ١١ : « وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب » ، وابن رستة في الاعلاق النفيسة ، صفحة ١٠٨ يشير : «وفي وسط المدينة قصر لابي جعفر يسمى باب الذهب » ، ويروي ابن الاثير في كتابه ، الكامل ٢١/٥ ان المنصور « بنى قصره في الوسط » .

(١٦٠) الخطيب ، تأريخ بغداد ١٠٧/١ ، وانظر ايضاً . اليعقوبي ، البلدان صفحة ١١ . وكريزويل E.M.A., 1, p. 9 (Fig. 2) وكتابه المختصر S.A.E.M.A., p. 179
Encyclopeadia of Islam, Art "Architecture" 1., p. 616.

(١٦١) للتفاصيل انظر :
الطبري ٣٢٣/٣ ـ ٣٢٥ ؛ الخطيب ، تاريخ بغداد ٧٨/١ ، ابن

اولا ــ ان الجامع الكبير كان يقع على الشارع الذي يعرف بالسريجة وقد استمرت الصلاة فيه خلال عهد المعتصم وولده الواثق ، وحينما جاء المتوكل الى الخلافة هدمه كله وبنى جامعاً آخر اكبر من سابقه في نهاية الحير .

ثانياً ــ كانت الأسواق المختلفة تقع حول ذلك الجامع ، ومرة أخرى قلد المعتصم الخليفة المنصور جاعلاً رجال الحرف والبضاعات مجتمعين مع اصحاب التجارة المتشابهة في أماكن خاصة . وبالأضافة الى هـذا فأنه أمر بأن يكون لكل قطيعة سوقاً صغيراً من عدة مخازن تحتوي على السلع الضرورية .

ثالثا ــ اقطع المعتصم القواد والكتاب والموظفين ، وبقية الناس اقطاعات لكي يقيموا فيها مساكن لهم ، تنفيذا لفكرته في تعيين مناطق معزولة للجماعات المختلفة ، وكان كل قسم منها مخصص للافراد المنحدرين في الاصل من أقاليم واحدة ، وبالتالي فأن هذه الاقسام كانت محاطة بمجموعات أخرى منحدرة أصلاً من أقاليم مجاورة .

لقد اولى المعتصم اهتماماً خاصاً لجنده الاتراك الذين كانوا قد نزلـوا في احياء معزولة بعيدة عن الاتصال بعامة الناس ومحاطين بالفراغنة فقط ، وحتى هؤلاء الفراغنة لايسكن الاتصال بهم ، إذ كانت لهـم دور وشـوارع خاصة بهم ، ومفصولة عن اسواق العامة المزدحمة(١٦٢) .

الاثير ، الكامل ٦/٤٣٩ ، طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ٢٥٣ وما بعدها ،

Le strange, Baghdad during The Abbasid Caliphate, p. 26.

ولقد بقيت الاسواق تشغل جانبي الطاقات الاربعة في مدينة المنصور المدورة حتى عام ١٥٧ للهجرة (الموافق ٧٧٢ للميلاد) حينما ابدى رسول ملك الروم ملاحظاته حول تلك الاسواق ، وعن وجودها وانه ليس من الحكمة وضعها على مقربة من القصر . فقرر المنصور تحويلها الى محلة الكرخ التي اقيمت خارج اسوار المدينة لهذا الغرض .

(١٦٢) Ahmad, The Role of the Turks in Iraq during the Caliphate of Mu'tasim, p. 67.

ويبدو ان المعتصم في قراره هذا كان لايزال يتذكر المشاكل التي اثيرت في بغداد بين سكنيها وجنده الاتراك ، ولقد اوضح اليعقوبي هذه الفكرة بصورة واضحة في رواية له فقال : « وافرد ـ يقصد المعتصم ـ قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعا وجعلهم معتزلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولدين ولا يجاورهم الا الفراغنة »(١٦٣) وامر خاقان عرطوج « بضم اصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس »(١٦٤) .

وزيادة على ذلك ،فانه أمر بأن تكون إقطاعات الاتراك بعيدة عن الاسواق وعن الاقسام المزدحمة . إذ كان يرغب أن تخطط مساكنهم على شوارع واسعة وأزقة طويلة كي يوفر لهم الاجواء التي تلائم صفاتهم الطبيعية .

وهذا يقودنا الى ان نستنتج أن سامراء كانت مجزأة الى اقسام سكنية متعددة ، كل قسم منها أقطع (منح) الى قائد معين مع أتباعه . ولقد اقيمت هذه التقسيمات على اساس الميزات القومية والاماكن الاصلية .

رابعاً ـ وطبقاً للرواية التي قدمها اليعقوبي ، فأن المباني اتسعت جنوب سامراء حتى المطيرة حيث كانت مقاطعة أشناس على بعد فرسخين (١٠ كيلو مترات)الى جنوب المدينة ، وقد وصل إتساع المدينة شمالاً الى موضع الكرخ حيث مقاطعة أشناس واتباعه ، على بعد عشرة كيلومترات شمال مركز المدينة ، وهكذا فأن إتساع المباني المختلفة بلغت نحواً من عشرين كيلومتراً .

أما العمائر التي بناها المعتصم على وجه التأكيد ، او تلك التي تنسب اليه فهي :

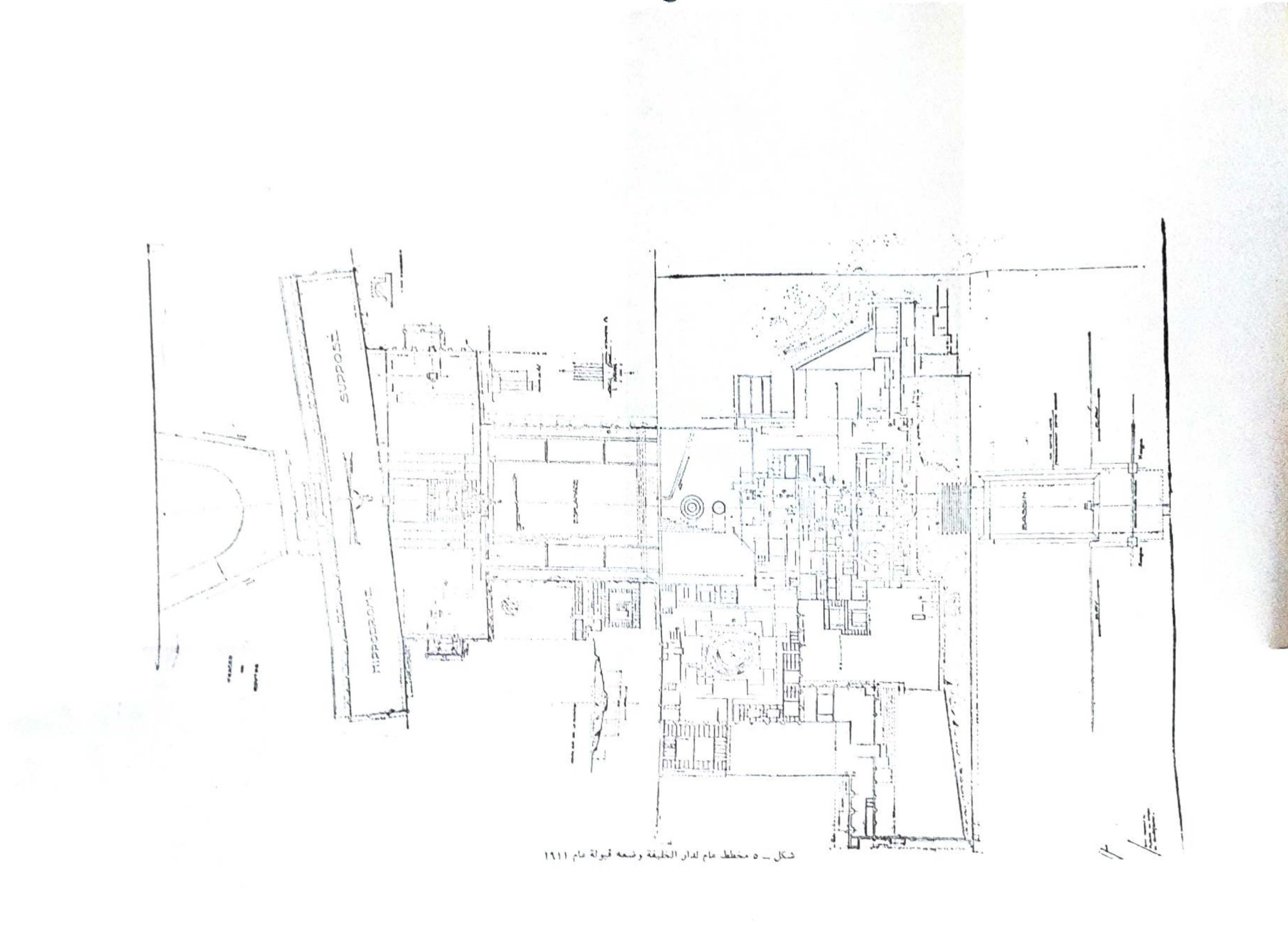
١ ـ قصر المعتصم « الجوسق الخاقاني »
٢ ـ بناية الحويصلات
٣ ـ معسكر الاصطبلات

(١٦٣) البلدان ، صفحة ٣٢ .
(١٦٤) البلدان ، صفحة ٣٣ .

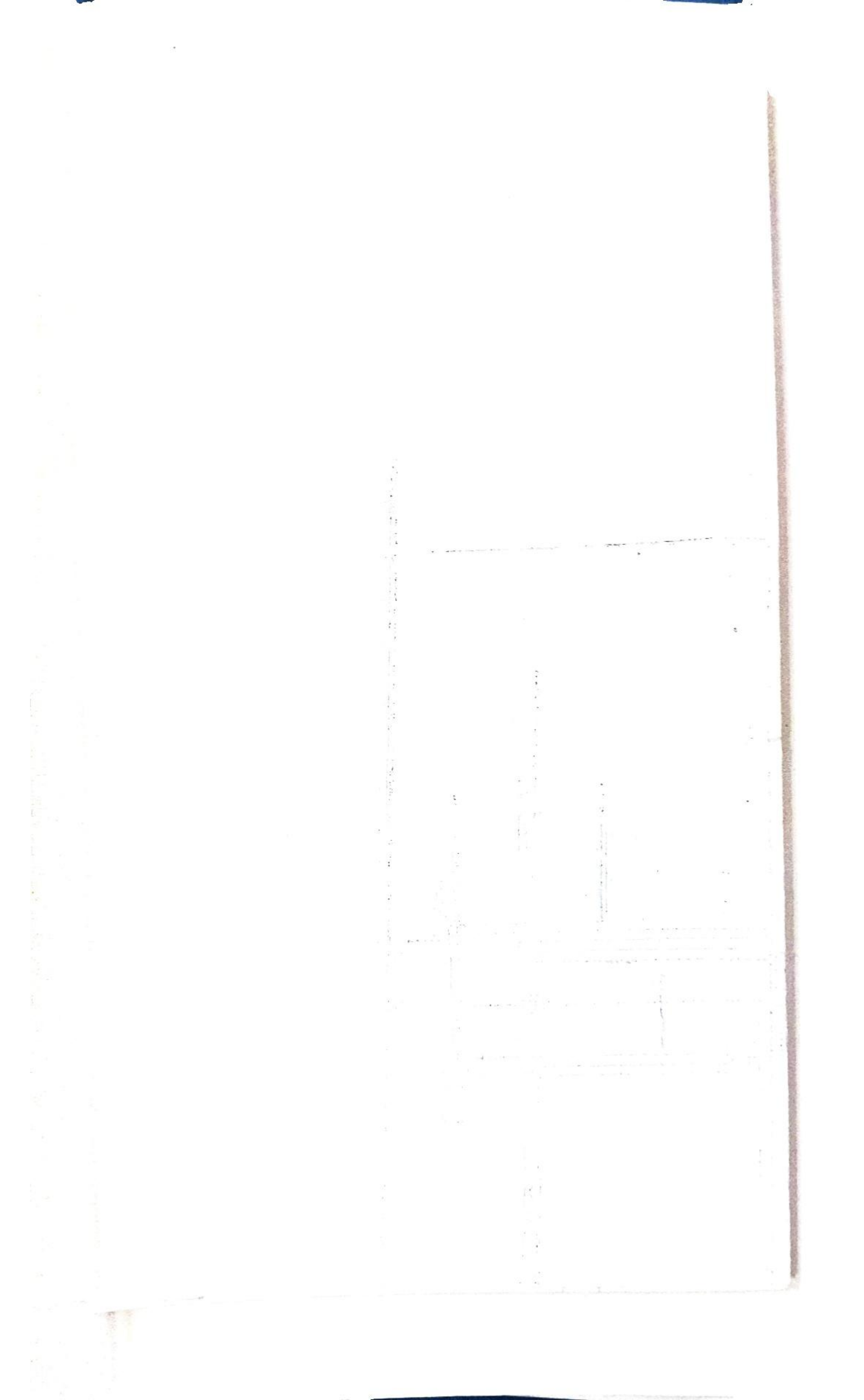
الباب الثالث

العمارة العباسية في سامراء

في عصر المعتصم



شكل ـ ٥ مخطط عام لدار الخليفة وضعه فيولة عام ١٩١١



١ - قصر المعتصم «الجوسق الخاقاني»

تعد آثار هذا القصر اكثر البقايا شخوصاً للعمارة المدنية لسامراء ، وقد لفتت انتباه عدد من الباحثين وعلماء الآثار الغربيين منذ منتصف القرن التاسع عشر . غير ان التنقيب فيها لم يبدأ الا في السنين العشرة الاولى التى مضت من القرن العشرين ، عندما قام المهندس المعماري الفرنسي ڤيولة بالتنقيبات الاثرية الاولى فى دار الخليفة[1] .

وقد وصف ڤيولة هذه البقايا التي تضم مجموعة من ثلاث غرف كبيرة متوازية معقودة ، وتعرف بطيسفون العرب ، إذ يذكرنا نظامها وترتيبها ببقايا ذلك القصر الساساني الكبير . والحقيقة أن هذه البقايا انما تؤلف جزءاً صغيراً فقط من قلعة عظيمة يبدو انها تغطي منطقة تقدر مساحتها بحوالي ٢١ هيكتاراً ، كما هو واضح من مسح عمل من قمة العقد الاوسط ، ونستطيع أن نميز عدداً من خطوط متوازية ومتشابهة فى هذه الكومة العظيمة من الآثار التي يظهر كأنها تحد تخوم بناء عظيم . وقد التقطت صورة فوتوغرافية من نقطة الملاحظة تلك صاحبها فحص نظري دقيق ساعد في رسم المخطط العجيب الذي اقدمه[2] . . (شكل — ٥)

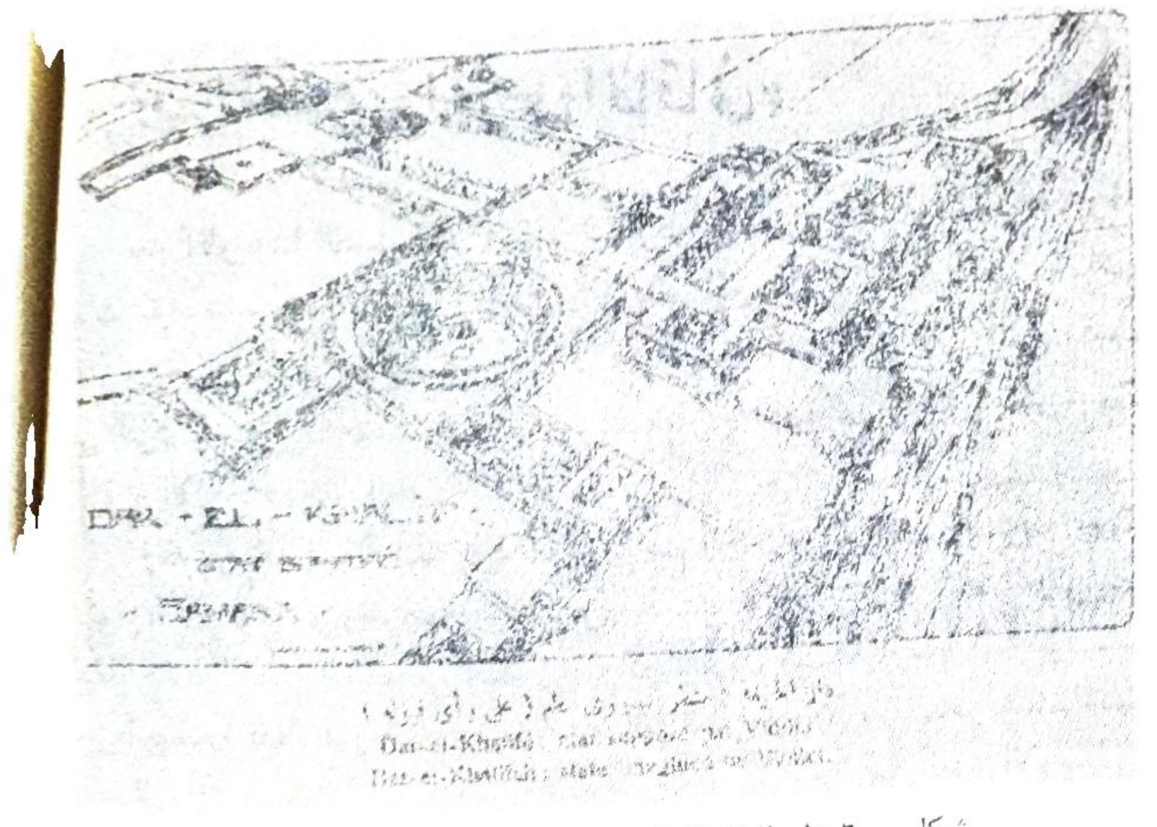
وربما يقارن هذا المخطط مع ذلك التخطيط الخيالي الذي عمله ڤيولة . (شكل — ٦)

لم تعر النصوص العربية أي اهتمام لهذا القصر، وابحاث المؤرخين العرب عن سامراء قد اهملت تماما أي وصف لهذا البناء الكبير ، ومع ذلك فأن

---

(١) مديرية الآثار العامة ، حفريات سامراء ، صفحة ١ ، لعله يلاحظ بان كل القصر كان يدعى بأسم « قصر المعتصم » وقد دعى كذلك نسبة الى مؤسس سامراء ، كما عرف في نصوص المؤرخين العرب باسم «الجوسق الخاقاني» . انظر البلدان صفحة ٤٠ و التاريخ ٢/١٦٤ —١٦٨ لليعقوبي . اما باب العامة الذي لاتزال بقاياه قائمة حتى الوقت الحاضر فانه كان المدخل لهذا القصر ويعد افضل جزء محفوظ من القصر ، ويحتوي على بوابة ذات ثلاثة عقود .

(٢) Violet, Description du Palais de al-Moutasim Fils d, Haroun al-Raschid a Samarra, p. 15.



شكل ــ ٦ دار الخليفة : منظر تصوري من وضع ڤيولة

الاوصاف والابحاث التي قدمها الباحثون المحدثون وعلماء الآثار تكون مادة كافية في الكشف عن مخططه .

وقد كتب « جون روس » الذي جاس خلال سامراء في عام ١٨٣٤ أنها اكثر البقايا حفظاً في الموقع ، وقدم وصفاً مختصراً لكل المنطقة التـــي استقصى معالمها « ڤيولة » فيما بعد .

ووصف « روس » هذا يطابق تماماً مخطط « ڤيولة » ، كما أن قياساته مماثلة لها تقريباً[٣] .

وقد وصف « روس » الجوســق الخاقاني بأنه كومة من الخرائب على شكل حرف T طويل على حافة الضفة المرتفعة مقسمة بواسطة ثلاثة جدران متقاطعة ، واقصى إمتداد لها كما ذكره حوالي ٩٠٠ خطوة وعرضه ٥٨٠ خطوة . ويحتوي على صف من الابواب ، وغرف معقودة ، واقبية

(٣) Violet, Description.., p. 16.

أرضية ، مع عدد من المناطق الفارغة مقسمة بجدران متقاطعة ، واحد هذه الاقبية يوصل الى عمق عظيم يدعى « الجب »(٤) .

بعد بحث « فيولة » بمدة قصيرة جرت تنقيبات اثرية واسعة جداً ، قامت بها بعثه المانية تحت اشراف « سارة » و « هرزفيلد » .

وقد كتب «هرزفيلد » أن التنقيبات في هذا القصر أنجزت خلال فترة اكثر من سبعة اشهر ، مستخدمين عدداً من العمال بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ عامل ، وسكة حديد محلية ، وقد كانت منطقة القصر محاطة بسور يصل الى ١٧٥ هكتاراً من ضمنها ٧١ هكتاراً تشغلها حديقة تواجه مع شرفاتها وأقبيتها واحواضها نهر دجلة . وهكذا فأن التنقيبات في جميع مرافق القصر قد تستغرق وقتاً اكثر من عشرين عاماً . وعلى كل حال فأن المشكلة ليست معقدة كما تبدو ، اذ انه من الممكن عن طريق الدراسة الدقيقة حتى من غير اجراء عمليات التنقيب تتبع التخطيط العام للقصر والجزء الأعظم من ترتيب قاعاته وغرفه المختلفة . وعلى هذا فأن اعمال التنقيبات هذه يمكنها ان تحدد الاجزاء الرئيسية مثل الاجزاء الواقعة على المحور الرئيسي . وقد تم كشف ما يقرب من (١٤) الف من الامتار المربعة ، وازيل (٣٢) الف ذراع من الانقاض منها حوالي (١١) الف متر مربع من الانقاض جاءت نتيجة الحفائر التي اجريت في وسط القصر . وقد بدأت اعمال الحفر بعدد من المجسات الاختبارية التمهيدية الصغيرة في المحور الرئيسي والمحور العرضي للرحبة الكبرى نظراً لتأخر وصول السكة الحديدية المحلية ، وبعد ذلك إتسعت اعمال الحفر الى وسط البناء الرئيسي .

وكان مخطط التخطيط الواسع يظهر خطوة خطوة ، واصبح واضحاً بشكل تام اثناء عملية التنقيبات ، وحينما ظهر مخطط المدينة تبين بأن تلك المجموعة المعقدة من المباني كان لها مدخل واحد فقط ، وكان هذا المدخل في وسط جانبها (الغربي) حيث لاتزال بقاياه قائمة الى الوقت الحاضر وتعرف بـ (باب العامة) . ولذلك فأن اتجاهه مغاير لاتجاه قصر بلكوارا وينتمي الى

---

(٤) The Journal of The Royal Geographical Society. XI, p. 128.

طراز يختلف عنه تمام الاختلاف[٥] . (شكل — ٧)

ولقد شاهد « روس » الذي زار بقايا القصر في عام ١٨٣٤ رصيفاً منحدراً قائماً على عقود يقود الى الوادي[٦] .

وبعد مضي فترة قامت مديرية الآثار العراقية بأعمال التنقيب في ربيع عام ١٩٣٦ ، واستمر العمل بعدئذ كل عام خلال فترة تتراوح بين شهرين وثلاثة اشهر لكل موسم حتى عام ١٩٣٩[٧] .

والتنقيبات المنظمة التي قام بها البروفسور هرزفيلد في القصر اماطت اللثام عن قسميه الاوسط والجنوبي مع اقسام اخرى منه ، مثل قاعة العرش ، وغرف التشريفات ، والحمام ودوائر الحرم . كما عثر على آثار كثيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة ، غير أن الناس استمروا على إقتلاع الآجر من جدران القصر لاستعمالها في عماراتهم المختلفة ، فلم يبق في الوقت الحاضر من الغرف والقاعات التي اكتشفها هرزفيلد شيء غير الانقاض الكلسية[٨] .

كان دار الخليفة يقع كما روى اليعقوبي على شارع السريجة[٩] وكما أشار المؤرخون فأنه قد اقيم على ارض تعود الى دير مسيحي اشتراه المعتصم من اصحابه[١٠] .

وكان القصر يقع على جرف كان على عهد ڤيولة (في عام ١٩٠٩) يشرف على سهل واسع يجري النهر في وسطه ومن غير شك فأن هذا النهر كان يمر قريباً من اسفل القلعة . وعند الواجهة الأمامية التي تطل على النهر رصيف منحدر يؤدي الى الوادي [شكل — ٦] [١١] ، وقد كتب « روس » أن

---

(٥) Herzfeld, Mitteilung über die Arbeiten der Zweiten Kampagne Von Samarra, Der Islam, V. pp. 198 f.

E.M.A., 11, p. 232. الجمل المذكورة اعلاه مقتبسة من كتاب كريزويل مع تحوير بسيط .

(٦) J.R.G.S., XI, p. 129.

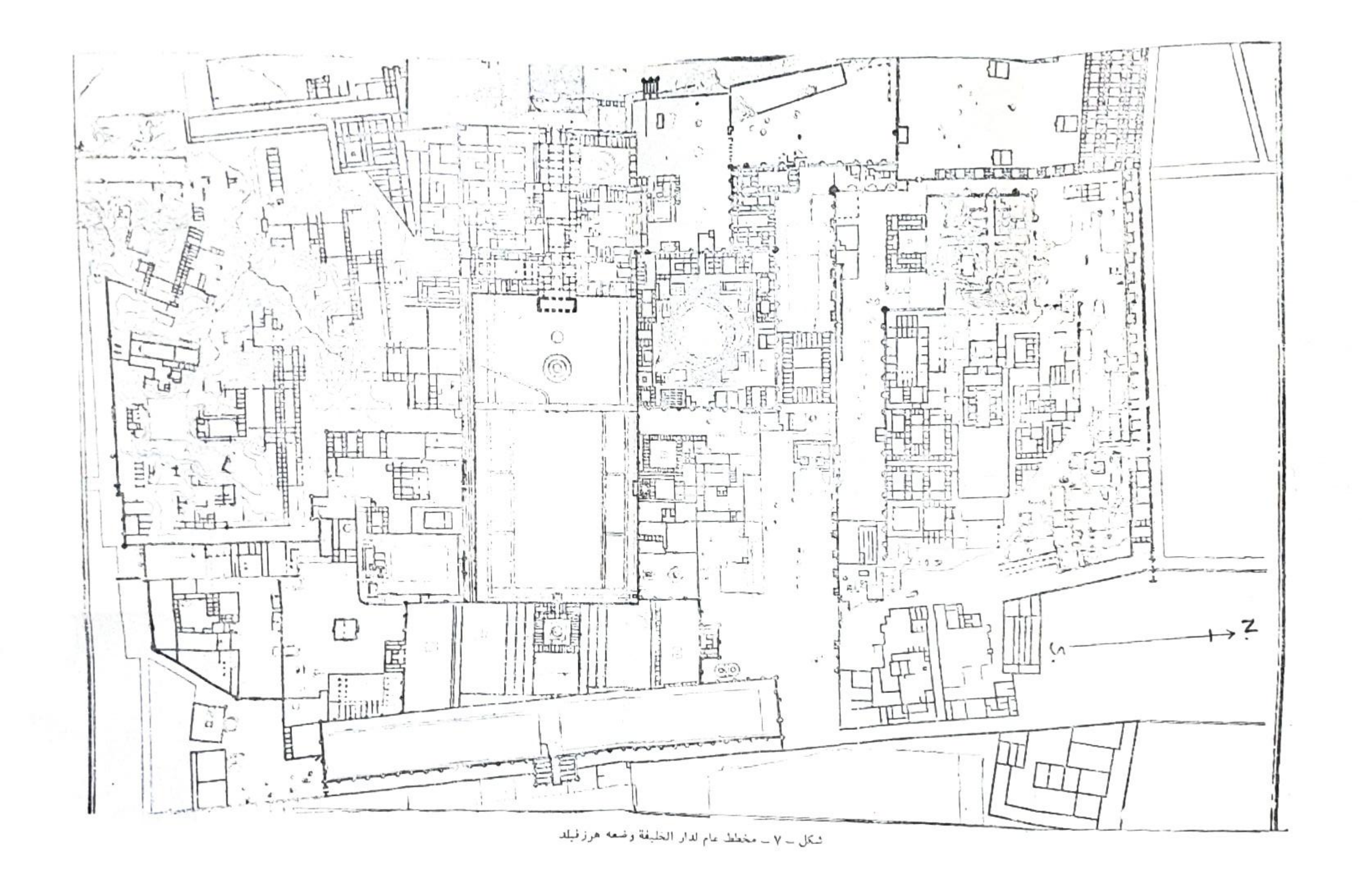
(٧) مديرية الآثار العراقية ، حفريات سامراء ، ١/١ .

(٨) مديرية الآثار العراقية ، سامراء صفحة ٥١ وما بعدها .

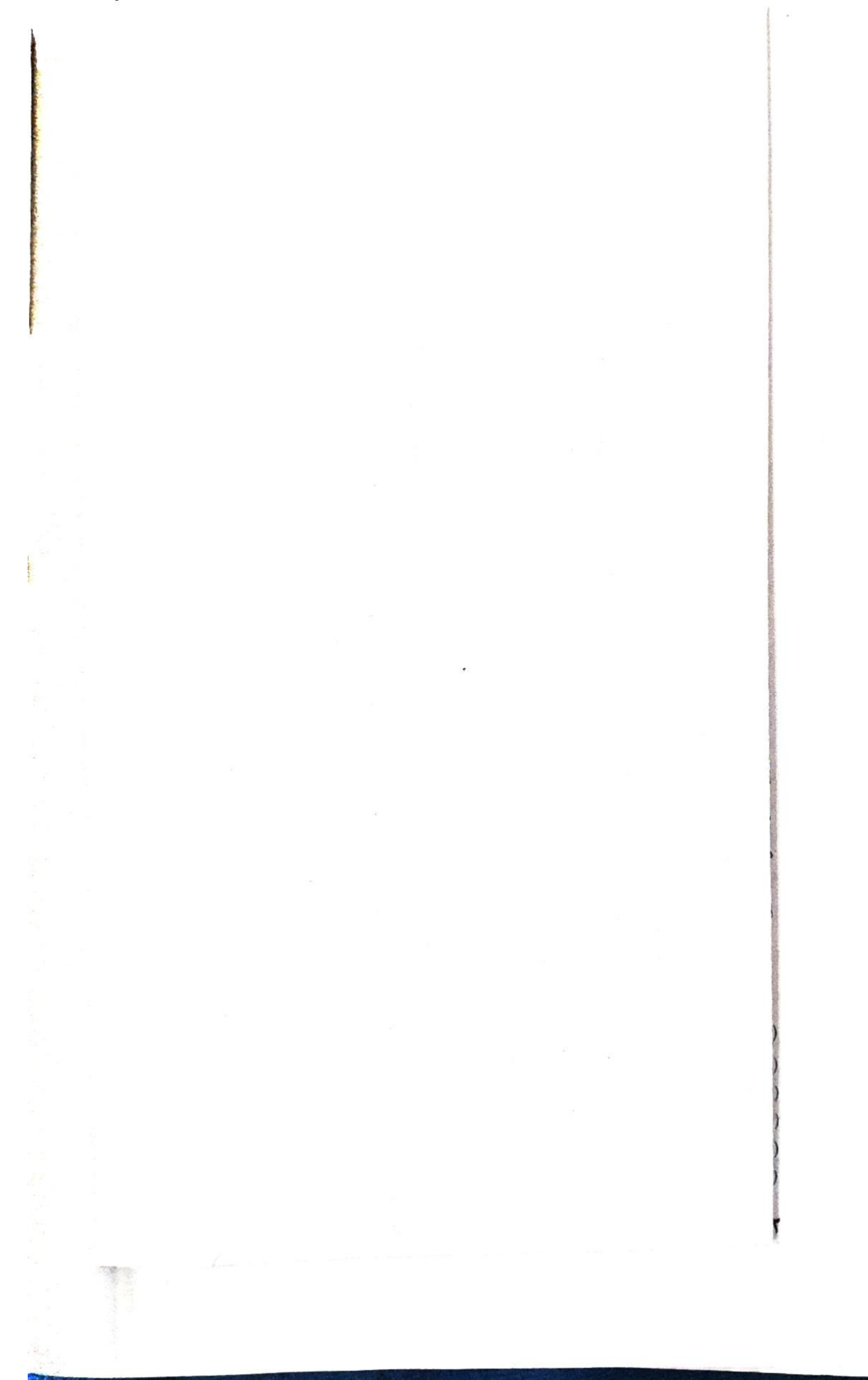
(٩) البلدان صفحة ٣٥ .

(١٠) تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف صفحة ٣٥٧ .

(١١) Viollet, Description, p. 17.



شكل – ٧ – مخطط عام لدار الخليفة وضعه هرزفيلد



هذا الرصيف يقوم على عقود[١٢] ولكن فيولـة قال أنـه لـم ير ذلـك الرصيف[١٣] • والجرف مصنوع من مزيج من المعدن والحصى مشغول من حجر الكلس على طراز يعرف بـ «Pudding»[١٤] •وللمحور الرئيسي اتجاه شرقي ـ غربي عند الزاوية اليسنى لقاع النهر تقريباً ، ويتسع ليشـكل عند نهايته قاعة معترضة كبيرة تكون هيئتها على شكل الحرف T[١٥] •

والطول الكلي للقصر حـوالي ٧٠٠ متر ، وعرض الجهـة الأماميـة الرئيسية التي تطل على النهر حوالي ٢٠٠ متر ، ويغطي مسـاحة من الارض مقدارها ٢١٠و٠٠٠ متر مربع[١٦] •

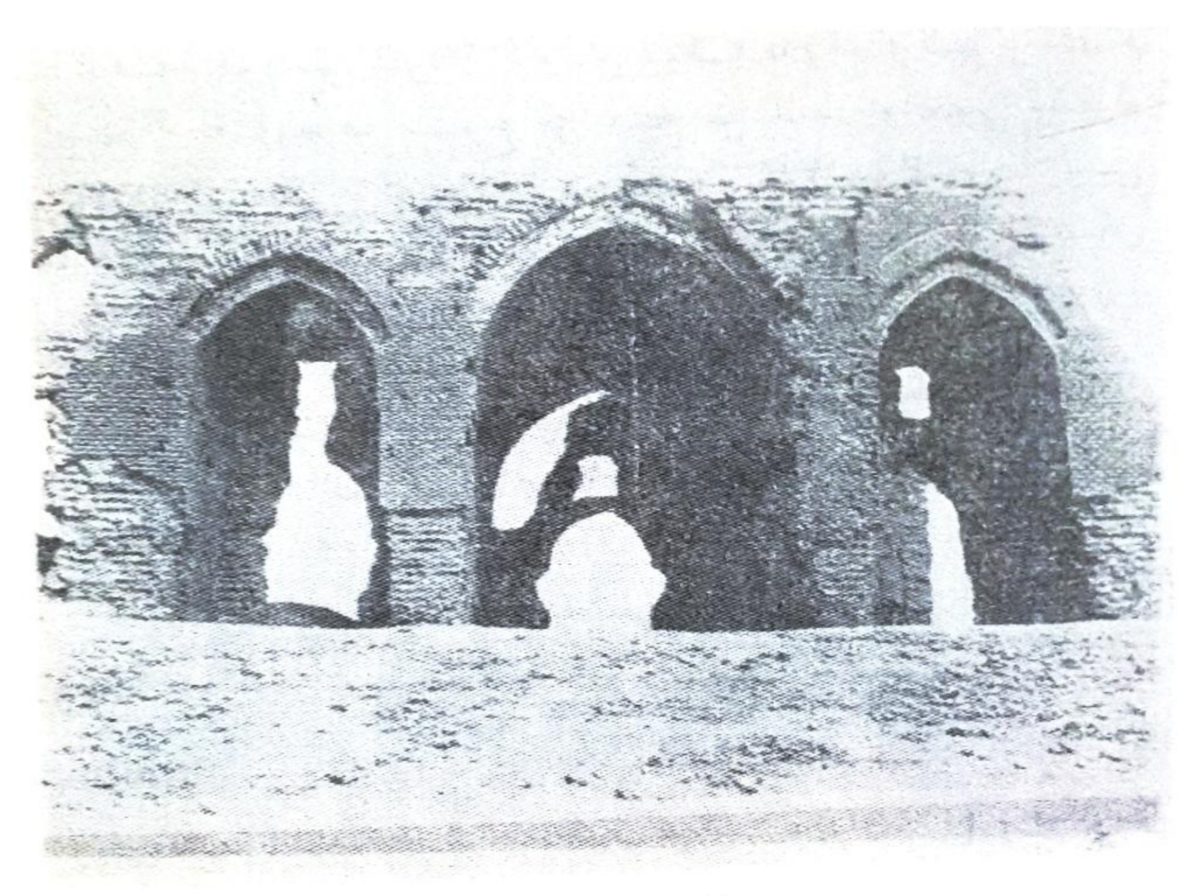
ونبدأ وصف هذا القصر ابتداءً من البناء الرئيسي له الذي لايزال قائماً والذي يعرف باسم باب العامة •

باب العامة

وهذا هو البناء الفخم الوحيد المتبقي من بيت الخليفة[١٧] [شـكل ـ ٨] ـ وقد قال « جونس » الذي زار الموقع في عام ١٨٤٦ بأن المدخـل هو البناء الوحيد الذي لايزال قائماً[١٨] • والاواوين الثلاثة التي تشاهد تؤلف القسم الاوسط للبناء ، وتنتمي من غير شك الى الأقسام العامة والمكشوفة من القصر[١٩] • وهذا القسم ، كما يشاهد ، يحتوي على عقد ثلاثي ضخم ، ارتفاع واجهته (١٢) متراً تقريباً [شكل ـ ٩] وهي تطل على نهر دجلة[٢٠] • وتتضمن قاعة التتويج الكبير ، الايوان • ويشتمل القسم الاوسط على غرفـة عميقة مكشوفة تؤلف الايوان الكبير ، الذي لا تزال قياسـاته غير مؤكدة •

---

(١٢) J.R.G.S., XI, p. 129.
(١٣) Viollet, Description., p. 17.
(١٤) نفس المرجع صفحة ١٧ .
(١٥) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(١٦) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(١٧) Bell, Amurath to Amurath, p. 240.
(١٨) J.R.G.S., 1848, pp. 6 ff.
(١٩) Viollet, Description., p. 17.
(٢٠) Creswell, E.M.A., 11, p. 232.



شكل — ٨ — باب العامة

اما بالنسبة الى كريزويل فأن عرضه (٧ر٨٦) متر وعمقه (١٧ر٥٠) متر وارتفاعه (١١ر١٠) متر[٢١] ، وقد اعطى ڤيولة القياسات كما يلي : (١٧) متراً الطول و (٨) امتار العرض و (١١) متراً الارتفاع[٢٢]، بينما كانت قياسات هرزفيلد (٨) امتار للعرض و (١٧ر٥) متر للطول[٢٣]. واشار الجنرال دي بيليه الى أن ارتفاع عقد المدخل (١٣) متراً وطوله (١٦) متراً وعرضه (٨) امتار[٢٤] . أما بسوجب قياساتي فأن عرضه (٧ر١٨) متر وعمقه (١٧ر٤٢) متر[٢٥] .

---

(٢١) نفس المرجع ، صفحة ٢٣٤ .

(٢٢)

(٢٣) Description., p. 18.

(٢٤) Samarra., p. 5.

(٢٥) Prome et Samarra, p. 124.
ومهما يكن من امر فان مديرية الآثار القديمة العراقية تعطي القياسات كما يلي : (٨) امتار للعرض و (١٧ر٥) متر للعمق . انظر نشرة المديرية المذكورة ، سامراء ، صفحة ٥٢ .

وخلف هذا الايوان الكبير باب عرضه (٣ر٧٥) متر وعمقه (١ر٣٢) متر[٢٦] [انظر الشكل — ٩] وهو يشبه شكل العقد الامامــي • وفي اعلى الباب مباشرة شباك ذو عقد مدبب متوســط الارتفاع [لــوحة — ١٠] ، وعلى جانبي الايوان توجد غرفتان صغيرتان عميقتان ، وارتفاعهما ليس مثل ارتفاع الحنيتين الكبيرتين[٢٧] ، عرض كل واحدة منهما (٤ر٤٥) متر وعمقها (٤ر١١)متر ، والقسم الذي يقع خلف العقد الامــامي مغطى بنصف قبــة مرتكزة على اربعة محاريب [شكل — ١١] ، وفي الوسط شباك مستطيل •

وقد نقل كريزويل عن روزنتال بأن الحنية الركنية تحتوي على جــزء اسطواني منخفض مشيد من الطابوق المرصوف في مسافات (مداميك) افقية حيث يكسل المسافات فى المنطقة المحصورة بينها • الا ان نصف القبة بنيت من الحجارة الصغيرة ، وذلك بسبب صعوبة بناء مثل هذا العقد بالطابوق المربع المسطح[٢٨] • وتبرز مؤخرة ومقدمة القسم نصف الاسطواني عن الجدار ، بينما رصف القسم الذي بينهما مرتداً الى الوراء • وليست هناك منطقة مثمنة كما هو الحال فى (خوجا خليسي)و (الرصافة) ، لان المنطقة المحصورة بين الانحناءات تتجه الى الأمام لتلاقي حافة العقد •

وهذه الايوانات الجانبية كما فى (فيروز آباد) و (سرقستان) تؤلف كل واحدة منها مدخلاً فخماً الى الغرفة ذات العقد نصف الدائري ولها نفس العرض ، وتقع في الخلف ، حيث يؤدي باب الى مدخلها عرضه ١ر٧٥ متــر وارتفاعه ٥ر٥٥ متر ، ومع ان هذيــن الايوانين الجانبيين أقل ارتفاعاً مــن الايوان الاوسط بحوالي متر ونصف فأن الغرفتين الخلفيتين لهما تقريباً نفس الارتفاع (١٠ر٨٠ × ١٠ر١١ م)[٢٩] •

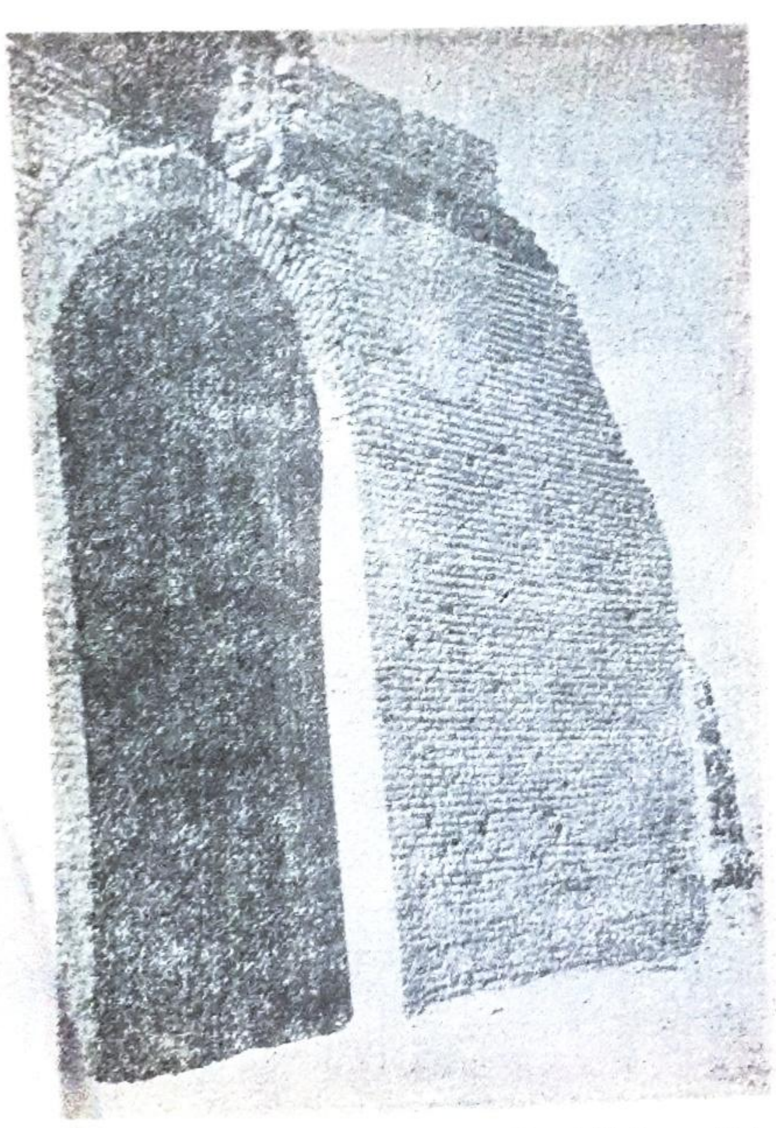
---

(٢٦) الارقام التي ذكرت اعلاه كانت بموجب قياســاتي الخاصــة ، غير ان هرزفيلد في كتابه Samarra صفحة ٢٣٤ يقدم الارقام التالية (٤) امتار امتار للعرض و (١٦) متراً لــلارتفاع . بينما كريزويــل في كتابــه E.M.A., Vol. II. صفحة ٢٣٤ فانه يقدم الارقام التالية (٤) امتار للعرض و (٧ر١٠) متر للارتفاع .

(٢٧) Viollet, Description., p. 18.

(٢٨) E.M.A., 11, p. 234.

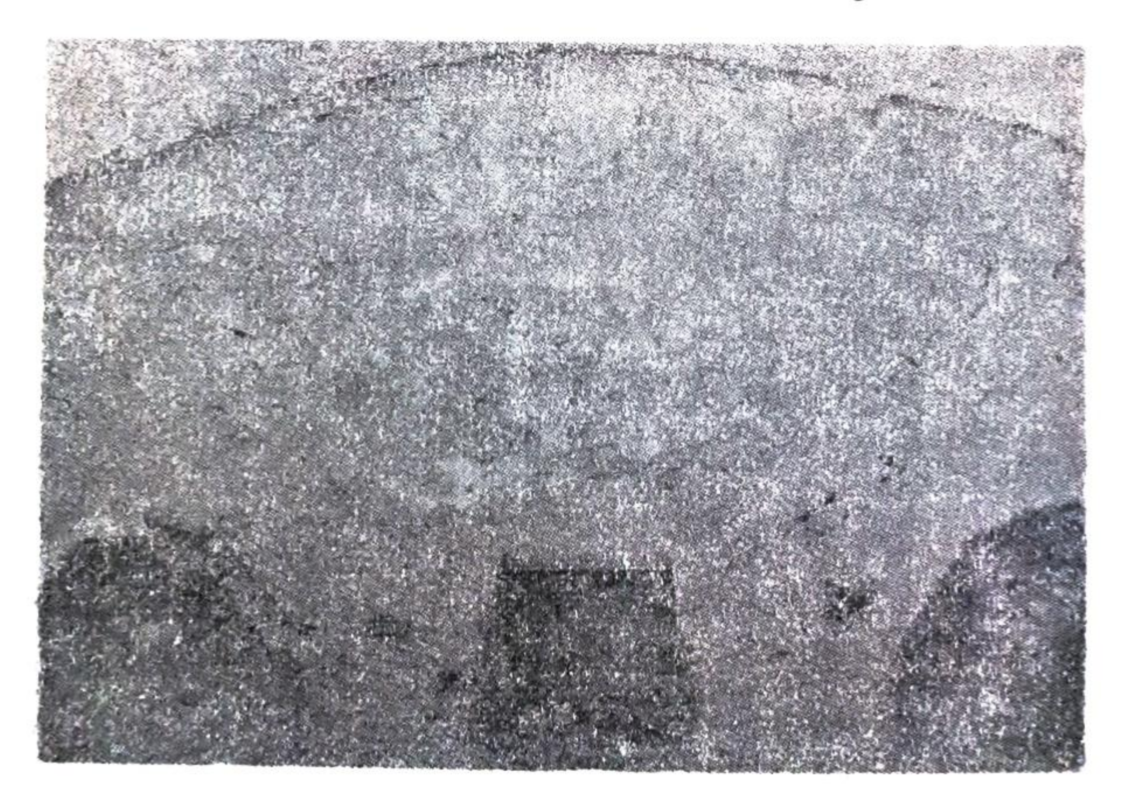
(٢٩) نفس المرجع صفحة ٢٣٤ .



شكل ــ ٩ الباب الخلفي للايوان الاوسط من الخارج



شكل ـ ١٠ شباك ذو عقد مدبب فوق الباب الخلفي



شكل ـ ١١ القسم الذي خلف العقد الامامي للغرفة في الجهة اليمنى

يقول هرزفيلد أن هناك شباكاً في أعلى الجدار الخلفي (٣٠) ، وان الغرفتين الجانبيتين اللتين يدخل اليهما من الامـــام لا توصلان الى الايوان الكبير ، ولهذا السبب ، فانهما كما اشار هرزفيلد لا تستعملان لأيغرض سوى كغرف للحراسة (٣١) . وخلف الايوان الرئيسي لاتزال تشاهد آثار غرفة مربعة ذات سقف مسطح ومدعوم بمساند اضافية نظراً لضعف جدار هذا الايـوان .

وقد اوضح « هرزفيلد » أنه من المحتمل ان يكون « جـون روس » قد شاهد من آثار باب العامة اكثر مما شاهده هو ، وكتب كذلك بأن اعادة تصميمه للقصر لايمكن ان يعـد صـورة كاملة لـه اذا لم تكن هنـاك بقايا كافية تسمح لتقديم صورة كاملة وحقيقية له(٣٢) .

وفي الجدار الواقع الى يسار شمالي غرب الايوان ينفذ شباك طويل ضيق ، وفوقه شباك اوسع منه ، وكلاهما مستطيل الشكل . وتدل ثقوب الروابط الموجودةفي الجدار من الخلف علىأن هناك طابقين تفصل بينهما ارضية خشبية . وعند اقصى الجهة المقابلة تنتهي الواجهة بحافة مهدمة ، لم يبق منها سوى الوجهالعمودي الذي لايزال بعضهمكسواً بالجص حيث لايبلغهذا الكساء الارض . وهذا يشير الى أنه كان هناك شباك آخر مستطيل ، طولـه يساوي طول ذلك الشباك الواقع فى الطرف الاخر المقابل .

وقد استنتج « كريزويل » أنه لابد أن يكون لباب العـامة طابق أعلى ، مستدلا على ذلك بوجود جزء من حائط على ارتفاع خمسة امتار كان يشاهد منذ حوالي ستين سنة مضت يرتفع عموديا فوق الجانب الشمالي من الايـوان الشمالي (٣٣) .

---

(٣٠) Hertzeld, Samarra, p. 6.

(٣١) نفس المصدر صفحة ٦ .

(٣٢) Samarra, p. 6.

(٣٣) E.M.A., 11, p. 234 وقد اشار كريزويل بأنها كانت قد شوهدت من قبل هرزفيلد في عام ١٩٠٥م [تشاهد اللوحة رقم ٣] من كتاب هرزفيلد Samarra ، ومن قبل ڤيولة Description, XXI, pl. XV ، ومن قبل جروترودبل في عام ١٩٠٩ ينظر اللوحة رقم ١٥٢ من كتابها Amurath to Amurath .

الزخارف

لابد ان تكون زخارف الجوسق في الغالب ، زخارف جصية بارزة ، وقد عثر على بعض قطع صغيرة من الملاط ملقاة على الارض تحمل نماذج من صور مائية من النوع البسيط ، وهي عادة على هيئة صف من الدوائر المرسومة باللونين الاحمر والاصفر ، وقد اشارت « جروترودبل » أنه لاتزال هنـــاك (في عام ١٩٠٩) قطعة صغيرة لصيقة بباطـن العقد فـوق فتحـة القاعـــة الوســطى(٣٤) .

وكانت جدران الغرف الرئيسية مزدانة مزخرفة الى ارتفاع اربعين انجاً تقريباً بحلية جصية بارزة تشكل افريزاً(٣٥) .

الايوان الكبير والغرفتان المجاورتان له كانا غنيين بزخارف على شـــكل البيض بسلاسل صغيرة ذات اشكال نخيلية صغيرة تحلي جميع أطر البناء(٣٦) . اما داخل الأيوان فكان محلى بزخارف جصية ، كان بعضها لايزال في موضعه ، فى بداية هذا القرن اذ عثر العالم الفرنسي فيولة على معظمها فى الانقاض ، ثم عثر على البعض الاخر العالم هرزفيلد(٣٧) .

وقد كتب كريزويل أن باطن العقد الامامي للايوان الكبـير كان محلى بزخارف جصية مقسمة الى قسم وسطي عريض يحف به قسمان أقل عرضاً منه ، وعرض كل شريط من الشريطين الاخرين ٣٢ سم يتألف من زخارف من زوج من اغصان شجرة العنب ترتفع لولبيا لتكون صفاً مزدوجا مـــن الدوائر ، كل صف يحتوي على وريقة من اوراق العنب يفصل كل فص من من فصوصها ثقوب تشبه العيون تحيط بها حزوز يتميز بها الطراز المعروف بطراز سامراء الثالث (لدى كريزويل الطراز الاول)(٣٨) . والقسم الاوسط

---

(٣٤) Bell, Amurath to Amurath, p. 241.

(٣٥) Herzfeld, Der Wandschmuck der Bauten Von Samarra, und Seine Ornamentik, pp. 217ff.

(٣٦) D.P.M., p. 18.

(٣٧) Creswell, Early Muslim Architecture, 11, p. 234.

(٣٨) لغرض التوسع في الطرز المختلفة لزخارف سامراء تراجع المصادر التالية :
Herzfeld, Der Wandschmuck Der Bauten Von Samarra, und Seine Ornamentik, pp. 5-10 and 117. Dimand

عرضه ٩٥ سم زخارفه عبارة عن ورقة عنب طويلة الساق • ولسوء الحظ فأن قطع الزخارف المتبقية غير كافية لكي نستطيع أن نعرف كيف كانت تزخرف مراكز الوريدات والمساحات المحصورة بينها(٣٩) •

وقد أعاد العالم هرزفيلد ترتيب بعض الزخارف في الايوان الكبير من قطع من الزخارف الجصية(٤٠) [شكل — ١٢] • وكان « ڤيولة » قد عثر على بعض هذه القطع(٤١) •

غرفة العرش

وتشتمل هذه الغرفة على قاعة وسطى مربعة ، محاطة بأربع قاعات تشكل هيئة الحرف T • وتعطي شكل تقاطع دعامة هلالية الراس [انظر الشكل — ٧] • وقد تم العثور في غرفة العرش التي كانت على الارجح مسقفة بقبة ، على بقايا اطار من رخام جميل(٤٢) • وقد اشار « هرزفيلد » بأن أمثال هذهالقاعات التي على شكل الحرف T كانت توجد فى البيوت الخاصة كصورة بسيطة لقاعات الاستقبال ، ولكنها تختلف عن جميع الأمثلة المعروفة في الوقت الحاضر ، في ان الاجزاء التي تؤلف تقاطعاً (تصالباً) قد بنيت على طراز البازيليك ذات الأروقة الثلاثة ، وهكذا فأنها تشبه نوعاً ما قاعة العرش في المشتى ولكنها هنا (يتصد في غرفة العرش بقصر الجوسق

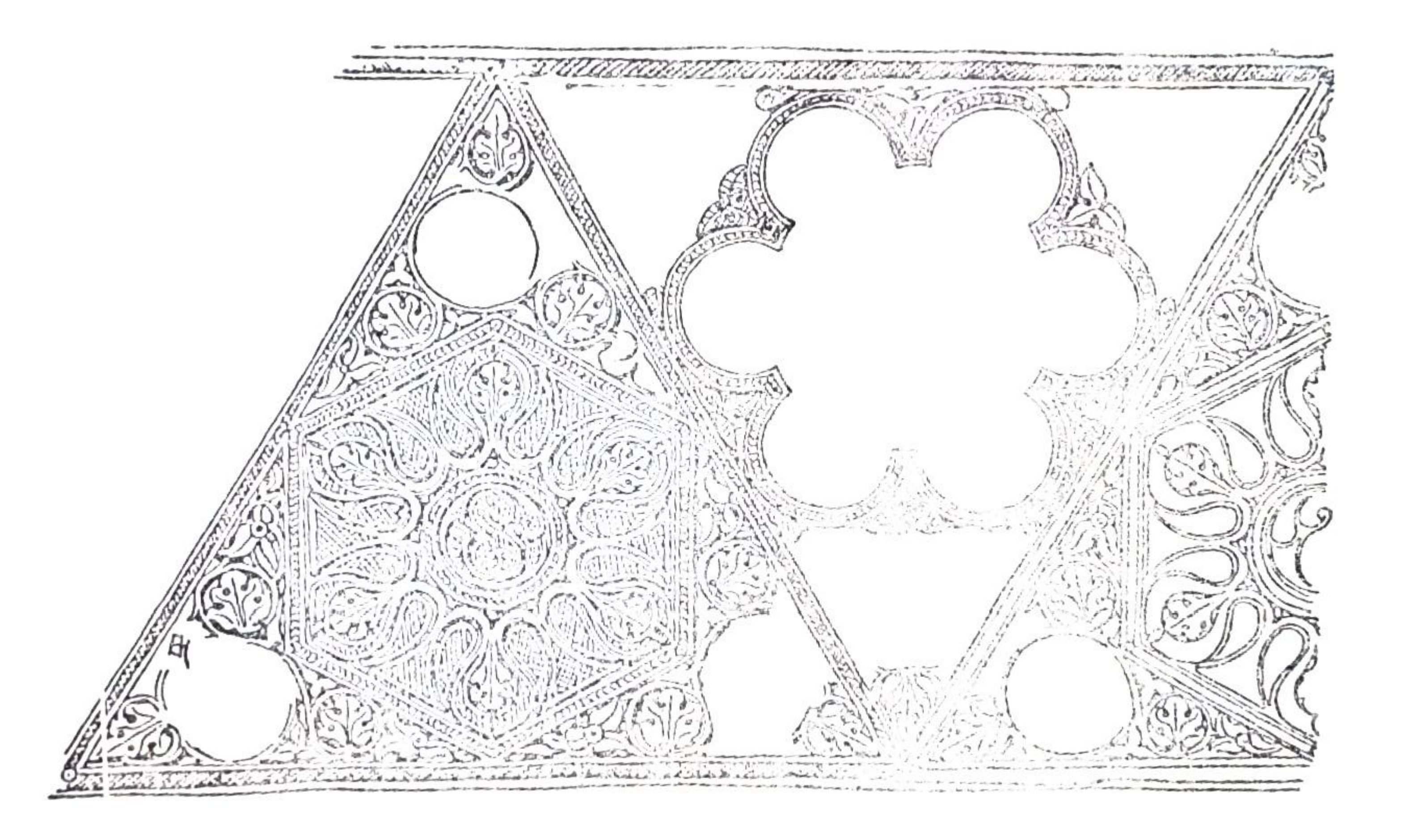
Samarra Ophemeral, p. 88, Creswell, E.M.A., 11, p. 234; Hameed, The Stucco Ornament of Samarra, pp. 12-22, (Ph. D. Thesis); Rice, Islamic Art, pp. 32-34.

(٣٩) Creswell, Early Muslim Architecture, 11, pp. 234f.

(٤٠) Herzfeld, Mshatta Hira und Badiya, in the Jahrb. der preuszischen Kunstsammlungen XLII, pp. 138f., and der Wandschmuck der Bauten von Samarra und Seine Ornamentik., pp. 217-222, Abb. 307-11, and Taf. XCVI.

(٤١) Viollet, Un Palais Musulman du IXe Siecle, pp. 707ff. (pp. 25f).

(٤٢) Creswell, Barly Muslim Architecture, 11, p. 237.



شكل ــ ١٢ تصميم هرزفيلد للزخارف الجصية في الايوان الكبير بباب العامة من قطع صغيرة عثر عليها في الموقع

الخاقاني مكررة اربع مرات ، وسبب ذلك واضح وهو الحاجة لتجهيز القسم العلوي بشيء يسمح بدخول الضوء(٤٣) .

وقد عثر في هذه القاعات البازيليكية على بقايا زخارف جصية في بواطن الأقواس ، وقد حاول « هرزفيلد » أن يجمع بعضها الى البعض الآخر . وينبغي أن نؤكد أن تلك البقايا التي وضعها « هرزفيلد » جنباً الى جنب في محاولة منه لاعادة تصميمها ، لاتمثل شريطاً ثلاثياً ، وانما هي ثلاثة امتدادات متفرقة للقطعة المستطيلة ذاتها . ومن قاعة العرش هذه ، وصلتنا حشوة الباب الخشبية المهمة التي تشبه الى حد كبير حشوة الباب الخشبية لجامع ابن طولون في القاهرة .

وبين اذرع التقاطع توجد قاعات اصغر لها أفاريز من بلاطات رخامية ، وهناك ايضاً غرفة لها إفريز من الزخارف الجصية استخدمت مسجداً للخليفة(٤٤) .

الحريم

يمتد خلال الغرفة الوسطى والغرف ذات الشكل T محور مستعرض الى الشمال والجنوب ، وإستمراره كما يبدو متماثل تقريباً . ولقد نقب فقط في القسم الجنوبي ، وهو الحريم [انظر الشكل — ٧] ، وامام القسم الجنوبي للقاعات ذات الشكل T تقع قاعة واسعة تمتد على طول قاعة الحريم .

والجانبان الغربي والشرقي لقاعة الحريم تشغلهما غرف صغيرة للجلوس ، جميعها مجهزة بأنابيب المياه ، بعض هذه الانابيب موصول بأنابيب رصاصية كبيرة ، وبعض منها موصول بأنابيب زجاجية زرقاء ، والبعض الآخر بأنابيب فخارية خشنة ، وهناك ايضا غرف للغسيل ودورات المياه .

وفي الجهة المقابلة لقاعة العرش ، وعند الجانب الجنوبي لقاعة الحريم غرفة مربعة غريبة تشكل عرض هذه القاعة. وفي وسط هذه الغرفة المربعة حوض

---

(٤٣) Herzfeld, Mitteilung, p. 200.
والجمل المذكورة اعلاه مقتبسة عن ترجمة كريزويل في كتابه
والجمل المذكورة مقتبسة عن ترجمة كريزويل في E.M.A., 11, p. 237.

(٤٤) E.M.A., 11, p. 237. ff.

محاط بمشى طوله (٢١) متراً لكل جانب من جوانبه الاربعة . وللغرفة مداخل واسعة على المحاور . ولها اربعة اعمدة رخامية في كل ركن من اركان الحوض[٤٥] .

وقد اشار « كريزويل » أن « هرزفيلد » قد اعلمه بأن هذا الحوض كان اصلا من الجرانيت المصري ومن صنع الفراعنة ، وهو معروض الآن في متحف القصر العباسي[٤٦] . وكانت جميع هذه الغرف مزينة برسوم الاشخاص ، وقد اعاد هرزفيلد تنظيم احدى هذه الرسوم من البقايا التي عثر عليها في الموقع[٤٧] .

الرحبة الكبرى

أمام القاعة الشرقية ذات الشكل T من مجموعة قاعة العرش ، قاعة اخرى كبيرة طولها حوالي (٣٨) متراً وعرضها (١٠٫٤٠) متر ، تطل على الرحبة الكبرى بخمسة ابواب[٤٨] [انظر الشكل — ٧] . وابعاد هذه الرحبة الكبرى تقريباً [٣٥٠ × ١٨٠ متراً] نسبة الى قياس هرزفيلد[٤٩] ، و [٣٠٠ × ٢٠٠ متر] نسبة الى قياس ڤيولة[٥٠] ، ومحاطة بجدران من الشمال ومن الجنوب ، وعند كل عشرين متراً تقريبا يوجد برج نصف دائري يستخدم لغرض اسناد الجدار . وهناك عدد آخر من الابواب في هذه الجدران تفضي الى الابنية المجاورة التي تستخدم كثكنات للجند ، أو كدار للاسلحة[٥١] . وقد اشار ڤيوله بأن هذه الرحبة قد صممت بطريقة

---

(٤٥) E.M.A., 11, 238.

(٤٦) نفس المصدر ، صفحة ٢٣٩ . ومن الجدير بالذكر ان هذا الحوض معروض الآن في متحف القصر العباسي ببغداد .

(٤٧) Mshatta Hira and Badiya., pp. 132-138. وكتابه ايضاً Die Malereien Von Samarra, pp. 22-29. and Abb. 7.

(٤٨) E.M.A., 11, p. 241.

(٤٩) Herzfeld, Mitteilung uber die Arbeiten der Zweiten Kampagne Von Samarra, Der Islam, p. 199.

(٥٠) Viollet, D.P.M., p. 19.

(٥١) نفس المصدر صفحة ١٩ وما بعدها .

مشابهة لتلك التي اتخذت مؤخراً في فرنسا • وعلى مقربة من تلك الجدران مساحات من الازهار التي مع بساطتها تعطي إنطباعا يوحي بالعظمة • ، كما ان هناك بركاً ونافورات مصنوعة من الرخام ، بينما تتم مختلف الحوافز والبواعث المتشابهة هذا الديكور بطريقة مبهجة جداً[٥٢] •

وجميع الرحبة كانت مقسمة بواسطة قناة الى قسم غربي مرصوف ، يزدان بنافورتين ، والى قسم شرقي غير مرصوف فيه اقنية صغيرة[٥٣] •

السرداب الصغير

وفي اقصى الجهة الشرقية لهذه الرحبة سرداب صغير ، يقع على المحور الرئيسي لهذا القصر[٥٤] [انظر الاشكال ٥ و ٧] • ومن غير شك فأنه يؤلف موضعاً مركزياً في التخطيط[٥٥] •

والسرداب نفسه عبارة عن تجويف في القصر • وقد حدد هرزفيلد ابعاد هذا السرداب بـ (٢١) متراً لكل ضلع وحوالي (٨) أمتار للعمق[٥٦] ، الا ان فيولة قدم ارقاماً مختلفة هي (٣٦) متراً لكل ضلع و (١٠) امتار للعمق[٥٧] •

وعند كل جانب من هذا الكهف ، توجد ثلاثة كهوف منقورة بالصخر ، مجمعة حول ساحة مربعة الشكل كانت تحتوي من غير شك على بركة في وسطها • [الشكل — ١٣] • وتخطيط السرداب العام يشكل اهمية خاصة وذلك لانه يضفي عليه مسحة من التناسق • والغرفتان الداخليتان النافذتان اللتان تواجهان بعضهما يؤلفان وسيلة للاتصال بين الكهوف الثلاثة بواسطة ممر

---

(٥٢) نفس المصدر صفحة ٢٠ .

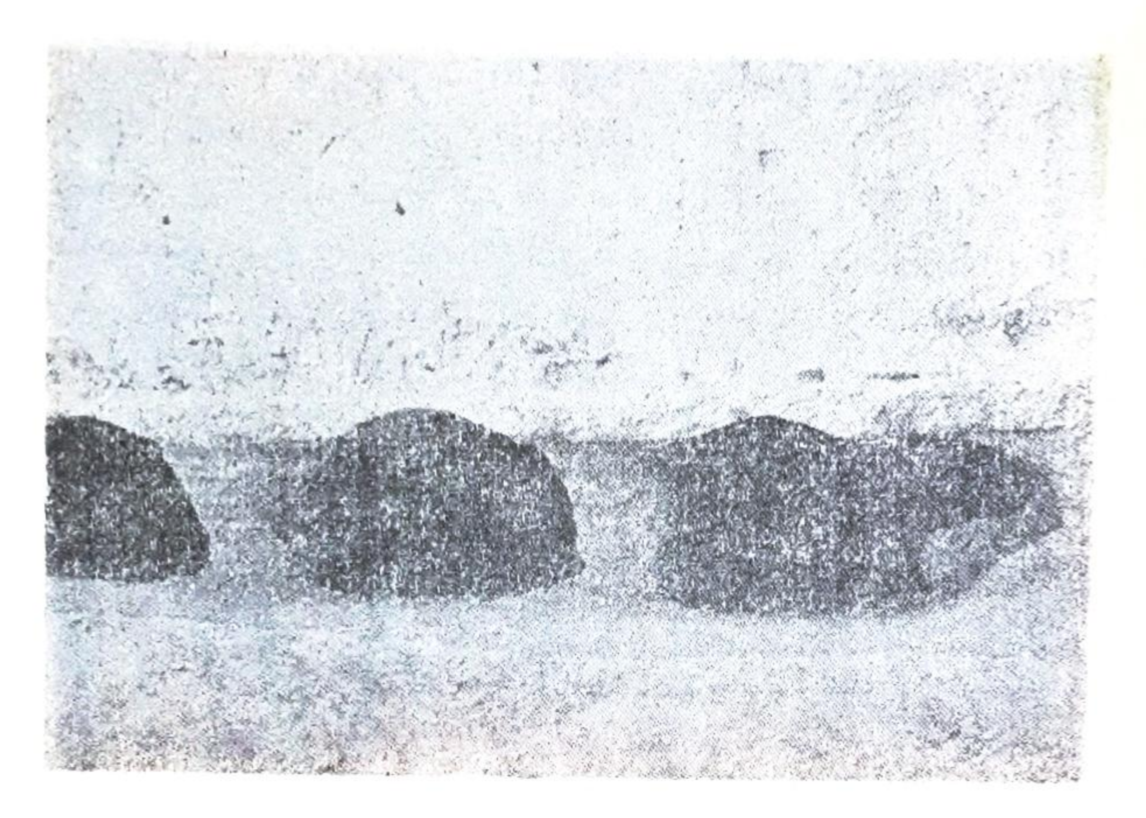
(٥٣) E.M.A., 11, p. 241.

(٥٤) نفس المصدر ، ج٢ . صفحة ٢٤١ ، وانظر ايضا Viollet, D.P.M., p. 20.

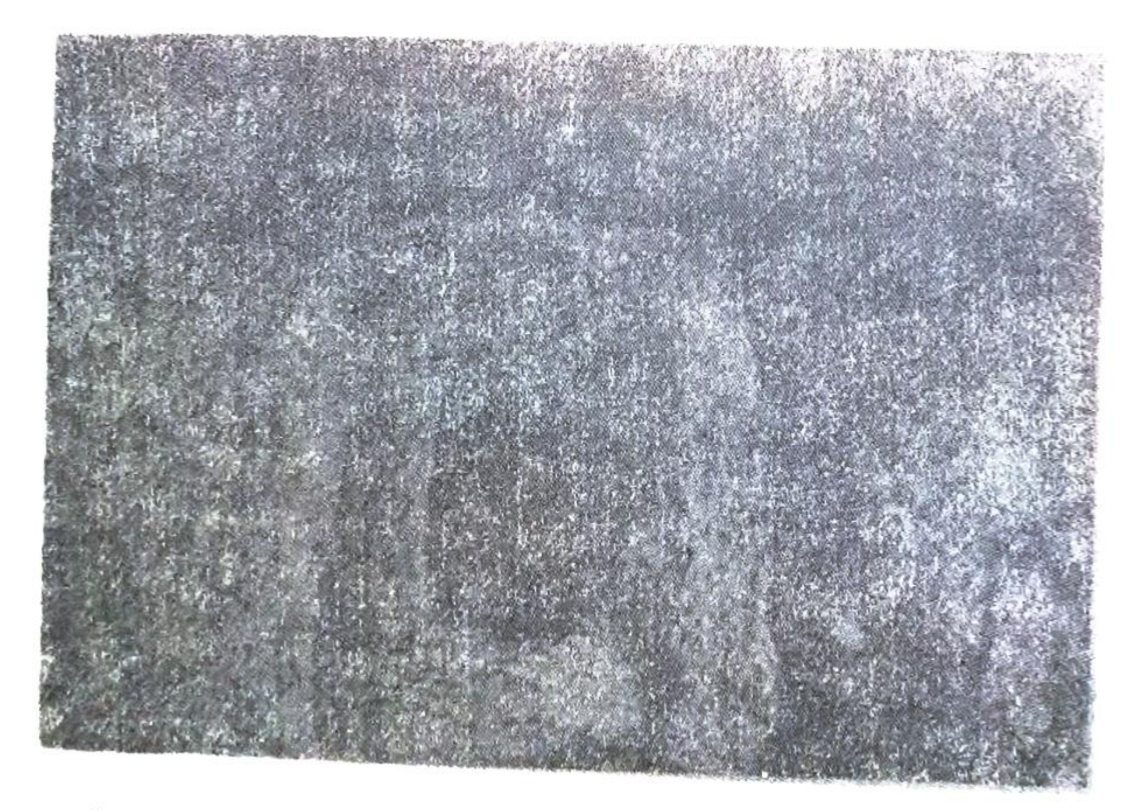
(٥٥) Viollet, D.P.M., p. 20.

(٥٦) وقد اقتبس كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 241. قياسات هرزفيلد .

(٥٧) Viollet, D.P.M., p. 20.



شكل ـ ١٣ كهوف السرداب الثلاثة في القسم الجنوبي



شكل ـ ١٤ الممر الذي يصل بين الغرفتين الداخليتين والكهوف الثلاثة

موجود في كل جانب [شكل — ١٤] ويؤدي الى منشأة من كوتين غير نافذتين في الجدار الخلفي ، عند اقصى نهايتي محاور الغرفتين . ونفس الاسس في الانسجام بين ترتيب وتصميم السرداب يمكن ان تلاحظ ، كما هو ملاحظ في تصميم بقية اقسام القصر • والى الشمال من الجانب الامامي يوجد دهليز عرضه (٠٫٨٠) متر وارتفاعه متر واحد ، ويبدو عند أسفل الكهف الرئيسي[٥٨] وسلالم مدخل السرداب هذا تقع في الجانب من اعلى البناء[٥٩] •

واشار « فيولة » أنه اكتشف عند نهاية الكهف الثالث للجهة الامامية الغربية قبواً عند زاوية ٤٥° تقريباً وقد حفر هناك ليعثر على منفذه الى الخارج[٦٠] • وكان هذا القبو محفوراً في الصخر ومغطى بغطاء من الجبس[٦١] •

وذكر « فيولة » أنه كان عليه أن يظهر السلمين الموصلين الى السرداب ، الا انه لم يعثر الا على آثار الدرجات على الجدران التي كانت لاتزال مغطاة بزخارفها الجبسية • وكان ارتفاع الدرجه الواحدة (١٧) سنتمتراً وعمقها (٣٢) سنتمتراً ، وعند تنظيف هذه السلالم عثر على كميات كبيرة من بقايا الزخارف الجبسية وعلى عدد من قطع الرخام •

ويلاحظ أن التنقيب قد كشف عند الجهة الامامية الشمالية على جدران ساندة (مدعمة) من الطابوق ، والراجح انها قد اقيمت عقب انهيار الصخر ، وقد نجم بعد اقامة هذه الجدران تغيير في ترتيب الكهوف في هذا الجانب من جراء تقليل الفسحة •

وفي الجانب المقابل لنفس الواجهة الامامية للجانب الغربي ، اكتشف « فيولة » ممراً آخر افقياً ، والذي يبدو ان هذا الممر كان يتصل مع فتحة طولها (٤٠) متراً تقريباً عند واجهة الكهف الكبير وفي محوره تقريباً • وعرض هذه الفتحة متران تقريباً وطولها (١٠) أمتار[٦٢] • وهناك عدة حفر كبيرة

---

(٥٨) Viollet, P.M.S., pp. 13f.

(٥٩) Herzfeld, Mitteilung, p. 201; E.M.A., 11, p. 241.

(٦٠) Viollet, D.P.M., p. 20.

(٦١) نفس المصدر صفحة ٢٠ .

(٦٢) نفس المصدر صفحة ٢٠ .

لاتزال تظهر حافاتها وزواياها بأتقان واناقة • ما هو الغرض الذي في وسع الشخص ان ينسبه الى هذه الحفر التي يتصل بعضها مع البعض الاخر بواسطة دهاليز ؟

ويسمى الاهالي هذه الحفر احياناً بالسجن ، واحياناً يدعونها ببركة السباع ، وربما كلا الوصفين صحيح ، ويستطيع الاسد ان يعيش في حفرة كبيرة [شكل ـــ ١٥] ويرمى السجناء من حفرة ضيقة



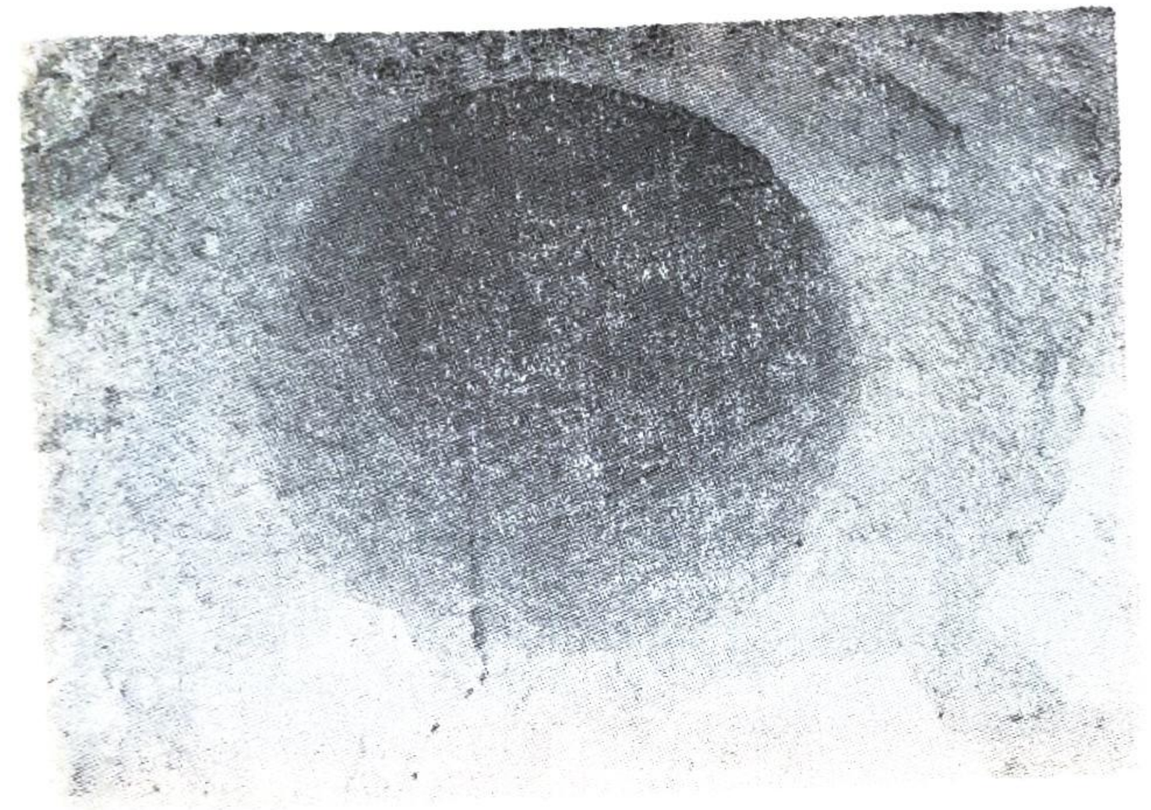
شكل ـــ ١٥ النفق الذي كانت الاسود تعيش فيه

[شكل ـــ ١٦] حيث يقبل الاسد ليجدهم عند الدهليز تحت الارض(٦٣) • ومن المحتمل ان يكون الاسم الذي أعطى لهذا المكان وهو « بركة السباع » يؤيد الفكرة القائلة بأن الاسود كانت تحفظ في هذا المكان ، اذ يروي الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ هجرية أن المهتدي امر ان يبعد المغنون من سامراء الى بغداد وأمر كذلك بأن تقتل الاسود التي في بيت الخليفة(٦٤) •

---

(٦٣) Viollet, D.P.M., p. 21.

(٦٤) ١٧٣٦/٣ •



شكل – ١٦ الفجوة التي كان يرمى السجناء منها الى الاسود

ملعب الصولجان

عند منتصف القاعة الشرقية ، مقابل هذه الحفرة ، تشكل الاسوار الشرقية والغربية انحناءً متناسقاً طوله ٧٠ متراً ، وتشكل انحناءً آخر بمسافة (١٠٠) متر أبعد ، طوله حوالي (٨٠) متراً ، وهكذا تؤلف مستطيلا واسعاً طوله (٥٠٠) متر وعرضه (٦٠) متراً (٦٥) .

وقد اشار ڤيولة الى ان هذا النوع من الميادين الكبيرة ، كان مخصصا للتدريبات العسكرية ، كما يبدو ، مثل سباق الخيل وعروض اخرى مشابهة(٦٦) .

---

(٦٥) Viollet, D.P.M., p. 21.
Mitteilung, p. 201.
ومهما يكن من شيء فان «هرزفيلد» يعطي في كتابه قياسات المستطيل المشار اليه اعلاه (٣٥٠) مترا للطول وحوالي (٦٥) متراً للعرض . وقد اقتبس كريزويل في كتابه E.M.A. الجزء الثاني صفحة ٢٤١ قياسات كريزويل هذه .

(٦٦) Viollet, D.P.M., p. 21.

ويلاحظ أن هذه القاعة الواسعة تميل رويداً رويداً عند زاويــة (٨) درجات اذا اخذنا المحور الرئيسي بنظر الاعتبار[٦٧] وعند هذا المحور الرئيسي للقصر ، مقابل المكمن يرتفع سرداق عظيم عال يطل على ميدان سباق لحدائق الحيوانات « الحير » طول دربه حوالي (٥) كيلو مترات ، يضمحــل تدريجيا[٦٨] •

السرداب الكبير

ساحة مربعة مسورة بجدران طول كل ظلع من اضلاعها (١٨٠) متــراً تلامس الزاوية الشمالية الشرقية لوسط القصر وجانبه الشرقي على امتداد الجدار الشمالي للرحبة الكبرى • ويحتوي على حفرة مربعة عميقة طول ضلعها (٨٠) متراً تقريباً • وفى قاع هذه الحفرة تجويف دائري ثان قطره (٧٠) متراً • ولابد ان يكون لهذه الحفرة حوض ، اذ توجد قناة عميقة تحت الارض تؤدي اليه • وفي القسم العلوي توجد غرف صغيرة كثــيرة غير منتظمة تحف بالجانب الداخلي للجدران ، وعدد من هذه الغرف مسقوف باقبية متقاطعة ، وبعض هذه الغرف اتخذ كمخازن للفخار الصيني وآلات لتصفيف مختلف الرسوم ، وفخار ذي البريق المعدني[٦٩] •

وعند محور القصر توجد كومة كبيرة من الخرائب ، يبدو انها تدل على بناء رئيسي ، ومن المحتمل انها تؤلف مدخلاً لهذه المنطقة الوسطى • ولا يزال يشاهد في مكان بعيد في الصحراء آثار طريق يستدل عليه بأنحدارين صغيرين[٧٠] •

الثكنات

فى الزاوية الشمالية الغربية للمنطقة التي وصفناها تقع ثكنات على جانبي السور الشمالي ، ومن المرجح ان هذه الثكنات كانت مخصصــة

---

(٦٧) Viollet, D.P.M., p. 21.

(٦٨) Herzfeld, Mitteilung., p. 201. والنص المبين اعلاه مقتبس عن ترجمة كريزويل في كتابه .E.M.A الجزء الثاني صفحة ٢٤١ •

(٦٩) Herzfeld, Mitteilung., p. 201. والنص المبين اعلاه مقتبس عن ترجمة كريزويل في كتابه .E.M.A الجزء الثاني صفحة ٢٤١ •

(٧٠) Viollet, D.P.M., p. 21.

للفرسان ، بينما مباني ثكنة أخرى كانت مخصصة للمشاة مفصولة عن الاخرى بواسطة ارض خالية من البناء .

وفي وسع غرفها البالغة ٦٠٠ ان تكون ملائمة لتوفير العيش لثلاثة آلاف رجل ، وفي القاعة الكبرى ثلاثة مساجد بمحاريبها المنحرفة عن القبلة . وموضع هذه الثكنات مرتفع يشرف على الحديقة عند منطقة القصر مؤلفاً الاتصال الوحيد بين جنوب المدينة وشمالها[٧١] .

٢- بناء الحويصلات

ان آثار هذا الموقع تقع في الجهة الغربية من نهر دجلة على بعد سبعة عشر كيلو متراً شمالي محطة قطار سامراء[٧٢] . في السهل الذي على الجانب الايسر من نهر الاسحاقي[٧٣] .

كشف الموقع أحد مستخدمي السكك الحديدية ، حيث عثر على بعض القطع الجصية المزخرفة زخرفة بديعة ، كان قد التقطها من الخنادق والحفر الموجودة هناك . فأرسلت مديرية الاثار مفتشاً للكشف على معثر هذه الزخارف ، ولاحظ نظام التلول والاكام ، واستدل من وضعها العام على انها تخفي بناية كبيرة ، محاطة بسور خاص ، وعثر على زخارف كثيرة في الخنادق التي على تل الاسحاقي من جهة ، وفي جرف الحويصلات من جهة أخرى ، كما لاحظ آثار بعض الجدران في الجهة الاخيرة .

بما ان دائرة الاثار القديمة كانت مصممة على اجراء تنقيبات في سامراء رأت ان تفتتح اعمالها التنقيبية في موضع الحويصلات .

بدأت التنقيبات في اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٩٣٦ واستمرت نحو شهرين ، فكشف خلال هذه المدة القسم الوسطي والجنوبي من قصر فسيح ، واظهرت انواع كثيرة من الزخارف الجبسية التي كانت تزين الاقسام السفلى لجدران معظم الغرف .

---

(٧١) Herzfeld, Mitteilung., p. 199; E.M.A., 11, p. 242.

(٧٢) مديرية الآثار القديمة ، حفريات سامراء ، صفحة ٩ .

(٧٣) احمد سوسة ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، ٨٧/١ .

واستؤنفت أعمال التنقيب فى شهر حزيران من السنة التالية ، واستمرت الى أن تم كشف القسم الباقي من القصر، وشملت هذه الأعمال التل الذي يرتفع على نهر الاسحاقي بجانب القصر واكتشفت هنالك بقايا بناية لابد انها كانت ملحقة به [شكل ــ ١٧] •

ومن المهم ان نذكر هنا أنه لم يشر الى هذا القصر لا في المراجع العربية ولا عند الباحثين المحدثين، وأن المصدر الوحيد الذي بين ايدينا هو تقرير بعثة التنقيب التي اوفدتها مديرية الاثار القديمة العامة •

يتكون القصر من بناية مربعة الشكل تتوسط ساحة مسورة ، يبلغ طول ضلع البناية (١٤٠)م ، واما طول السور الخارجي فيقدر بنحو (٣٧٠)م• يظهر من ذلك ان المساحة التي تشغلها بناية القصر ــ مع سورها الداخلي ــ لاتقل عن تسعة عشر الف متر مربع ، واما مساحة القصر مع حديقته وسوره الخارجي فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع •

ولقد جرفت مياه دجلة الزاوية الشمالية الغربية من القصر ، فقد زالت معالم السور الخارجي من الجهتين الشمالية والغربية زوالاً تاماً ، كما زال الضلع الشمالي من السور الداخلي ايضا ، واما الضلع الشرقي من هذا السور فلم يبق منه الا ربعه الجنوبي فقط [شكل ــ ١٨]

مخطط القصر

ويلاحظ فى المخطط المرفق أن فى مركز البناية تماماً ، قاعة مربعة كبيرة طول كل ضلع من اضلاعها (١٥ر٤٠) م • ان جدران هذه القاعة المركزية ثخينة جداً ، إذ أن ثخنها يبلغ مترين وعشرين سنتمتراً ، يستدل من ذلك على انها كانت تحمل فيه مرتفعة ، ويغلب على الظن أن النور كان يدخل الى هذه القاعة من نوافذ مفتوحة في قاعدة القبة • ان هذه القاعة المركزية تتصل فى وسط اضلاعها الاربعة ، بأربع قاعات مستطيلة ، بواسطة اربعة مداخل كبيرة • عرض كل مدخل من المداخل الاربعة (٣ر٦٠) م وطول القاعات المستطيلة (١٦ر٦٠) م وعرضها (٦ر٦٠) م •

ان كلاً من هذه القاعات الاربع المستطيلة تتصل بدورها ــ من وسط

ضلعها الطويل – بأيـوان مستطيل ، ويتصل هذا الدهليز بالخارج ببابين متناظرين مفتوحين في طرفي ضلعه الطويل .

ويستد امام هذين البابين اللذين يؤلفان مداخل القصر ، في كل ضلع من اضلاعه الاربعة ، دكة عريضة ، تطل على الساحات الممتدة بين القصر والسور الخارجـي .

وعدا ذاك ، ففي طرفي كـل ايوان من الاواوين الاربعة ، غرفتان تفضيان الى الصحن ، كما يوجد في منتهى كل قاعة من القاعات المستطيلة التي تحيط بالبهو المركزي ، قاعة مربعة ، توصل هذه القاعات بعضهـا ببعض .

ان الاقســام التي وصفناها تؤلف حول البهو المركزي شـكلا مصلباً تام التناظر ، واما الساحات التي بين اضلاع هذا المصلب المتناظر ، فتنقسم الى عدة احواش ، على النمط التالي :

ان التقسيمات التي تشاهد في الجهة الجنوبية الشرقية – بين الصحن الشرقي والصحن الجنوبي – تكون عشرة احواش صغيرة يتراوح عدد غرفها بين الستة والثمانية ، ويستقل كل واحد منها بمدخل خاص ، ومرحاض وحمام خاص .

تفتح مداخل هذه الاحواش على الممـر الذي يمتد على طول السـور الداخلي ، واما مداخل بقية الاحواش فتنفتح على ممر خاص ، يقع عموداً على ممر السور وينفذ الى قلب القصر . غير ان تقسيمات القسم الذي يقع بين الصحن الغربي والصحن الشمالي تشبه تقسيمات الزاوية الجنوبية الشـرقية وتكون احواشا متناظرة مع احواش تلك الزاوية .

واما تقسيمات الزاوية الشمالية الشرقية من القصر فأنها مندرسة تماماً ، ومع هذا ، يغلب على الظن انها كانت شبيهة بتقسيمات الزاوية الغربيـة الجنوبية ، نظراً للتناظر الذي يشاهد في الاقسـام المعلومة من مخطط القصـر .

السور

السور الذي يحيط ببناية القصر ، كان مدعماً بمائة برج ، اربعة منها كبيرة ومستديرة ، والبقعة صغيرة مستطيلة • لقد اظهرت التنقيبات البرجين الكائنين في الركنين الغربي والشرقي من الضلع الجنوبي ، فقد تبين ان قطر كل من هذين البرجين يبلغ ثلاثة امتار •

ولاشك في ان برجي الضلع الشمالي كانا شبيهين بهذين ، واما بقية الابراج فكانت موزعة على أساس اثنى عشر برجاً في كل « نصف ضلع » من الاضلاع الاربعة ، بين البرج المستدير الذي يعلو الركن ، وجدار المدخل الذي يعلو الركن ، وجدار المدخل الذي يقع في وسط الضلع •

هذه الابراج منشورية الشكل ، عرضها ١٤٠ سم وطولها ٢٠٠ سم ومما يستلفت الانظار انها ليست متصلة الجدار ، بل منفصلة عنه بفواصل يبلغ عرضها نحو ثمانين سنتمترا ، ولامجال للشك في انها كانت تتصل بالجدار بواسطة عقود خاصة ، بعد مقدار من الارتفاع ، غير أنه لم يبق هناك اية علامة تساعد على تقدير ذلك الارتفاع •

واما السور الخارجي ، فلم يكشف منه الا برجان ، وقد تبين ان قطر كل واحد منهما ، كان ثمانية امتار ، كما ان المسافة التي بينهما كانت خمسة وعشرين متراً •

مواد البناء

ان الأقسام المركزية من القصر ــ أي البهو الكبير والقاعات والاواوين المحيطة به ــ مبنية بالجص والآجر ، وأبعاد الآجر المستعمل في بناء جدران هذه القاعات هي ٢٥ × ٢٥ × ٧ سم •

غير أن سائر اقسام القصر ــ مع السور المحيط به ــ مبنية بالحصى المزوجة بالجص ، بشكل يشبه الكونكريت • وقد استعمل في بناء الاسس ، النورة والرماد عوضاً عن الجص واما السور الخارجي فقد بني باللبن •



شكل ــ ١٨ اطلال الحويصلات

تبليط الارض

ان أرض القاعات والصحون مبلطة بمربعات من الآجر وأما أبعاد هذه البلاطات الآجرية فهي ٣٦ × ٣٦ سم فى معظم القاعات ، إن الحالة التي ظهرت بها ارضية القاعات من تحت الانقاض تدل على اتقان كبير فى صناعة الآجر من جهة ، وأعمال التبليط من جهة اخرى •

وأما ارضية سائر اقسام القصر ، فمستورة بطبقة من الجص المخلوط بالرمل ويلاحظ فوق هذه الطبقة الجصية طبقة من القار في الحمامات والمراحيض •

طلاء الجدران

ان الجدران مطلية بطبقة من الجبس بوجه عام ، غير ان الاقسام السفلى منها ، مزخرفة في القاعات الاساسية بزخارف محفورة في الطبقة المذكورة • ان منطقة الزخرفة في هذه القاعات ترتفع عن الارض — على الاكثر — بمقدار متر واحد فقط ، غير انها ترتفع اكثر من ذلك ، في طرفي المدخل ، ولا مجال للشك في انها كانت تعلو معها ، فتحيط كل واحد منها باطار مزخرف •

ان جدران اكثر الغرف عارية عن الزخارف ، مع هذا يلاحظ في هـذه الغرف ايضا بعض العضادات التي ترتفع على جانبي المداخل ، فتدل على أنها كانت محاطة بأطارات جبسية بارزة ذات اشكال متنوعة • وقد لوحظ أن أقسام الجدران خلف الزخارف الجبسية كانت مطلية بالقار ، ولاشك في ان القصد من ذلك كان منع تأثير الرطوبة على الزخارف الجبسية ، كما لوحظ خلف الزخارف سلسلة مسامير مغروزة في الجدران ، ولا شك في أن القصد منها كان ضمان التصاق الزخارف بالجدران التصاقاً تاماً ، لايترك مجالا لانفصالها عنها وسقوطها منها •

تحقيق تأريخ القصر

ذكرت فيما سبق ، أن المؤرخين لم يقدموا اية معلومات فيما يخص هذا القصر ، كما ان اسمه لم يذكر في أي نص من النصوص التأريخية على وجه التحديد ، وكذلك فأننا نجهل تفاصيل تخطيطه وبناءه في تلك النصوص •

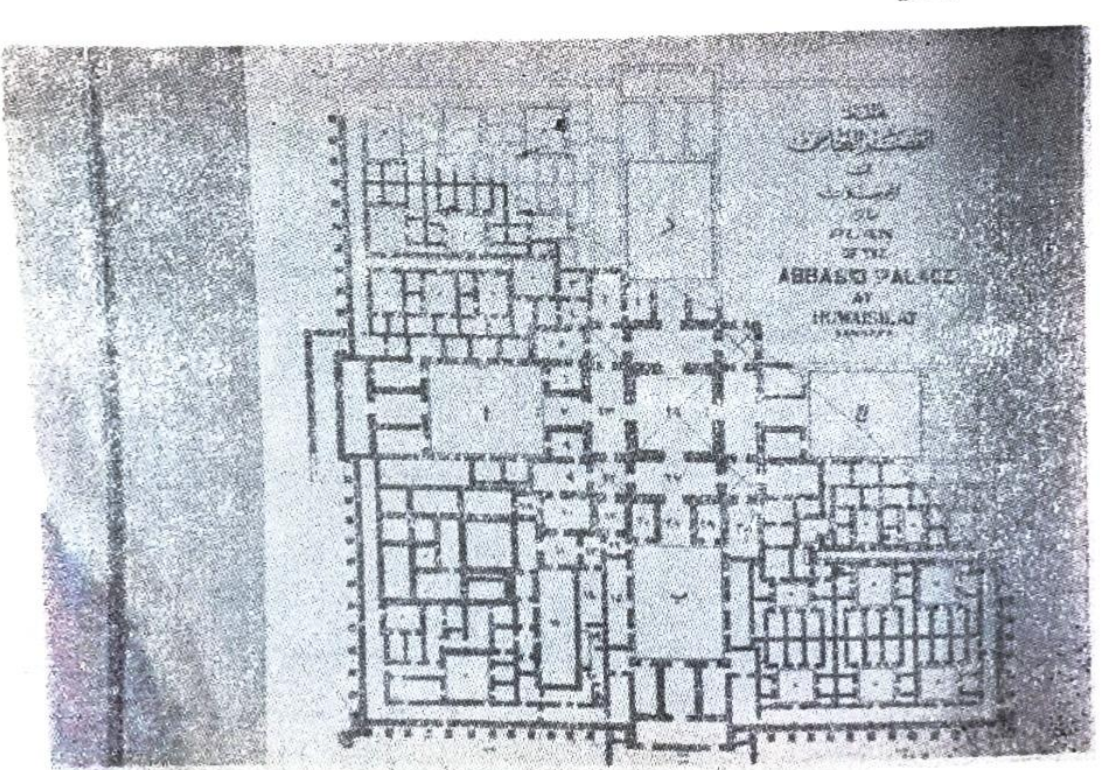
وقد اطلقت مديرية الآثار القديمة في العراق اسم الحويصلات على القصر نسبة الى اسم محلي لموقع « تل الحويصلات » ولكنه بالتأكيد غير الاسم الحقيقي لهذا القصر •

وانه من الاهمية بمكان ان نذكر أن اليعقوبي ذكر في روايته وجود بعض المباني على الجانب الغربي لنهر دجلة في عهد المعتصم فقال : « لما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي عقد جسراً الى الجانب الغربي ، وانشأ هناك العمارات والبساتين والجنائن »[٧٤] الا أنه لم يقدم في روايته هذه اية تفصيلات عن العمارات واسمائها ، غير

(٧٤) البلدان ، اليعقوبي صفحة ٣٨ .

ان سهراب اثناء كلامه على نهر الاسحاقي يشـــير الى قصر يدعى بـ « قصر الجص » فيقول : « يحمل من دجلة من غربيها نهر يقال له الاسحاقي • اوله اسفل من تكريت بشيء يسير ، يمر في غربي دجلة ، عليه ضياع وعمارات ويمر بطيرهان ويجيء الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ويسقي الضياع التي هناك في غربي مدينة سر من رأى المعروفات بالاولى والثانية والثالثة الى السابعة ويصب فى دجلة بأزاء المطيرة »[٧٥] •

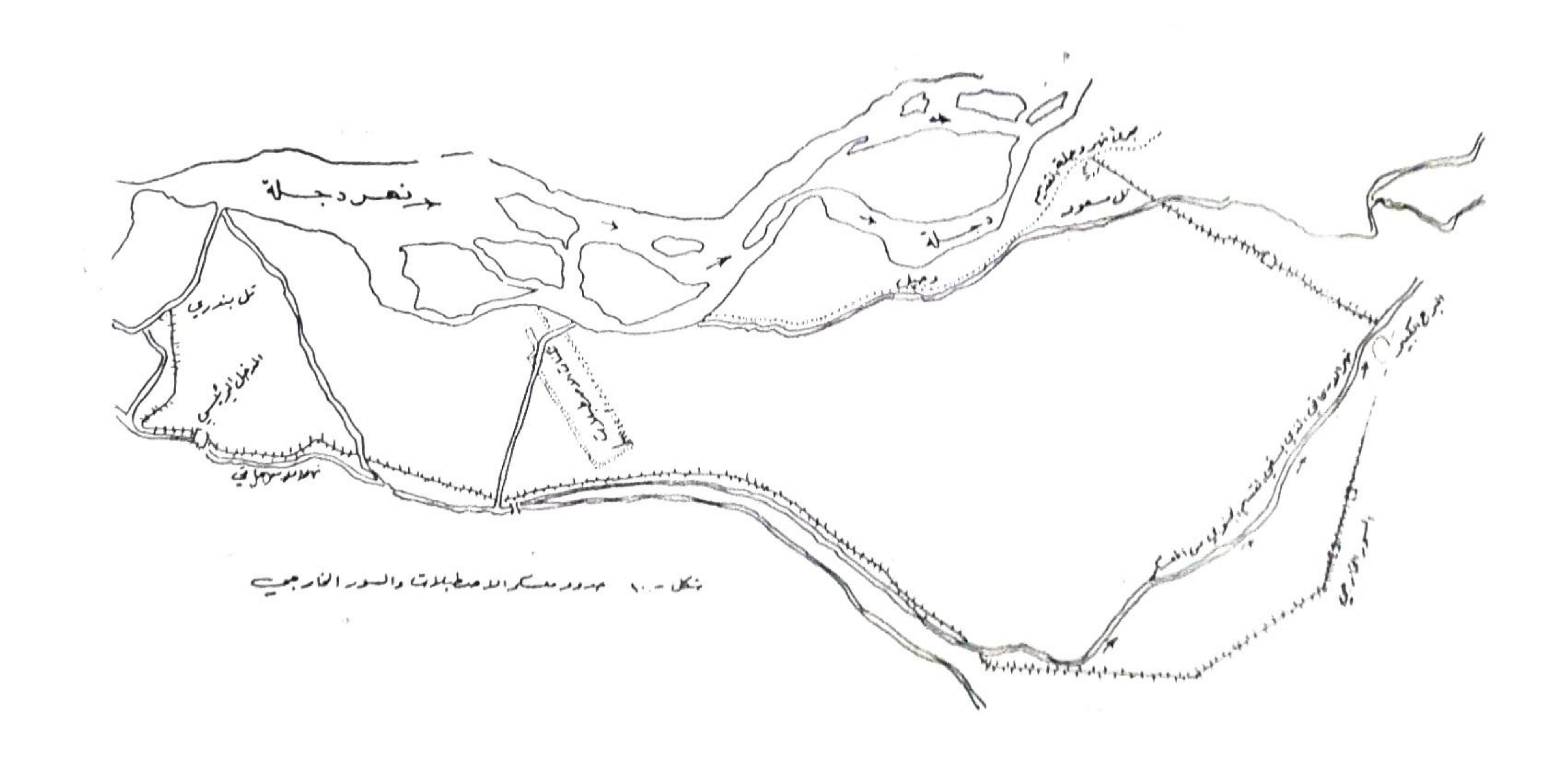
وتميل مديرية الآثار الى ان محل القصر الذي ظهر من التنقيبات فى الحويصلات ينطبق على محل القصر الذي جاء ذكره في رواية ســـهراب ، وتؤكد في نشرتها أن قصر الحويصلات انما هو « قصر الجص » الـذي ورد فى هذه الرواية[٧٦] •



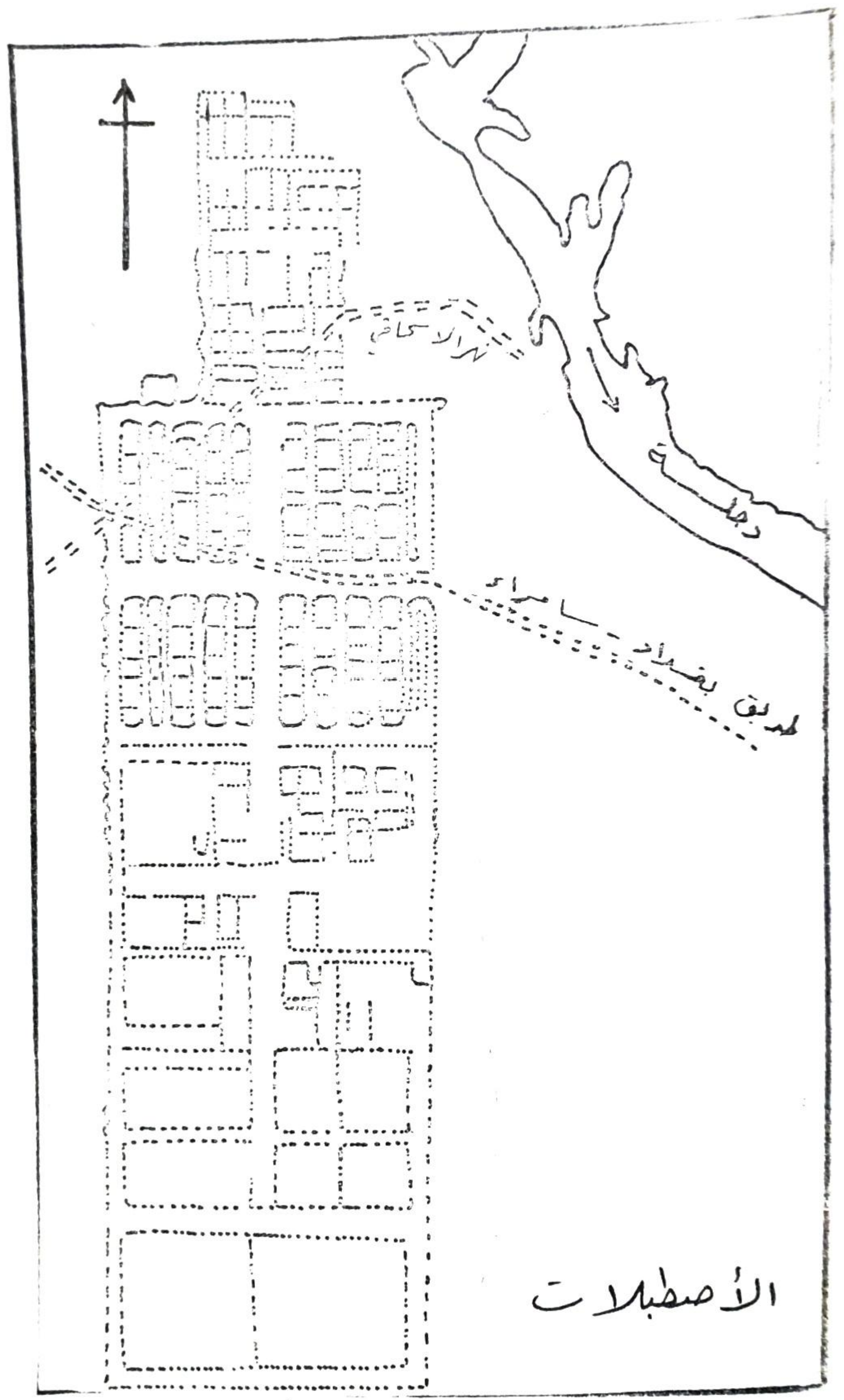
شكل ١٨ مخطط القصر العباسي في الحويصلات

(٧٥) عجائب الاقاليم السـبعة ، صفحـــة ١٢٧ . وعلى كـل حـــال فأن ياقوت قد وصف « قصر الجص » في معجمه الجزء الرابع صفحة ١١٠ ، بأنه قصر عظيم قرب سر من راى يقع فوق قصر الهاروني الذي بنـاه المعتصم للنزهة .

(٧٦) مديرية الآثار العراقية ، حفريات سامراء ، صفحة ١١ .



شكل ١٠ - حدود معسكر الاصطبلات والسور الخارجي



(شكل ـ ٢٠ مخطط) الاصطبلات

٣ - معسكر الأصطبلات

تقع اطلال معسكر الاصطبلات في الجانب الغربي من نهر دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلو متراً من مدينة سامراء الحالية[٧٧] [شكل - ١٩] .

وقد اوضحت نشرة مديرية الاثار أن هـذا القصر كان يتألف من حيث الاساس « من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير . يبلغ طول ضلع المستطيل الصغير نحو ٥٠٠ متر وعرضه ٢١٥ متراً ، كما يبلغ طول ضلع المستطيل الكبير ١٧٠٠م وعرضه ٥٥٠م ، ان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بابراج ، والمستطيل الصغير مقسم الى سلسلة احواش منتظمة وأما المستطيل الكبير فمقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تفصل بينها اسوار شبيهة بالاسوار الخارجية ، ان المربع الشرقي من هذه الاقسام الثلاثة كامل البناء حيث يشاهد فيها شارعان رئيسيان عريضان يتقاطعان من منتصفيهما في اتجاه عمودي على جدران السور ، والشـوارع الاربعة التي تتكون على أضلاع هذين الشارعين المتصالبين ، تنقسم بدورها الى اقسام عديدة بشوارع طولية وعرضية كلها متعامدة او متوازية .

واما القسم الاوسط من المستطيل الكبير فقليل البناء واما القسم الغربي فمحروم من المباني فلا يرى فيه شيء غير خطوط الشوارع .

ومن الواضح ان الاصطبلات كانت معسكرا كبيراً مع دور للقواد وثكنة للجنود وساحات للخيم» [شكل — ٢٠] .

ومما يلفت النظر ان الاضلاع الجانبية للمستطيلين المذكورين تمتد في اتجاه الشمال الحقيقي تماما كما يشير سوسة .

وكان يحيط بالمعسكر سور خارجي طويل يبدأ فى الشمال من حافة نهر دجلة الغربية فى المكان المعروف باسم « تل بندري » وهو التل الواقع

---

(٧٧) مديرية الآثار العامة ، سامراء ، صفحة ٧٣ ، سوسة ، ري سامراء ٩٣/١ .

(٧٨) مديرية الآثار العامة ، سامراء صفحات ٧٣ — ٧٥ .

على بعد حوالي عشرة كيلومترات غربي المعسكر ثم ينتهي جنوباً الى حافة دجلة الغربية ايضاً عند التل الاثري المعروف باسم « **تل مسعود** »[٧٩] .

وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر . ومن جملة هذه الابراج البرجان الواقعان في « تل بندري » و « تل مسعود » وقد انشئا في أول السور وفي منتهاه في مكان اتصالهما بحافة النهر .

اما مساحة ارض المعسكر بما فيها مساحة الثكنات التي داخل السور ، فتبلغ ثمانية وخمسين كيلومتراً مربعاً (أي حوالي ٢٣٫٠٠٠ مشارة) .

والسور الخارجي بعد ان يترك « تل بندري » الى يسينه في الزاوية التي يشكلها من الخارج باتصاله مع حافة نهر دجلة يسير جنوباً بأنحراف قليل نحو الغرب مسافة (١٢٠٠) م ، ومن ثم ينعطف نحو الغرب وبعد أن يسير نحو (٦٠٠)م مشكلاً مثلثاً أحد ضلعيه المستطيلين في الشمال والآخر في الجنوب وقاعدته تتكون من الفتحة التي في الشرق بين الضلعين المذكورين . ويقترب مجرى الاسحاقي الذي ينحدر من الشمال من الزاوية التي في رأس المثلث ومن هنا يلازم السور فيسير بمحاذاته من الخارج حتى نهاية السور في الجهة الجنوبية الشرقية . ويوجد في آخر الضلع الجنوبي للمثلث باب رئيسي يواجه « القبلة » فتشاهد آثار بناء هذا الباب وآثار قنطرة العبور على نهر الاسحاقي الذي يسير بمحاذاة السور من الخارج .

وتشكل بقايا بناء الباب تلا من انقاض الاجر والجص ، اما قنطرة العبور التي بجانب الباب غرباً فقد استخرج آجرها حتى اعمق نقطة من الأساس . ومن الباب يسير السور نحو الجنوب الشرقي بصورة متعرجة حتى اذا قطع مسافة ٥٫٦٠٠ كيلومتر على هذه الصورة وصل الى جوار الزاوية الجنوبية الغربية لحدود بناء الثكنات المستطيل فيصبح على بعد مائتي متر من تلك الزاوية ، ويوجد في هذه النقطة من السور مدخل رئيسي للمعسكر وللثكنات تقع عنده آثار برج كما تقع على جانبه من الخارج قنطرتا عبور على مجريي نهر الاسحاقي وفرعيه اللذين يسيران بمحاذاة السور .

---

(٧٩) يقع تل مسعود كما يشير سوسة في ري سامراء ٩٤/١ ، على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من جنوب « تل بندري » .

وبهذا الشكل يؤلف بناء الثكنات حاجزاً مستطيلاً يمتد على عرض المعسكر بين نهر دجلة والسور الخارجي للمعسكر ، هذا بأستثناء فتحة المائتي متر التي بين الركن الجنوبي الغربي للبناء والسور الخارجي للمعسكر .

ومن هنا يستمر السور فى سيره الى الجنوب الشرقي على شكل شبه قوس حتى اذا قطع مسافة ستة كيلومترات فى هذا الاتجاه وصل الى ركن بارز يأخذ السور منه فى مسافة ٢٫٧٠٠ كم فى اتجاه مستقيم ثم يميل الى الشرق فيسير فى اتجاه مستقيم هندسي ايضاً مسافة (١٫٩٠٠) . ومن ثم ينحرف الى الشمال الشرقي فى اتجاه مستقيم مسافة (٣٫٤٠٠) كم فى هــذا الاتجاه .

ويقع على هذه الضلع الاخيرة مدخلان للمعسكر يشاهد الى جانبهما آثار ابراج لحماية المدخلين المذكورين . ويصبح المعسكر عند هذين المدخلين فى اوسع ساحاته بالنسبة الى المسافات التي تمتد عرضاً بين نهر دجلة والسور الخارجي حيث تبلغ هذه المسافة زهاء سبعة كيلومترات ، وفى نهاية الضلع الاخيرة يعرج السور الى الشمال بأنحراف قليل الى الغرب راجعاً الى حافة نهر دجلة فيشكل زاوية قائمة داخلها آثار برج كبير ، فيسير فى اتجاه مستقيم مسافة (٤٫٢٠٠) كم وينتهي فى حافة مجرى دجلة عند « تل مسعود » الواقع داخل الزاوية التي يشكلها السور بأتصاله مع حافة نهر دجلة .

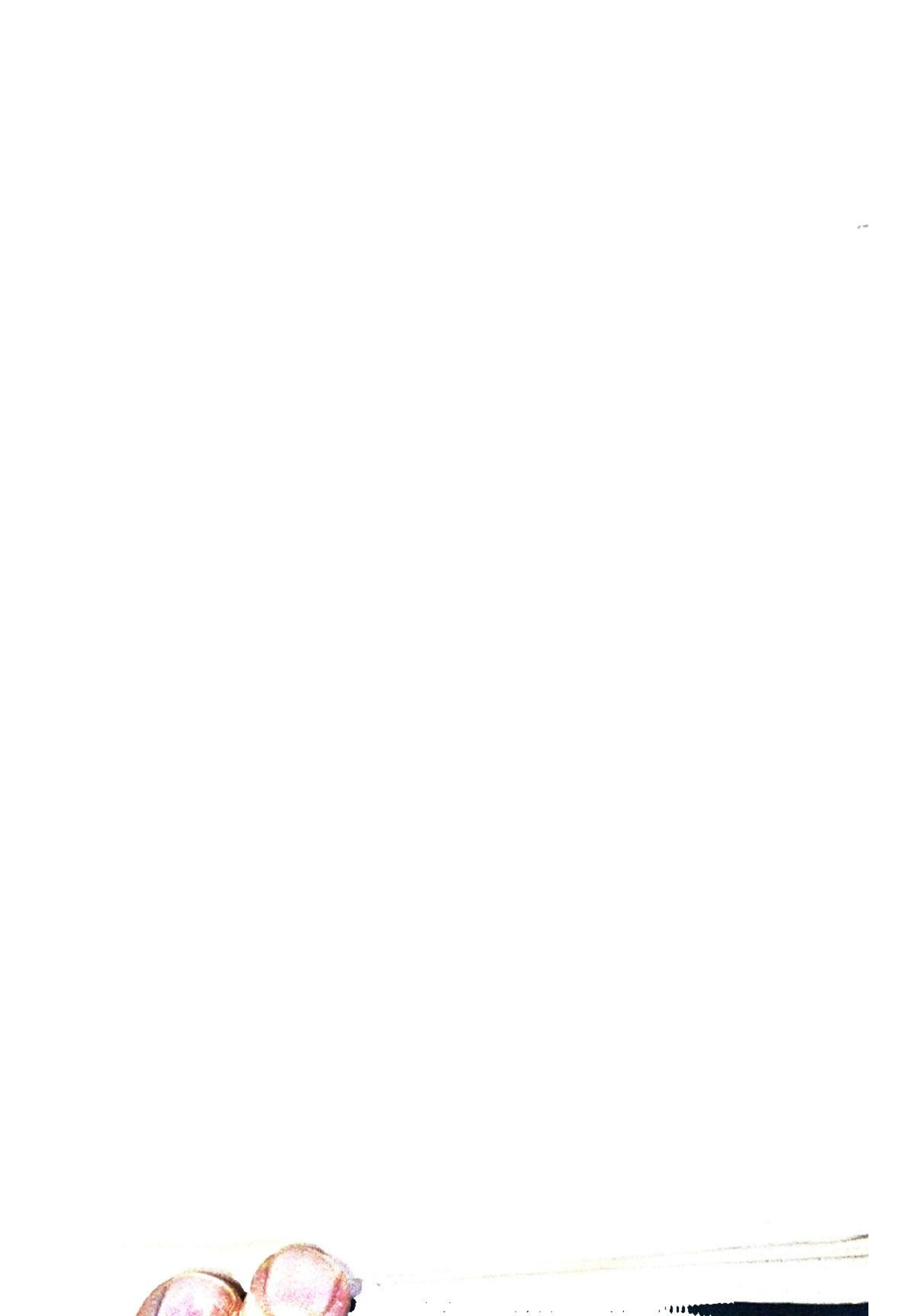
ويعترض السور فى اتجاه الاخير نهر دجيل الحالي فيقطعه على مسافة كيلومتر واحد من « تل مسعود » جنوبا كما يعترضه ايضا خط سكة حديد بغداد ــ سامراء وطريق بغداد ــ سامراء العام فيقطعانه على بعد حوالي كيلومتر من نهر دجيل جنوباً ، ويتصل السور عند رأس الزاوية القائمة التي تشكلها الضلع الاخيرة المتجهة نحو دجلة مع الضلع التي قبلها بجــدار يعرف بـ « عركوب المطبك » وهو جدار ضخم قديم مبني باللبن ومحصن بأبراج ضخمة يرجع الى ما قبل عهد العرب[٨٠] .

---

(٨٠) احمد سوسة ، ري سامراء ، الجزء الاول صفحات ٩٣ ــ ٩٧ .

الباب الرابع

العمارة العباسية في سامراء في عهد المتوكل



١ . فترة الواثق

بويع الواثق للخلافة فى نفس اليوم الذي توفى فيه والده المعتصم[١] ، واسمه هارون الواثق ، وكان يُكنى بأبي جعفر وامه رومية تسمى قراطيس[٢] .

ولم يمكث الواثق في الجوسق الخاقاني ، وانما الواضح من بعض الروايات التأريخية انه بنى قصراً سماه الهاروني على نهر دجلة حيث جعل له دكة غربية ودكة شرقية[٣] .

والظاهر ان الفترة التي حكم فيها الواثق (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ / ٨٤١ ــ ٨٤٦ م) كانت من الناحية السياسية فترة هادئة اذا ماقيست بعهد المعتصم ، ولم يضف فيها شيئاً كثيراً الى ماهو موجود من عمائر سامراء[٤] ، لذا فأنها تعتبر من الناحيتين السياسية والمعمارية افقر فترة من الحكم العباسي في سامراء .

ومن الاحداث الجديرة بالذكر فى عهده ، تطاول اعراب بني سُليم على الناس حول المدينة المنورة فى سنة ٢٣٠ هـ ــ ٨٤٤ م ، فوجه الواثق حماد بن جرير الطبري لقتالهم ، وفى المعركة الاولى التي سميت بـ « الرويثة » انتصر بنو سليم وقتل القائد حماد . وازداد خطر الاعراب ، فأرسل اليهم الواثق قائده « بغا الكبير » فقاتلهم في مواضعهم وهزمهم وانتصر عليهم ، وطلب منه الأمان فأستسلموا وحبسهم بغا في الدار المعروفة بدار يزيد بن معاوية[٥] . ويضيف الطبري فى حوادث سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) أن هؤلاء الأسرى نقبوا السجن وخرجوا ولما احس بهم اهل المدينة حاصروهم وقتلوهم[٦] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ١٦٨/٢ ، الطبري ، ١٣٢٩/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٤٥/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٧٦/٦ .

(٢) الطبري ١٣٢٩/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٤٥/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٣٧٦/٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ صفحة ١٧١ وما بعدها .

(٤) عدا القصر الهاروني .

(٥) الطبري ١٣٣٩/٣ وما بعدها .

(٦) الطبري ١٣٣٩/٣ ــ ١٣٤٠ .

وفى سنة ٢٣١ هـ بايع سكان ربض عمر بن عطاء ، أحمد بن نصر الخزاعي[٧] على الخلافة ، وحدد يوم الثورة ، وهو ليلة الخميس ٣ شعبان من عام ٢٣١ هـ ، غير ان محمد بن ابراهيم[٨] قبض على قادة الثورة وسجنهم ، واخذ احمد بن نصر مع بعض قواده الى الخليفة الواثق فى سامراء حيث جرت محاكمته ومناظرته بحضرة الواثق الذي امر بقتله على اثرها[٩] .

وفى سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) توفي الواثق في ٢٤ ذي الحجة[١٠] . وذكر الطبري ان سبب وفاته كان مرض الاستسقاء ، حيث عولج بالاقعاد فى تنور مسخن فوجد فيه بعض الراحة ، فأمرهم بزيادة تسخينه فى اليوم التالي ومكث فى التنور مدة اكثر من اليوم السابق فحمي عليه فأخرج منها ورفع في محفة حيث مات[١١] .

٢- عهد المتوكل

بويع المتوكل للخلافة فى عام ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م)[١٢] . ويظهر من احدى روايات الطبري[١٣] ان كبار رجال الدولة[١٤] عزموا على مبايعة محمد بن الواثق في اول الامر ، وكان غلاماً صغيراً ، فأعترض عليهم وصيف ، فتناقشوا بينهم حتى استقر رأيهم على المتوكل ، فأستدعوه واخبره بغا الشرابي بنبأ استخلافه .

(٧) احمد بن نصر الخزاعي ، وكان جده مالك بن الهيثم احد نقباء وقادة الدعوة العباسية .

(٨) كان حاكما على بغداد نيابة عن اخيه اسحاق بن ابراهيم .

(٩) الطبري ١٣٤٣/٣ – ١٣٤٨ .

(١٠) اليعقوبي ، التاريخ ١٧٢/٢ ، البلدان صفحة ٢٦٥ ، الطبري ١٣٦٣/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ١٩/٧ ، ابن العماد ، شذرات ٧٥/٢ .

(١١) ١٣٦٣/٣ ، وابن الاثير ، الكامل ، ١٩/٧ .

(١٢) اليعقوبي ، التاريخ ١٧٢/٢ ، الطبري ١٣٦٨/٣ ، المسعودي ، المروج ١٨٩/٧ ، ابن الاثير الكامل ٢٢/٧ ، ابن العماد ، شذرات ٧٦/٢ .

(١٣) ١٣٦٨/٣ .

(١٤) وهم حسب ماروى الطبري ١٣٦٨/٣ ، احمد بن داود وايتاخ ووصيف وعمرو بن فرج وابن الزيات واحمد بن خالد .

ونسبة الى روايتي الطبري وابن الأثير ، كان عمره يوم بويع للخلافة ستاً وعشرين سنة[١٥] ، واسمه جعفر بن محمد بن هارون[١٦] . وفي اول الامر كان اللقب الذي اعطى له هو المنتصر بالله[١٧] واقترح احمد بن ابي دواد تغيير اللقب الى المتوكل على الله ، ووافق الخليفة الجديد على ان يقبل هذا اللقب كأسم جديد لخلافته[١٨] .

اختار المتوكل العيش فى قصر الهاروني ، وفضله على جميع قصور المعتصم[١٩] . واسكن إبنه المنتصر فى قصر المعتصم الذي كان يعرف باسم الجوسق الخاقاني ، وابنه ابراهيم المؤيد فى المطيرة ، وابنه المعتز فى بلكوارا[٢٠] الذي كان يقع في الجهة الشرقية من المطيرة[٢١] .

ومن الحوادث المهمة فى عصره هروب محمد بن البعيث[٢٢] من سجنه في عام ٢٣٤ هـ (٨٤٨م) وقد وصل محمد الى المرند[٢٣] في مقاطعة اذربيجان حيث انضم اليه كثير من الاتباع والمساعدين . وأرسل المتوكل حمدويه بن علي الى أذربيجان لمقاومته ، ولكن محمد بن البعيث إلتجأ الى « مرند » التي كانت محمية حماية جيدة مما ساعده على ممارسة حصار طويل المدى .

---

(١٥) الطبري ١٣٦٩/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٣/٧ . ولكن المسعودي في مروج الذهب ١٨٩/٧ أوضح أن عمره كان سبعة وعشرين عاماً حينما استخلف .

(١٦) الطبري ١٣٦٨/٣ .

(١٧) الطبري ١٣٦٣/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٨٩/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٣/٧ .

(١٨) الطبري ١٣٦٣/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ١٨٩/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٣/٧ .

(١٩) اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٤٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان صفحة ٤٦٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ١٧/٣ .

(٢٠) حول بلكلوارا انظر بالتفصيل الباب الرابع من هذا الكتاب .

(٢١) اليعقوبي ، البلدان صفحة ٤٠ .

(٢٢) كان عند ذلك الوقت اسيراً جلب من اذربيجان .

(٢٣) المرند : كانت ـ كما يقول ياقوت في معجم البلدان ٥٠٣/٤ ـ اشهر مدينة في اقليم اذربيجان .

ثم ارسل المتوكل القائدين رزاق التركي وعمر بن سيسل ولكنهما فشلا في مهمتهما .

واخيراً ارسل المتوكل جيشاً آخر بقيادة « بغا الشرابي » الذي استولى على المدينة وقبض على محمد بن البعيث[٢٤] .

وفي عام ٢٣٥ للهجرة (٨٤٩ م) عين المتوكل اولاده الثلاثة ولاة للعهد[٢٥] ، ويبدو من روايات الطبري[٢٦] أن المتوكل اعطى كل واحد منهم اسماً جديداً يدعى به بعد وفاته . فلقب محمد بالمنتصر ، وابو عبد الله بن قبيحة بالمعتز ثم لقب ابراهيم بالمؤيد .

وكان واضحا من روايات الطبري[٢٧] ، أن المتوكل قد قسم ممتلكات جميع اقسام الدولة العباسية بين اولاده الثلاثة ، فأعطى المنتصر مقاطعة إفريقية وغرب المغرب من العريش في مصر الى بلخ سلطانه في المغرب وفي مناطق اخرى[٢٨] . وللمعتز المقاطعات الشرقية من الدولة[٢٩] وللمؤيد بعض المناطق في سوريا .

وفي عام ٢٣٨ للهجرة (٨٥٢ م) خرج المتوكل الى بغداد ، ولم تذكر المصادر العربية شيئاً عن هذه الرحلة . وقد ذكر اليعقوبي[٣٠] أن المتوكل استقر

---

(٢٤) للتفاصيل انظر ، الطبري ١٣٧٩/٣ – ١٣٨٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢٧/٧ – ٢٩ .

(٢٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ١٧٤/٢ ، الطبري ١٣٩٤/٣ ، لم يشر المسعودي في مروج الذهب ١٩٣/٧ الى تاريخ هذا التعيين . ابن الاثير ، الكامل ٢٣/٧ .

(٢٦) ١٣٩٥/٣ ، وانظر ايضا المسعودي ، مروج الذهب ١٩٣/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٣/٧ .

(٢٧) ١٣٩٥/٣ .

(٢٨) والمقاطعات الاخرى التي منحت للمنتصر كانت ، جند قنسرين عاصمة وثغور سوريا ، ديار مضر ، ديار ربيعة ، هيت ، عانات خابور ، قرقيسيا ، كور باجرما ، تكريت وغيرها ...

(٢٩) وكانت كور خراسان ، طبرستان ، الري ، ارمينيا ، اذربيجان ، كور فارس ، ثم منح بعد ذلك في عام ٢٤٠ للهجرة (٨٥٤ م) بيت المال في جميع المقاطعات .

(٣٠) التاريخ ١٧٦/٢ .

اولا فى الشماسية ثم مر ببغداد في طريقه الى المدائن[٣١] • واشار اليعقوبي ان الرحلة كانت للاستجمام •

وفي عام ٢٤٠ للهجرة (٨٥٤م) ثار اهالي مدينة حمص[٣٢] ضد واليهم « ابو المغيث » لقتله احد مواطنيها ، وقد طردوا الوالي وقتلوا بعض جنوده ، وعلى اثرها بعث الخليفة المتوكل « عتاب بن عتاب » مع عبدويه كرداس الانباري بدلاً من ابي المغيث فوافق عليه الاهالي • ولكنهم فى عام ٢٤١ للهجرة (٨٥٥ م) ثاروا ثانية ضد « عبدويه » فأمر المتوكل « عتاب بن عتاب » يساعده جند من حامية دمشق على تأديبهم وعاملهم بقسوة اذ ضرب ثلاثة منهم حتى الموت وارسل عشرين من رؤسائهم مكبلين بالحديد[٣٣] •

وفي عام ٢٤١ للهجرة (٨٥٥م) ارسلت «ثيودورا » امبراطورة الدولة البيزنطية « جورج فرنامس » لافتداء المسلمين الذين وقعوا في أسر البيزنطين، ويشير الطبري الى انهم كانوا حوالي عشرين الف اسير ، فأرسل المتوكل « ناصر بن الازهر » لعدهم ، ولتكملة الفداء عقد هدنه لمدة خمس ليال •

ويقول الطبري ان هذا الاعتاق جرى فى المنطقة البيزنطية على نهر يدعى « اللامس » يوم الاحد الثاني عشر من شهر شوال عام ٢٤١ للهجرة[٣٤] • وكان عدد الاسرى الذين تم فديتهم حسب مايذكر الطبري وابن الاثير حوالي ٧٨٥ رجلاً و ١٢٥ إمراة[٣٥] •

---

(٣١) المدائن ، مدينة او عدة مدن على وجه الدقة ، تقع في العراق على مسافة ٢٠ ميلاً جنوب شرقي بغداد ، على جانبي نهر دجلة حيث يفصلهما الى قسمين متساويين • انظر دائرة المعارف الاسلامية النسخة الانكليزية ، الجزء الثالث صفحات ٧٥ مادة « المدائن » •

(٣٢) وحمص كما يقول ياقوت في معجم البلدان ٣٣٤/٢ مدينة قديمة مشهورة تقع بين دمشق وحلب ولها قلعة حصينة ومنيعة شيدها الاغريق. فتحها القائد ابو عبيدة الجراح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وفيها دار القائد خالد بن الوليد (رضى الله عنه) وضريحه •

(٣٣) الطبري ١٤٢٠/٣ ــ ١٤٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٤٩/٧ •

(٣٤) للتفاصيل انظر : الطبري ١٤٢٦/٣ ــ ١٤٢٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٠/٧، غير ان ابن الاثير يشير الى أن المتوكل ارسل شريفاً الخادم ليشرف على هذه العملية •

(٣٥) ١٤٢٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٠/٧ •

وفي عام ٢٤١ للهجرة ارسل المتوكل محمد بن عبد الله القمي لمحاربة البُجاة[٣٦] • وكانت قد أبرمت بينهم وبين المسلمين معاهدة سلام • وكانت بلادهم غنية بالذهب ، ومن شروط هذه المعاهدة ان عليهم تقديم ١ / ٥ الذهب المستخرج من اراضيهم لوالي الخليفة ، ولكن فى عهد المتوكل نقضوا العهد وامتنعوا عن دفع خراج المعادن وقتلوا ايضا بعض المسلمين من عمال المناجم ، فترك المسلمون الباقون العمل ، ففكر الخليفة المتوكل على اثـر ذلك في محاربتهم ، ولكن البعض نصحه بأن مقاتلتهم مستحيلة نظراً لصعوبة المنطقة • ولكن لما استمرت معاملتهم السيئة للمسلمين ارسل اليهم الخليفة المتوكل « القمي » فأنضم اليه المسلمون الذين يعملون في المناجم هناك ، وبعد قتال مرير مع ملكهم « علي بابا » وجيشه انتصر المسلمون وطاردوا البجاة في الجبال الى ان اضطروا علي بابا على طلب السلم • وقد قبل طلب الصلح هذا بشرط ان يدفع البجاة خراج المعادن للمسلمين لفترة السنوات الاربع التي توقف خلالها دفع الخراج • وبعدئذ اخذ ملك البجاة الى الخليفة المتوكل فاستقبل بأحترام كبير[٣٧] •

واشارت بعض المصادر العربية الى أن الخليفة المتوكل رغب في ترك سامراء والبحث عن مكان آخر ليتخذه عاصمة للدولة العباسية • ولكن هذه المصادر لم تشرح لنا الاسباب التي دعت الخليفة المتوكل الى اتخاذ مثل هذا القرار ، ولم يكن هذا القرار لتأكيد شيء يخلد ذكراه ــ وهي الرغبة التي استحوذت على معظم الخلفاء ــ الا انه نبع من رغبته فى تثبيت مركزه ، وهذا يظهر بوضوح فى رواية لليعقوبي مسجلا سرور المتوكل بعد انتقاله الى المتوكلية فقال : « الان علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها »[٣٨] • ورحل المتوكل

---

(٣٦) البجاة وهم كما يشير الطبري ١٤٢٨/٣ ، كانوا احد انواع الجنس الحبشي في غرب السودان .

(٣٧) للتفاصيل يراجع : الطبري ٣/صفحات ١٤٢٨ – ١٤٣٣ ، ابن الاثـير ، الكامل ٧/ صفحات ٥٠ ــ ٥٢.

(٣٨) البلدان صفحة ٤٢ .

من سامراء الى دمشق حيث وصلها في شهر صفر من عام ٢٤٤ للهجرة واستغرقت رحلته حوالي ٢٧ يوماً[٣٩] .

ووفقا لروايات كل من الطبري وابن الأثير[٤٠] ، قرر المتوكل ان يقيم فى مدينة دمشق ، حتى انه ذهب الى ابعد من هذا اذ أمر إقامة بعض الأبنية فى هذه المدينة ، وعلى كل حال فأنه يظهر من الدلائل التأريخية انه سرعان ما غير رأيه واوقف البناء ، ولاتذكر المصادر العربية ايضاحاً كافياً لهذا التغيير ، على الرغم من ان الطبري وابن الأثير قد اشارا الى أن الخليفة المتوكل قرر مغادرة البلاد لاسباب عديدة ، اولا لان المناخ بارد جدا في مدينة دمشق ، وثانياً بسبب الرياح التي تهب عند الظهيرة وتصبح شديدة قاسية عند حلول المساء . وثالثاً بسبب وجود بعض البعوض ، واخيراً لارتفاع اسعار الحاجيات هناك[٤١] .

ومهما يكن من امر فأن الخليفة المتوكل مكث اكثر من شهرين في مدينة دمشق ثم عاد الى سامراء في الثالث من جمادى الآخرة من عام ٢٤٤ للهجرة[٤٢]، سالكا طرق الفرات والانبار والحرف[٤٣] .

ويبدو ان الخليفة المتوكل كان يشبه اسلافه المنصور والمعتصم فى رغبته الشديدة بتخليد ذكراه ببناء مدينة خاصة به تحمل اسمه وتخلد ذكراه ، وتأكيداً لنظرته هذه فقد بنى « المتوكلية » في موقع الماحوزة[٤٤] بعد عودته من مدينة دمشق فى عام ٢٤٥ للهجرة (٨٥٩ م) .

وسوف تؤخذ هذه الملاحظة بنظر الاعتبار فى هذا الكتاب عندما نشرح اسلوب العمارة العباسية في سامراء فى عصر المتوكل .

---

(٣٩) الطبري ١٤٣٦/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٥/٧ .
(٤٠) الطبري ١٤٣٦/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٥/٧ .
(٤١) الطبري ١٤٣٦/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٥/٧ .
(٤٢) الطبري ١٤٣٦/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٥/٧ .
(٤٣) الحرف : وهو ــ كما يقول ياقوت في معجم البلدان ٢٤٣/٢ ــ رستاق من نواحي الانبار .
(٤٤) الماحوزة : وهو الموضع الذي كان قد اختير من قبل محمد بن موسى المنجم وبعض المهندسين حين عزم المتوكل ان يبني مدينة له .

وانتقل المتوكل من سامراء قبل بناء مدينته الجديدة وذكر الطبري انه ذهب الى « المحمدية »(٤٥) لمراقبة سير العمل(٤٦) .

ووفقا لروايات المؤرخين العرب فأن المباني تم اقامتها بالفعل كما يظهر ذلك من تلك الروايات ، وان المدينة الجديدة قد سميت اما بـ « المتوكلية » او بـ « الجعفرية » نسبة الى مؤسسها(٤٧) .

ولم يتمتع الخليفة المتوكل بمدينته الجديدة كثيراً ، اذ انه قتل في عام ٢٤٧ للهجرة بقصره الجعفري(٤٨) . وجميع المراجع العربية تكاد تجمع تقريبا على أن المتوكل قد قتل بأمر وتدبير ابنه المنتصر .

وليس من الصعب تتبع اصول المؤامرة التي اودت بحياة الخليفة المتوكل ووزيره « الفضل بن خاقان » .

الذي يبدو ان بعض القادة الاتراك قد خشى من تعاضم قوة المتوكل واستاء من سيطرته وسطوته اذ انهم كانوا يدركون أنه اذا غضب من أحد فأنه هالك لامحالة مثلما فعل بأثنين من وزرائه احمد بن ابي دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات وكما قتل ايتاخ التركي كذلك(٤٩) .

---

(٤٥) المحمدية : وهي ـ كما يقول ياقوت في معجمه ٤/٤٣٠ وابن عبد الحق في كتابه مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ٣/٥١ ـ كانت تعرف اولا بدير أبي صفرة الذين كانوا فريقا من الخوارج ،وبعدئذ عرفت باسم « الايتاخية » نسبة الى ايتاخ التركي ، ثم سماها المتوكل بعد ذلك بالمحمدية نسبة الى اسم ولده محمد المنتصر .

(٤٦) الطبري ٣/١٤٣٨ .

(٤٧) كل من ياقوت في معجمه ٤/٤٣٠ وابن عبد الحق في مراصد الاطلاع ٣/٤٠ اشارا الى أن الخليفة المتوكل سمى المتوكلية بالجعفري ، الا ان كلاً من الطبري ٣/١٤٣٨ وابن الاثير في كتابه الكامل اشارا أنه سمى الماحوز بالجعفري .

(٤٨) انظر : اليعقوبي ، التاريخ ٢/١٧٨ والبلدان صفحة ٤٢ ، وياقوت معجم البلدان ٤/٤١٣ ، ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ٣/٤٠ .

(٤٩) ايتاخ التركي ـ كما يشير ابن الاثير في كتابه الكامل ٧/٢٩ ـ مملوك اشتراه المعتصم في عام ١٩٩ للهجرة. ونظراً لشجاعته فأن كلاً من المعتصم والواثق قد قربه اليه ، وبعدئذ اصبح احد القادة الاتراك ، وفي عام ٢٣٥ للهجرة امر الخليفة المتوكل اسحاق بن ابراهيم عامله على بغداد بقتل ايتاخ.

وامتعض المتوكل من سيطرة ونفوذ بعض الموظفين الاتراك الذين كانوا يطمحون باستعادة مجدهم الذي تمتعوا به في عصري المعتصم والواثق [٥٠] •

ومن المحتمل ان يكون الخليفة المتوكل قد فكر بصورة جدية فى الفكرة القائلة بأن كل قومية يجب ان تتمثل بصورة متساوية فى الجيش العباسي • واراد أن يضع العرب والاتراك والاشروسنة والمغاربة في مراتب متساوية •

والواقع ، أن تحقيق هذه الرغبة كان من الصعوبة بمكان ، عندما كان المتوكل فى سامراء فى بداية خلافته ، نظراً لصعوبة السيطرة على حجم هذا الفرق الكبير •

وفى رأينا ان انتقاله من سامراء الى دمشق فى عام ٢٤٤ للهجرة كان يدين الى هذا السبب على الرغم من ان الخليفة لم يصرح لاي أحد بما كان يجول في رأسه • والحقيقة ، أن الطبري[٥١] قد روى أن المتوكل عزم على تحويل العاصمة من سامراء الى دمشق ، ولقد بدأ العنصر التركي في الجيش اثارة الاضطرابات • ولا تقدم المصادر العربية الصورة الحقيقية للدوافع السرية والعميقة لاستياء الاتراك ، على الرغم من ان المؤرخ الطبري يشير الى أن جماعات الاتراك قد الحوا في طلب رواتبهم فأرضاهم المتوكل •

ويبدو واضحا ان المتوكل شعر بعدم موافقة الجند والقادة الاتراك على إقامته فى مدينة دمشق حيث كان النفوذ العربي فيها قوياً الا انه كان فى موقف ضعيف لايغري بمقاومة الاتراك ولهذا قفل راجعا الى سامراء• ولقدمكث الاتراك في سامراء والحقد يملأ صدورهم على المتوكل وهم يتحينون الفرصة الملائمة للقضاء عليه •

وفي النهاية وجدوا في شخص المنتصر ـ ولي العهد ـ مساعد ومحرضا ، وخلال وقت قصير قتل الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بيد ثمانية من الجنود الاتراك ذكر اليعقوبي اسماءهم[٥٢] •

---

(٥٠) يبدو ان الخليفة المتوكل بدأ في تصفية بعض اقطاعاتهم واراضيهم اذ ان الطبري يشير في تاريخه ١٤٥٢/٣ الى أن المتوكل امر في عام ٢٤٧ للهجرة بالاستيلاء على أراضي وصيف في اقليمي اصفهان والجبل •

(٥١) ١٤٣٦/٣ •

(٥٢) انظر تاريخ اليعقوبي ١٧٨/٢ •

واعطى الطبري وصفاً كاملاً لعملية الاغتيال ، ومن الجدير هنا ملاحظة الحقائق التالية ، فحسب الرواية الاولى لابي جعفر[٥٣] فأن المتوكل قد أعطى اوامره بتصفية أراضي وأملاك ايتاخ في اصفهان والجبل كما اشرنا سابقاً ، وان تمنح الى الفتح بن خاقان • وقد اعدت هذه الاوامر واصبحت جاهزة ليختم عليها الخليفة المتوكل فى الخامس من شهر شوال عام ٢٤٧ للهجرة (٨٦١م) ، ويضيف الطبري بأن اخبار هذه التصفيات قد وصلت الى وصيف •

ومن جهة ثانية ، فأن المتوكل عزم على الصلاة مع الناس فى الجمعة الاخيرة من رمضان ، وانتشرت الاخبار بين الناس لذا فأن عدداً كبيراً منهم قدم الى سامراء من مختلف المناطق • وحينما اراد المتوكل الذهاب للصلاة اخبره كل من عبيد الله بن يحي والفتح بن خاقان بأن حشداً كبيراً من الناس قد وصلوا سامراء ومن ضمنهم بعض من بني هاشم ومن المحتمل ان يزعجوه بالشكاوي والمطالب الكثيرة • واقترحا عليه ، لهذا السبب ، أن من الافضل انابة احد اولاده بدلا عنه • فوافق المتوكل وامر ولده المنتصر ان يذهب للصلاة، ولكنهما نصحاه أن يكون من الافضل أن يرشح ولده المعتز اذ أنه بذلك يرضي كلا من المعتز وعرب بني هاشم[٥٤] • فوافق المتوكل على نصيحتهما هذه وامر ولده المعتز بالصلاة بدلاً عنه • واضاف الطبري ان المنتصر بقي فى داره ، وليس من شك ان حقده على والده قد ازداد نتيجة هذه الحادثة ، وان تصميمه على قتله قد قوى •

ويقدم الطبري رواية اخرى موضحاً ان المتوكل نفسه كان قد صمم على اغتيال ولده المنتصر وبعض القادة الاتراك مثل وصيف وبغا في يوم الخميس الثالث من شوال عام ٢٤٧هـ • وازدادت سخرية المتوكل بولده المنتصر واستهزاؤه به بحضور وزرائه الذين يشاركونه الشراب ، ففي احدى المناسبات ، على سبيل المثال ، عنف ولده وامره بالشرب الى درجة لاتحتمل •

---

(٥٣) للتفاصيل انظر: الطبري ٣/١٤٥٢ – ١٤٥٦ وابن الاثير، الكامل ٧/صفحة ٦٠ وما بعدها .

(٥٤) ٣/١٤٥٦ – ١٤٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٧/٦٢ والصفحات التي تليها .

واضاف الطبري أن المتوكل قال لندمائه : « اشهدوا جميعا اني قد خلعت المستعجل ، فقال المنتصر يا امير المؤمنين ثم التفت اليه فقال سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر ثم صرت الان المستعجل ، فقال المنتصر يا امير المؤمنين لو امرت بضرب عنقي كان اسهل علي مما تفعله بي ، فقال ابوه اسقوه ثم امر بالعشاء فاحضر وذلك في جوف الليل فخرج المنتصر من عنده »[٥٥] •

واضاف الطبري أن المنتصر ترك مجلس والده واتصل بـ « زرافة » وذهبا معاً الى غرفة زرافة •

ويبدو ان امر القتل قد اعطى مباشرة من قبل المنتصر بعد مغادرته مجلس والده على الرغم من ان المؤرخين لم يبسطوا ذلك بوضوح • ويمكن أن نستنتج ذلك ، مما سجل في المحادثة التي جرت بين المنتصر وزرافة والتي تشير الى ماحدث بعدئذ بوقت قصير • ويظهر ايضا ان المنتصر لم يرحل ، وانما بقى في قصر والده وكأنه كان ينتظر اعلان اغتيال المتوكل • ثم ان بغا التركي ـ الذي ادار عملية القتل ـ قابل المنتصر بعد الصخب الذي اثير بعد عملية التنفيذ ، كما يصف الطبري[٥٦] بالضبط كيف قتل المتوكل فيروي عن عثعث ان المتوكل امر باحضار الطعام بعد ان ترك المنتصر وزرافة مقعديهما• أما « بغا » حاجب الخليفة ، والذي كان مسؤولا فى القصر فى تلك الليلة فقد ذهب الى مجلس الخليفة وامر رفاقه بالذهاب الى غرفهم ، ولكن الفتح بن خاقان قال له : « ليس هذا وقت انصرافهم وامير المؤمنين لم يرتفع فقال له بغا ان امير المؤمنين امرني اذا جاوز السبعة از لااترك في المجلس احدا وقد شرب اربعة عشر رطلا فكره الفتح قيامهم فقال له بغا ان حرم امير المؤمنين خلف الستارة وقد سكر فقوموا واخرجوا ، فخرجوا جميعا فلم يبق الا الفتح وعثعث واربعة من خدم الخاصة منهم شفيع وفرج الصغير ومؤنس وابو عيسى مارد المحرزي ••• » •

ويستمر الطبري في الحديث فيذكر أنه لما « سمع المتوكل صوت ابي احمد ورفع رأسه فرأى القوم فقال يابغا ماهذا ؟ قال هؤلاء رجال النوبة التي تبيت على باب سيدي امير المؤمنين • فرجع القوم الى ورائهم عند كلام

---

(٥٥) ١٤٥٦/٣ ـ ١٤٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٦٢/٧ والصفحات التي تليها .
(٥٦) الطبري ١٤٥٩/٣ والصفحة التي تليها، ابن الاثير، الكامل ، ٦٢/٧ ـ ٦٤ .

المتوكل بغا ولم يكن واجن واصحابه وولد وصيف حضروا معهم بعـد » قال عثعث « فسمعت بغا يقول لهم ياسفل انتم مقتولون لا محالة فموتوا كراما فرجع القوم الى المجلس فأبتدره بغلون فضربه ضربة على كتفه واذنه فقده فقال مهلا قطع الله يدك ثم قام واراد الوثوب به فاستقبله بيده فأبانها وشركه باغر ، فقال الفتح ويلكم امير المؤمنين !! فقال بغا يا جلفي لاتسكت فرمى الفتح بنفسه على المتوكل فبعجه هارون بسيفه ، فصاح الموت واعتوره هارون وموسى بن بغا بأسيافهما فقتلاه وقطعاه واصابت عثعث [٥٧] ضربة في رأسه ، وكان مع المتوكل خادم صغير فدخل تحت الستارة فنجا وتهارب البـاقـون »[٥٨] .

وليس هناك اتفاق بين المؤرخين العرب على التأريخ المحدد لاغتيال المتوكل ، وبالنسبة الى الطبري وابن الأثير فأن اغتيال الخليفة قد جـرى في ليلة الرابع او الخامس من شهر شوال[٥٩] .

وفي الصباح انتشر خبر اغتيال الخليفة في الماحوزة ــ وهي المديـنة التي بناها المتوكل ــ فتجمع الجند يملأ قلوبهم الغضب في قصر الجعفري ، فخرج عليهم المنتصر ثم ارسل اليهم بعض الجند المغاربة لمهاجمة حشدهم ففرقوهم بعد وقت قصير[٦٠] .

وفى اليوم التالي لاغتيال المتوكل ، ذهب عدد كبير من القادة والجند ومن ضمنهم الشاكرية الى الجعفري ، فقرأ احمد بن الخصيب رسالة من المنتصر اعلن فيها ان الفتح بن خاقان اغتال والده الخليفة المتوكل ، فقتله للثأر منه ، وبعد ذلك بايع الناس الخليفة الجديد[٦١] .

---

(٥٧) عثعث ــ احد ندماء المتوكل الذين يحضرون مجلسه ، وكـان في مجلـس الخليفة ليلة اغتياله ، لذلك يعد شاهد عيان لعملية اغتيال الخليفة .

(٥٨) الطبري ١٤٥٩/٣ والتي تليها .

(٥٩) الطبري ١٤٦٥/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٤/٧ ، وقد روى المسعودي في مروج الذهب ٢٦٧/٧ أن المتوكل اغتيل في اليوم الثالث او الرابـــع من شوال .

(٦٠) الطبري ١٤٧١/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦٦/٧ .

(٦١) الطبري ١٤٧١/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٦٦/٧ .

كان المنتصر الابن الاكبر للمتوكل ، وامه بيزنطية تدعى حبشية ، وكان في الخامسة والعشرين من عمره حين بويع للخلافة ، في قصر والده الجعفري[٦٢] ، ويظهر ان المنتصر كره العيش فى المدينة التي اقامها والده ، فقد ذكر المؤرخون بانه انتقل الى سامراء بعد عشرة ايام مع عائلته وقواده وجنده[٦٣] .

٣ـ جامع سامراء الكبير

وهو الجامع الرئيسي الثاني في سامراء ، ولقد شيد المعتصم الجامع الاول عند بداية بناء سامراء عام ٢٢١ للهجرة (٨٣٦م) . واشار اليعقوبي ان المعتصم قد خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط كذلك المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع الكبير[٦٤] وقد استعمل هذا الجامع الاول لاداء فريضة صلاة الجمعة حتى مجيء المتوكل الى الخلافة فى عام ٢٣٢ للهجرة (٨٤٧ م) . يقع الجامع فى النهاية الشمالية للسوق الرئيسية الى غرب الجامع الكبير وليس بعيداً عن الجوسق الخاقاني[٦٥] .

وفى بداية حكم المتوكل أصبح هذا الجامع القديم صغيراً جداً لايسع عدد المؤمنين المصلين والجند . ولذلك شيد المتوكل جامعاً رئيسياً جديداً عند اول « الحير » فى موضع واسع خارج المنازل ولايتصل به شيء من القطائع والاسواق ، وقد اتقن الخليفة بناءه ووسعه واحكم تشييده كما اشار اليعقوبي[٦٦] .

وقد وصف « روس » هذا الجامع في عام ١٨٣٤ بانه بناء عظيم من الآجر على شكل مستطيل ابعاده ٢٦٤ × ١٥٩ خطوة مع برج فى كل زاوية

---

(٦٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢٩٠/٧ ، وقد اشار الطبري ١٤٧٥/٣ – ١٤٧٨ ان نص المبايعة قد اخذ الى المنتصر .

(٦٣) الطبري ١٤٧١/٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ٢٩١/٧ .

(٦٤) البلدان ، صفحة ٣٢ .

(٦٥) Herzfeld, Archaologische Reise., 1, p. 87.

(٦٦) البلدان صفحة ٣٥ .

ويوجد بينها احد عشر برجاً صغيراً فى الجوانب الطويلة[٦٧] وثمانية ابراج فى الجوانب الصغيرة ، ولقد تهدمت الاروقة الداخلية وصف الابنية الخارجي تماماً كما نقل الآجر . والبناء الباقي ــ ماعدا الاقواس فـوق المداخل التـي تساقطت ــ هو الآن في حالة حفظ جيدة [٦٨] .

ثم يقول « جونس » الذي زار الجامع في عام ١٨٤٦ بأن كلاً مـن « الملوية » و « المدرسة »[٦٩] قد بنيتا من آجر جيد وباتقان عظيم ــ يبلـغ طول « المدرسة » ٨١٠اقدام وعرضها (٤٩٠) قدماً ، لها (١٢) دعامـة بين ابراج الزاوية في الجهة الشمالية الغربية والجهة الجنوبية الشـرقية و (١٠) فى الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الغربية . والمدخل الرئيسـي يقابل القبلة ويلاحظ في الحال اصله المحمدي . ويبدو انه كان هناك نافورة في وسط الفناء . يبلغ ارتفاع الجدران في الوقت الحاضر حوالي (٣٠) قدماً وفى جهته الجنوبية الغربية يمكن ان تميز بقايا الشبابيك المعقودة[٧٠] .

ويبعد هذا الجامع بضع مئات من الامتار عن شمال سامراء الحديثة ، وهو منعزل تماماً . ولقد فقد الكثير من أعمدته ولم يبق منه سوى المنارة وسور مستطيل منطابوق في حالة جيدة[٧١] .

---

(٦٧) لاتتفق المصادر في عدد الابراج التي تدعم الجدران الطويلة لهذا المسجد ، ويقول كريزويـل في كتابه Early Muslim Architecture الجـزء الثاني صفحة ٢٥٢ بانها كانت عشرة ابراج ، ولكنه يشير الى ان عددها هو اثنا عشر برجاً في كتابه المختصر S.A.E.M.A. صفحة ٢٧٤ . وتذكر مديرية الآثـار القديمة العامة ان عددها كان عشرة ابراج .

(٦٨) Journal of The Royal Geography Society, XI, p. 128.

(٦٩) يسميه مرة ب « مدرسـة » ومرة ب « جامـع » . ومن الواضـح ان « جونس » كان متحيراً ومرتبكاً وانه لم يكن متأكداً من هوية هذا البناء . وفي اعتقادنا ان سبب تحيره وارتباكه في تشخيص البناء يعود الى اعتقاده ان الحنية الكبيرة وهي « المحراب » كانت المدخل الرئيسي .

(٧٠) *J. R. G. S.*, XI, (1848), PP. 8f

(٧١) مديرية الآثار العراقية ، ، حفريات سامراء ، صفحة ٤٥ .

Beylie, Prome et Samarra, p. 115.

الجدار الخارجي

يضم جامع سامراء سوراً مستطيلاً مع جدران بابراج ابعاده ٢٤٠×١٥٦ متراً من الداخل [بنسبة تقريبية ٣ : ٢](٧٢) وابعاده بالأقدام تعادل ٧٨٤ × ٥١٢ قدماً(٧٣) • وعلى هذا فأن مساحته الكلية تصبح ٣٨٫٠٠٠ متر مربعاً تقريباً وعلى هذا الاساس فأن هذا الجامع يكون اكبر جامع في العالم(٧٤) •

بنيت الجدران الخارجية للجامع من الطابون المفخور [شكل — ٢١] واقيمت ابراج مستديرة على مسافات على طول الجدران وفي الزوايا •

والطول الاكبر للجدران هو الذي يقع بين الشمال الى الجنوب ، وابراج الزوايا الاربع اقطارها اكبر من تلك الابراج القائمة على امتداد الجدران • اما الابراج الوسطى فأن اشكالها واحجامها منتظمة تماماً ، ماعدا البرجان اللذان يقعان على جانبي البوابة الجنوبية التي اقتطع جزء منها بواسطة فتحات الباب ، وكذلك البرج الواقع الى غرب نفس الباب مباشرة والذي له اضافة صغيرة في القسم الغربي من عقده(٧٥) •

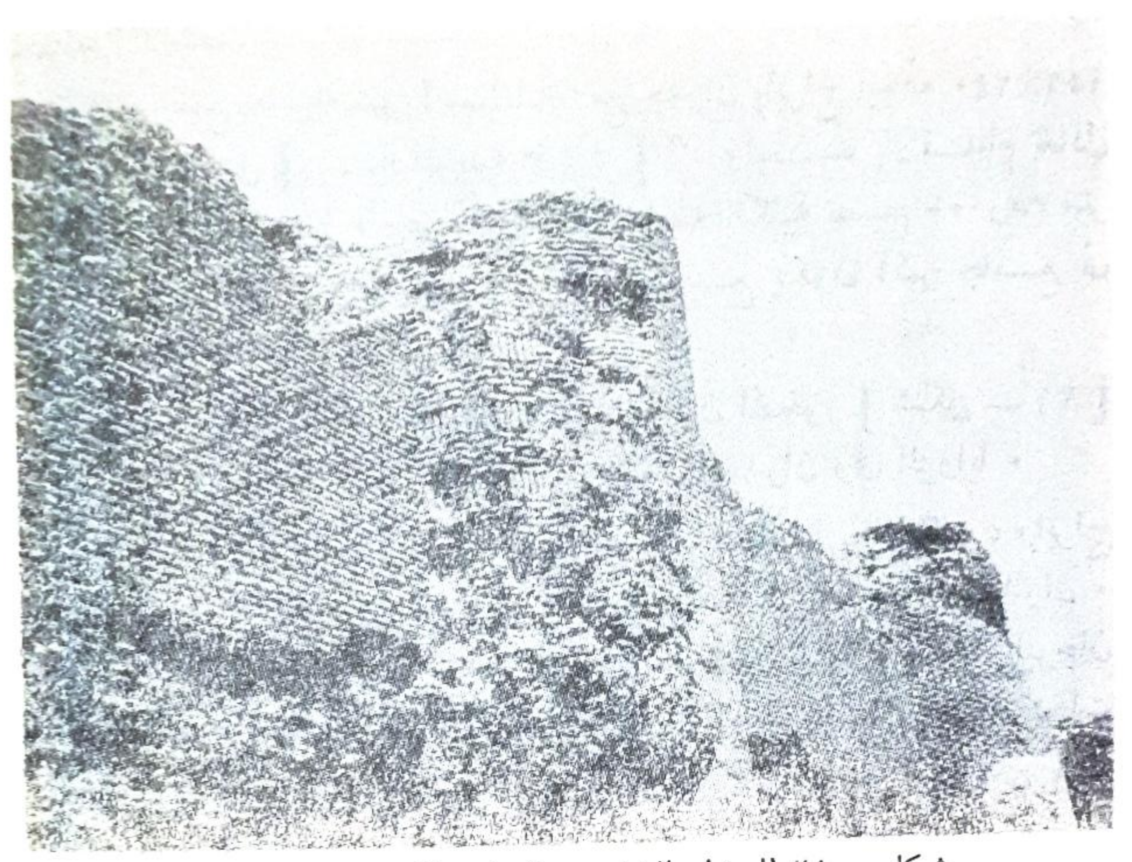
---

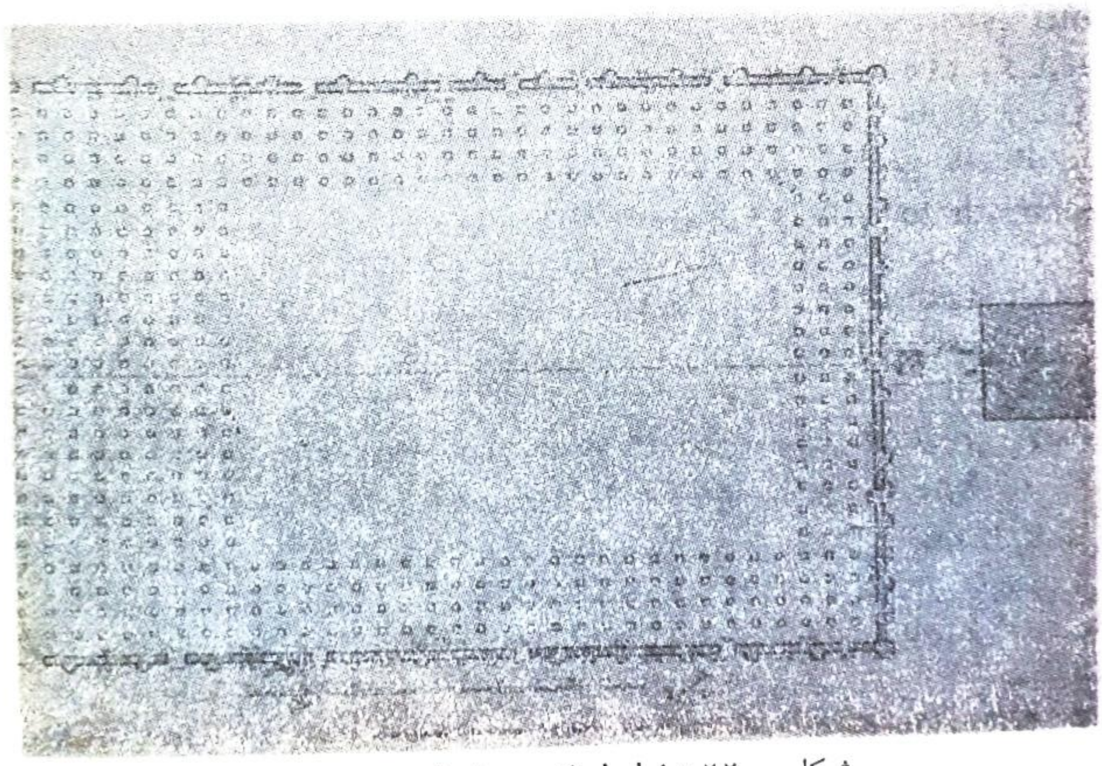
(٧٢) القياسات المذكورة اعلاه اعطيت من قبل البروفسور كريزويل في كتابه Early Muslim Architecture الجزء الثاني صفحة ٢٤٥ وكذلك في كتابه المختصر .S.A.E.M.A صفحة ٢٧٤ • وعلى كل حال فأن بعض المصادر الاخرى تقدم قياسات تختلف اختلافاً بسيطاً عن تلك التي ذكرها البروفسور كريزويل • فمثلا «مس بل» في كتابها Amurath to Amurath صفحة ٢٣٣ تشير الى القياسات ٢٤٠×١٥٧٫٦٠ متراً • وتذكر مديرية الآثار العراقية القديمة في نشرتها الموسومة سامراء ابعاد الجامع ١٦٠×٢٤٠ متراً • ويذكر الدكتور احمد فكري في كتابه ، مساجد القاهرة ومدارسها صفحة ٢٣٧ الارقام ٢٤٠×١٥٦ متراً ، الا ان البروفسور هرزفيلد في كتابه ,Samarra صفحة ١٩ يذكر ابعاداً تختلف عن الابعاد التي قدمت من الآخرين فيشير الى ابعاد الجامع ٢٦٠×١٨٠ متراً •

(٧٣) S.A.E.M.A., p. 274، وقد اعطى روس في J.R.G.S. العدد السادس صفحة ١٢٨ القياسات بالخطوات ٢٦٤×١٥٩ • غير ان جونس في J.R.G.S. العدد السادس لعام ١٩٤٨ صفحة ٨ اشار بان قياسه ٨١٠×٤٩٠ قدماً •

(٧٤) E.M.A., 11, p. 254.

(٧٥) Bell, Op. cit., p. 233.


شكل ـ ٢١ الجدار الخارجي للجامع الكبير قبل الصيانة


شكل ـ ٢٢ تخطيط كريزويل للجامع الكبير

والأبراج تقريباً نصف مستديرة ، معدل قطر كل برج ٣٫٦٠ متر وبروزه ٢٫١٥ متر ، ومعدل طول المساحة من الجدران الواقعة بين كل برجين ١٥ متراً • وهناك اربعة ابراج في زوايا المسجد و ١٢ برجاً في كل من الجدارين الشرقي والغربي و ٨ ابراج لكل من الجدارين الشمالي والجنوبي ، وهكذا يكون مجموع الابراج ٤٤ برجاً [الشكل — ٢٢] • جميع المخططات التي وضعها علماء الآثار تتفق في أن عدد الابراج الواقعة في الجوانب الاطول من الجامع ١٢ برجاً وفي الجوانب الاخرى ٨ ابراج • وهذه الحقيقة وضحت تماماً في مخططات بيليه [شكل — ٢٣] وهرزفيلد (شكل — ٢٤) وڤيولة (شكل — ٢٥) وكريزويل (شكل — ٢٢) •

اشار كريزويل الى أن ابراج الزوايا تبرز بمقدار ٢٫١٥ متر كباقي الابراج ، وأن هذا البروز في كلا الوجهين ، ولهذا فأن اقطارهما تكون حتما اكبر (حوالي ٥٫١٥ متر) • تقوم هذه الابراج على قواعد مستطيلة في صفين او ثلاثة من الطابوق ، وقد اصبح عدد منها عاريا في الوقت الحاضر وعلى وجه الخصوص في الجانب الشمالي[٧٦] •

المحور الرئيسي لهذا الجامع يشير الى ١٢ درجة جنوب غربي[٧٧] ، الا ان اتجاه القبلة الصحيح هو ١٣٫٣٠ درجة جنوب غربي ، اذن فأن الخطأ ١٫٣٠ درجة ولقد بقيت من هذا الجامع جدرانه الخارجية فقط ، اذ قد تهدم السقف وجميع الدعامات التي كان يستند عليها • ومن الواضح انه كان على هذه الحالة عندما رآه « روس » في عام ١٨٣٤[٧٨] • وهذه الجدران ، كما أشار كريزويل ثخنها ٢٫٦٥ متر وكانت من الطابوق الاحمر الخفيف ابعاد الطابوقة ٢٥ — ٢٧ سم وسمكها ٧ سنتمترات[٧٩] • ولقد تآكل سطح الطابوق الى منطقة اعلى من ان يصلها المرء • وترى « جروترودبل » أن سبب ذلك يرجع الى الاحتكاك الدائمي وتغطية الانواع الثقيلة من

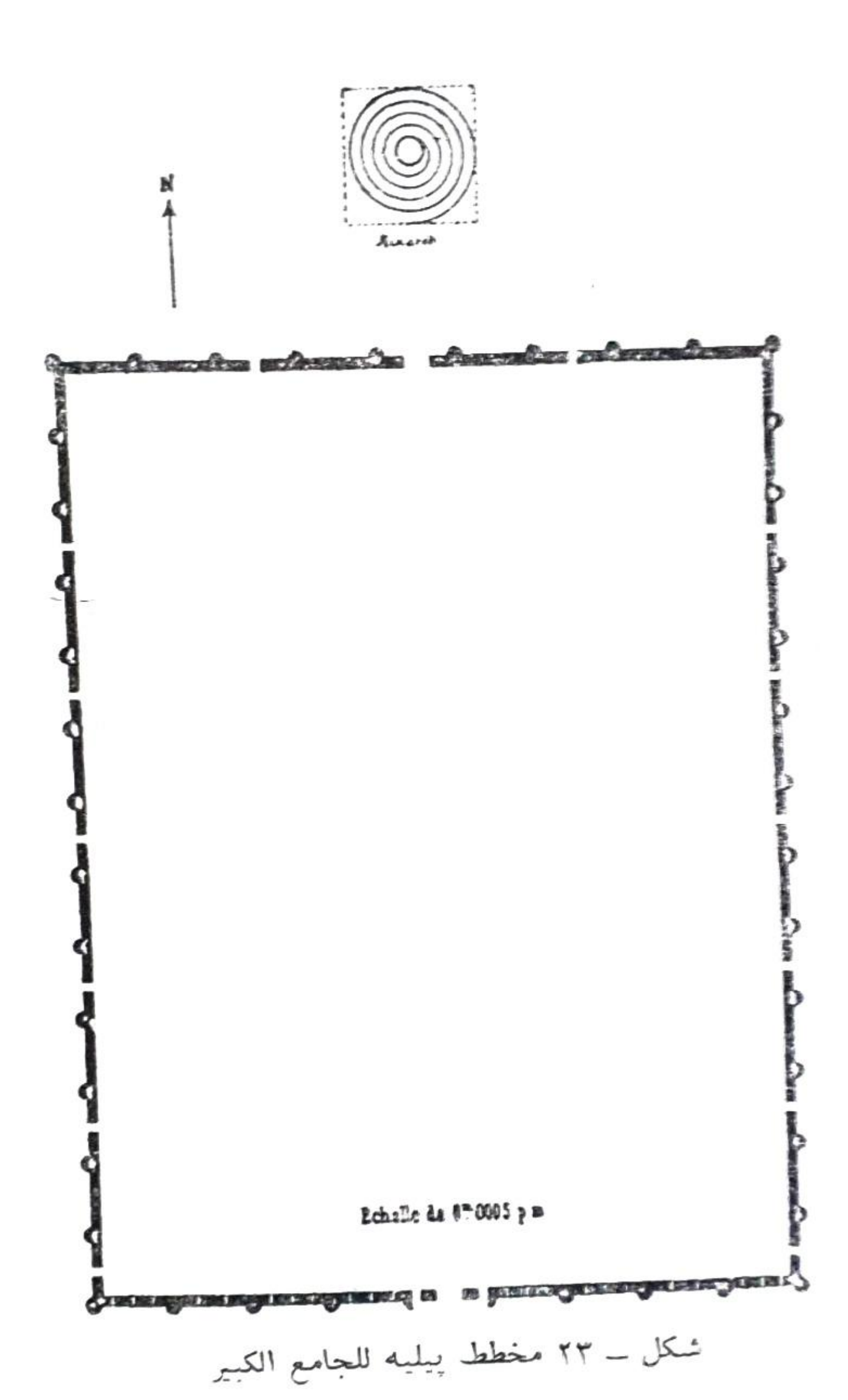
---

(٧٦) Creswell, E.M.A., 11, p. 255.

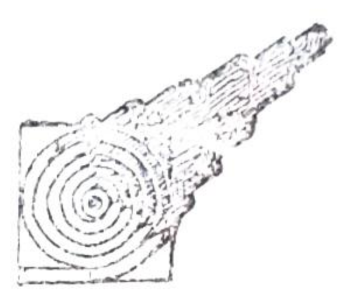
(٧٧) Herzfeld, Samarra, p. 19.

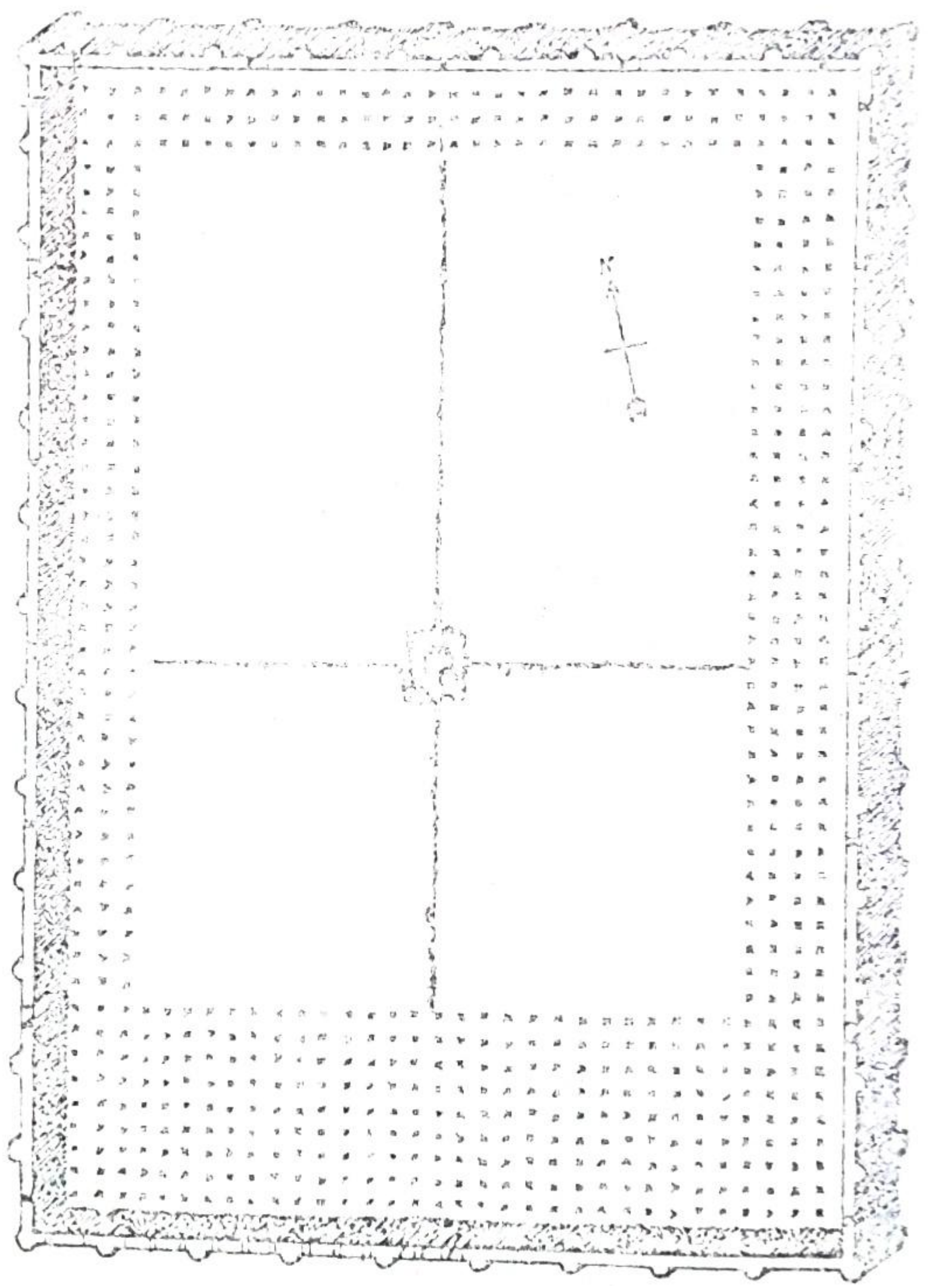
(٧٨) J.R.G.S., XI p. 128.

(٧٩) E.M.A., 11, p. 254.

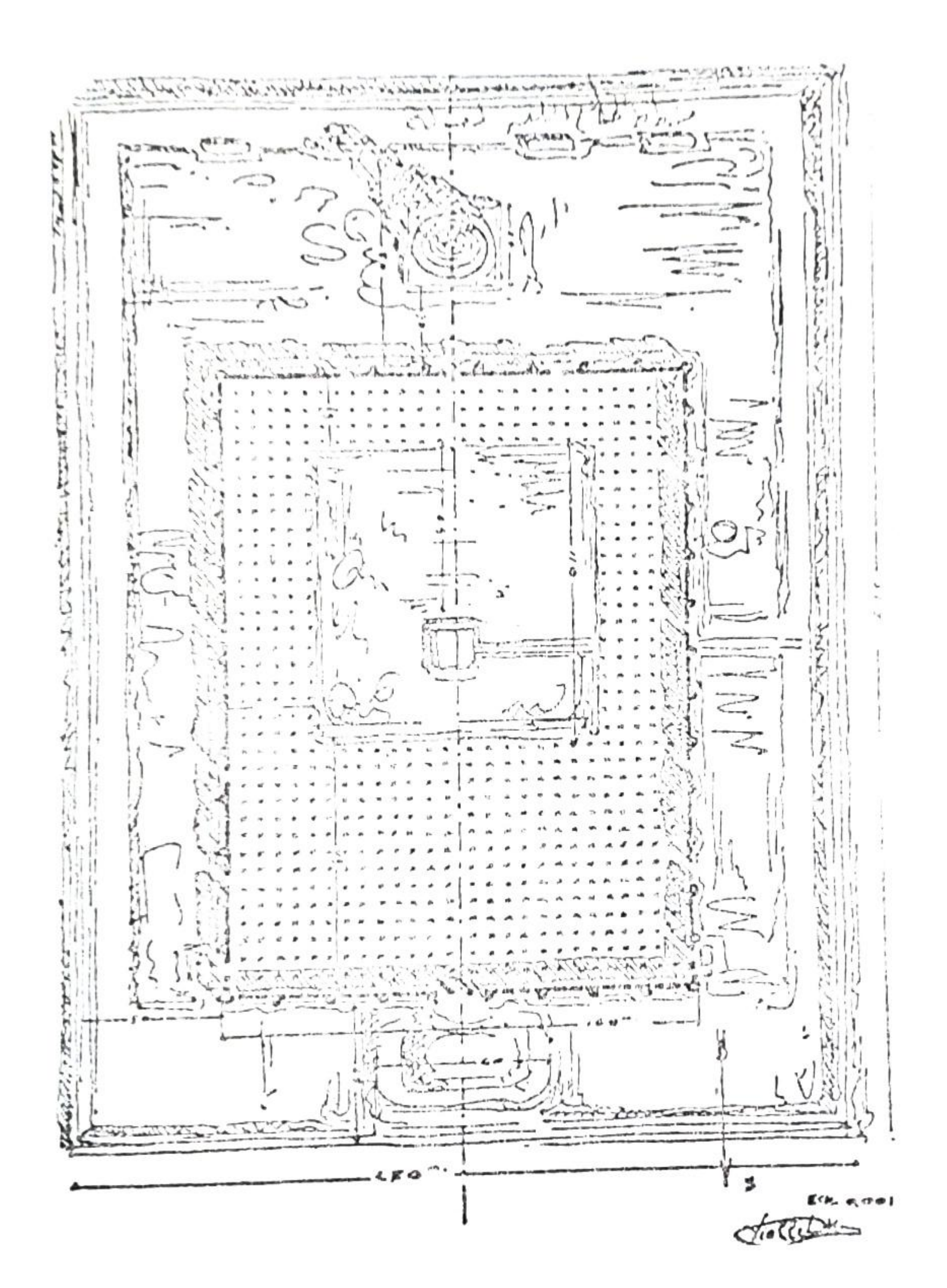


شكل – ٢٣ مخطط پيليه للجامع الكبير





شكل ــ ٢٤ مخطط هرزفيلد للجامع الكبير



شكل – ٢٥ ، مخطط ڤيولة للجامع الكبير

الرمال[٨٠] غير ان « كريزويل » يشير الى ان ذلك تسبب بفعل مزيج من الملح والرطوبة[٨١] ، اما البروفسور « رايس » الاستاذ المشرف على هذه الرسالة ، فقد قال لي ان السبب هو ان الحيوانات لعقته بحثا عن الملح •

كانت الابراج خالية من الزخرفة تماما ، غير ان مساحة الجدار المحصورة بين كل برجين مزخرفة بشريط من ست فجوات مربعة مع حافات مائلة[٨٢] • [شكل ــ ٢٦] عدا الاول من القسم الجنوبي لكل جانب حيث هناك خمسة فقط • وفي كل مربع انخفاض دائري قليل الغور قطره حوالي المتر وعمقه ٢٥ سنتمترا ، ولايزال ، بعض منها ، مغطى بالجص [شكل ــ ٢٧] (وهــذا يدل على ان طابوق الجدران لم يكن عاريا تماما) • ماخلا النصف العلوي من التجويف فهو مبني على شكل قوس نصف دائري بدلا من الدائرة الكاملة كما يتوقع المرء[٨٣] •

في معظم مساحة الجدار المحصورة بين برجين يوجد اخدود عمودي (ومكانان من هذه المساحة في الجانب الشمالي للجدار لهما اخدودان) ومما لاشك فيه انها كانت تحتوي على قناة (ميزاب) من السقف المسطح[٨٤] •

ويبلغ ارتفاع الجدران في الوقت الحاضر حوالي ٥٠ر١٠ متر[٨٥] • وليس من الممكن ان تكون في الاصل اعلى من هذا الارتفاع • وعلى الرغم من بساطتها فأن لها تأثيراً اثرياً حقيقياً[٨٦] •

---

(٨٠) Op. cit., p. 211.

(٨١) E.M.A., 11, p. 254.

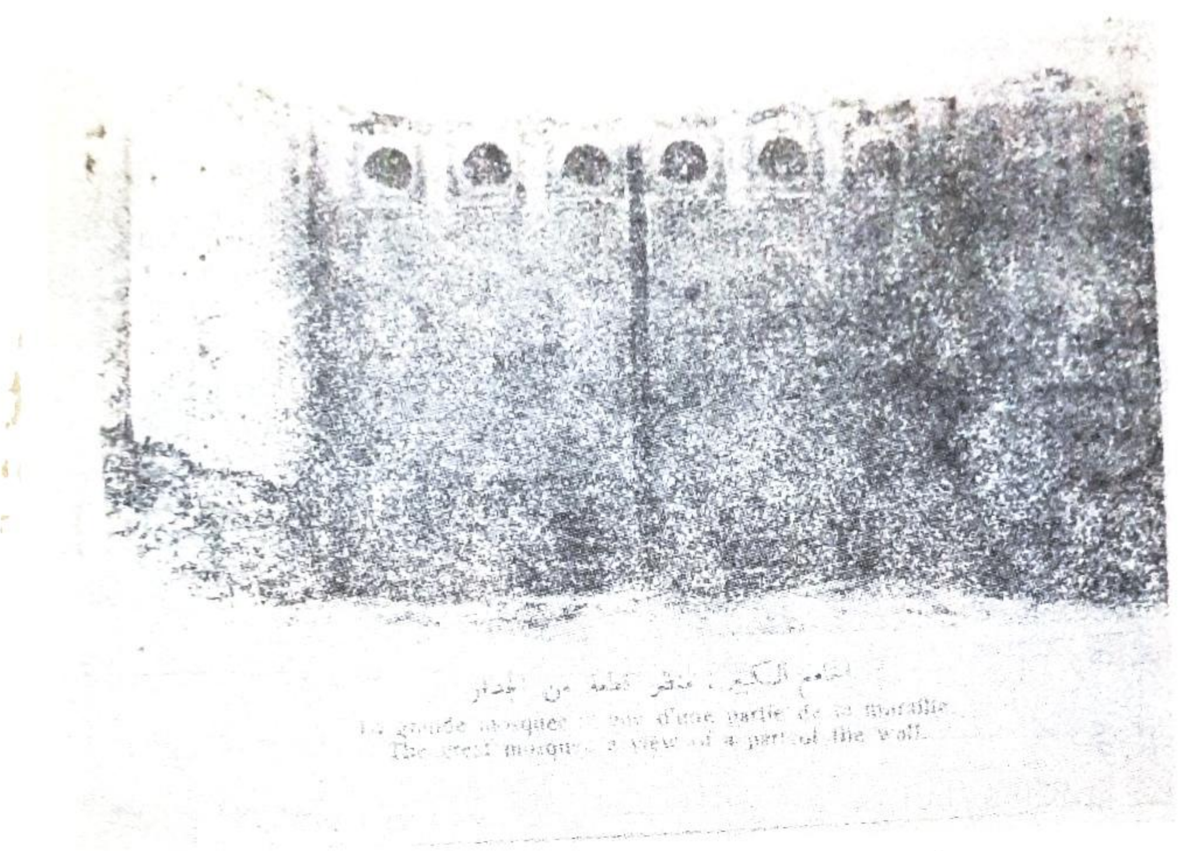
(٨٢) مديرية الآثار العراقية ، سامراء ، صفحة ٤٦. E.M.A., 11, p. 256.

(٨٣) E.M.A., 11, p. 256.

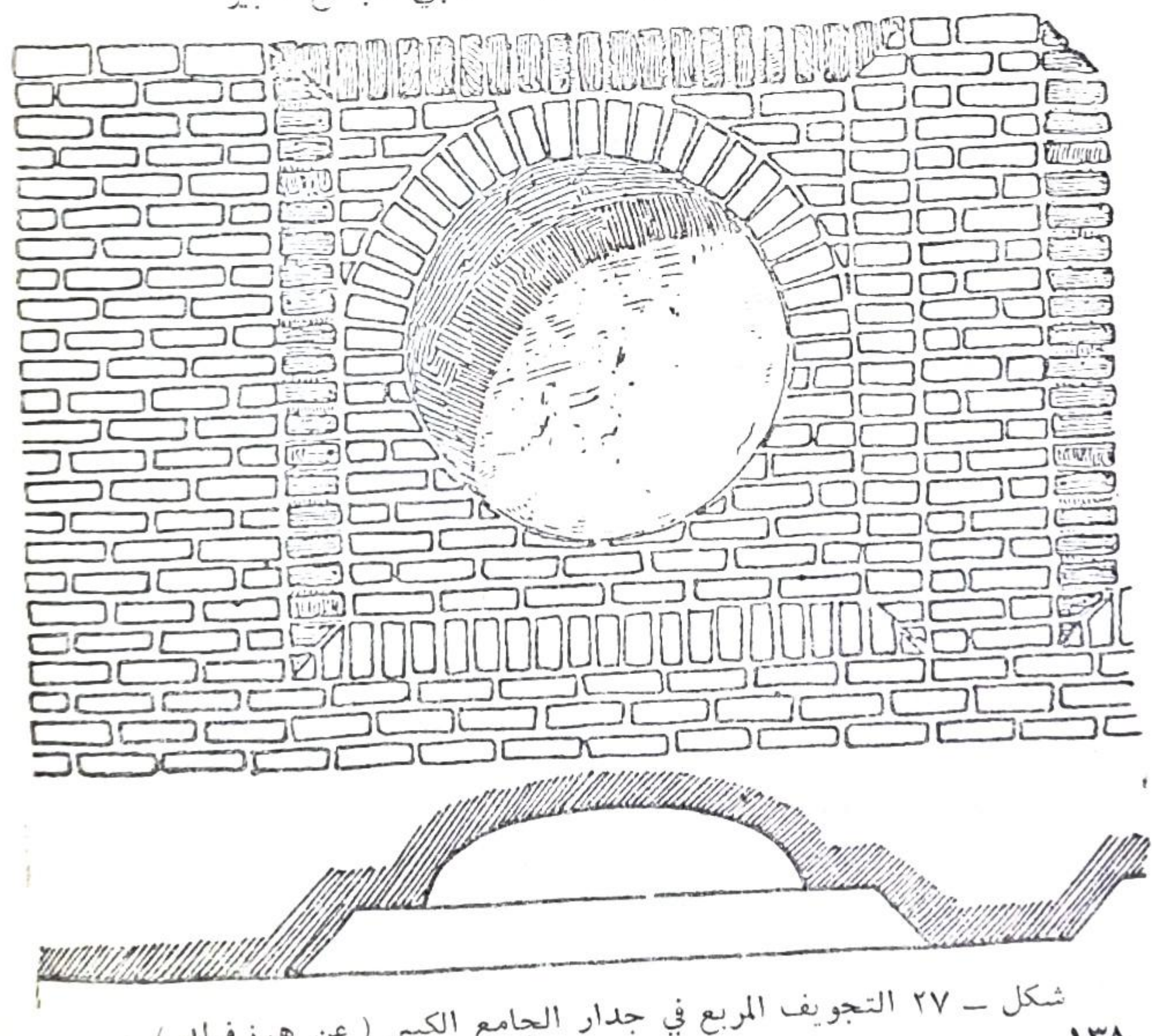
(٨٤) Ibid., p. 256. ، مديرية الآثار العراقية ، سامراء صفحة ٤٦ •

(٨٥) وقد اعطت مديرية الآثار العراقية القديمة في نشرتها ، سامراء صفحة ٤٥ ان مجموع ارتفاع الجدران حوالي (١٠) امتار •

(٨٦) Creswell, E.M.A., 11, p. 256.



شكل ــ ٢٦ جزء من الجدار الخارجي للجامع الكبير



شكل ــ ٢٧ التجويف المربع في جدار الجامع الكبير (عن هرزفيلد) .

هناك (١٦) مدخلاً مستطيلا ممتدة بواسطة دعامات ترتفع عليها عقود[٨٧] . وفي الجدار الجنوبي لم يكن لأي من قطعة الجدار منفذ ماعدا ذلك الذي في الوسط ، حيث ظهر ان لها ثلاثة مداخل[٨٨] . والذي كان يبدو على انه الباب الرئيسي للجامع في وسط الجدار الجنوبي قبل ان تثبت تنقيبات هرزفيلد[٨٩] لم يكن بابا بل محرابا .

وهناك في الجهة الشمالية فتحة في كل قطعة الجدار [شكل — ٢٦] ويكون مجموعها خمسة ، ولكن ثلاثة منها فقط هي مداخل حقيقية ، اذ ان تلك الفتحات الصغيرة الكائنة فى كل نهاية ماهي الا فتحات عملت فى الجدار ومعدل اتساع هذه الفتحات (١٫٥٠) متر بينما اتساع المداخل أقل من (٤) أمتار . وفى الجهة الغربية هناك تسع فتحات في قطع الجدران[٩٠] ولكن الفتحة الاولى والاخيرة ماهي فى الواقع الا حفر فى الجدار وكذلك الفتحة فى قطعة الجدار السابع التي ماهي الا ثغرة عملت خلال الجدار[٩١] .

ويشير « كريزويل » أن عرض المداخل الاصلية يختلف وهو كالتالي : ٣٫٩٠ ، ٤٫٧٠ ، ٣٫٩١ ، ٣٫٨٥ ، ٢٫٦٠ ، ٣٫٨٥ متر . وفي الجانب المقابل يكون عرضها مماثلاً للقياسات المذكورة اعلاه ، الا واحدة في قطعة الجدار السابع التي حذفت ، لذلك فأن هناك خمسة ابواب فقط . ومعظم هذه المداخل الجانبية يقع فى وسط قطعة الجدار تقريباً ، ويبدو ان مواقع تلك المداخل لم تنتخب لان تكون على محور رواق بيت الصلاة وبقية الأروقة المتناظرة[٩٢] .

---

(٨٧) دائرة المعارف الاسلامية ،النسخة الانكليزية ، مادة « العمارة » صفحة ٦٢٠ .

(٨٨) Creswell, E.M.A., 11, p. 255.

(٨٩) Creswell, Ibid., p. 255.

(٩٠) مخطط كل من ڤيولة وكريزويل [الشكلان ٢٦ و ٢٣] يريان ان مجموع الفتحات هي تسع فتحات . الا ان مخطط پيليه [شكل — ٢٤] يشير فقط الى ستة ابواب بينما يرى مخطط هرزفيلد [شكل — ٢٥] سبع فتحات .

(٩١) E.M.A., 11. p. 255.

(٩٢) Ibid., p. 255.

وفى جميع الحالات ، عدا وسط الجانب الشمالي ، فأن البناء القائم فوق الابواب قد تهدم ، ولكن ظهر بعــد فحص النوافذ التي كانت مصانة تماما انه كان هناك عقد مرتفع مسطح مستند على عوارض ، وقدم «كريزويل» مثلا على هذا ، المدخل الجنوبي الكبير فى الجهة الغربية الكائن على يمين صف الطابوق حيث يرتد الى الخلف وكأنه ينشأ من العقد المسطح ، وتــرى فتحات العوارض بنفس المستوى وفوقه قليلا[٩٣] .

مخطط المسجد

يتألف الجامع من اربعة اقسام تحيط بالصحن ، الحرم في النهاية الجنوبية وثلاثة اقسام اخرى حول الجهات الثلاث الاخرى [شكل ـ ٢٢] .

لم يكن في المستطاع اعادة تنظيم المخطط بصورة اكيدة حتى تنقيبات هرزفيلد عام ١٩١٠ ، ما عــدا عــدد أروقة بيت الصلاة[٩٤] ، بسبب اقتلاع اعمدة السقف ودعاماته التي ازيلت منذ فترة طويلة للانتفاع من موادها .

يتألف الحرم (بيت الصلاة) من اربعة وعشرين صفا من الاعمدة تشكل خمسة وعشرين رواقا[٩٥] . بمعدل ٢٠ر٤ متر تقريبا للعرض ، مقابل محاور النوافذ[٩٦] اذ ان لكــل رواق فى الجــدار الجنوبي شــباكا[٩٧] . [شــكل ـ ٢٨] .

النوافذ

في القسم العلوي لحائط القبلة يوجد ٢٤ شباكاً ، تحت مستوى الافريز وتحت السقف المسطح [شكل ـ ٢٨] . واشار هرزفيلد الى أن شــباكين

---

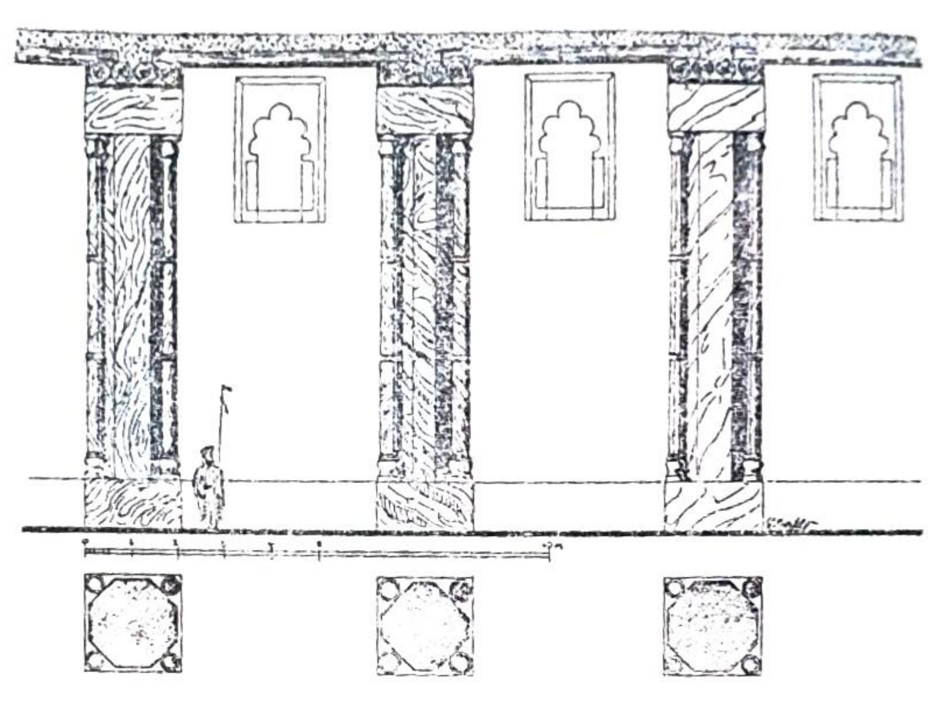
(٩٣) Ibid., p. 255.

(٩٤) Ibid., p. 255.

(٩٥) Herzfeld, Erster., p. 6. Bell, Op. cit., p. 233.
Creswell, E.M., 11, p. 256 and his S.A.E.M.A. p. 276;
ومديرية الآثار العراقية ، سامراء ، صفحة ٤٧
Rice, Islamic Art, p. 34.

(٩٦) E.M.A.. 11, p. 256.

(٩٧) Herzfeld, Erster, p. 6.



شكل ــ ٢٨ النوافذ في الجدار الجنوبي للمسجد الكبير (عن هرزفيلد)

منها يقعان فوق البابين اللذين يحيطان بالمحراب[٩٨] .

ولقد استغرب هرزفيلد اذ لم يجد هناك اية علاقة تذكر بين صف الشبابيك وترتيب الابراج ، اذ انها جميعا تقع على محاور الاروقة الشمالية ــ الجنوبية للحرم[٩٩] .

وهناك شباكان آخران يقعان على جهة من Curtain wall الثانية من الجنوب ، ويكون مجموعها ٢٨[١٠٠] . وليس هناك شبابيك اخرى وذلك لان المهندس اعتقد بأن الاروقة ليست بحاجة لها لانها اقل غورا بكثير من تلك التي في الحرم[١٠١] ولما كان المحراب يصل في ارتفاعه الى السقف فليس هناك شباك يعلوه فى الرواق الاوسط .

---

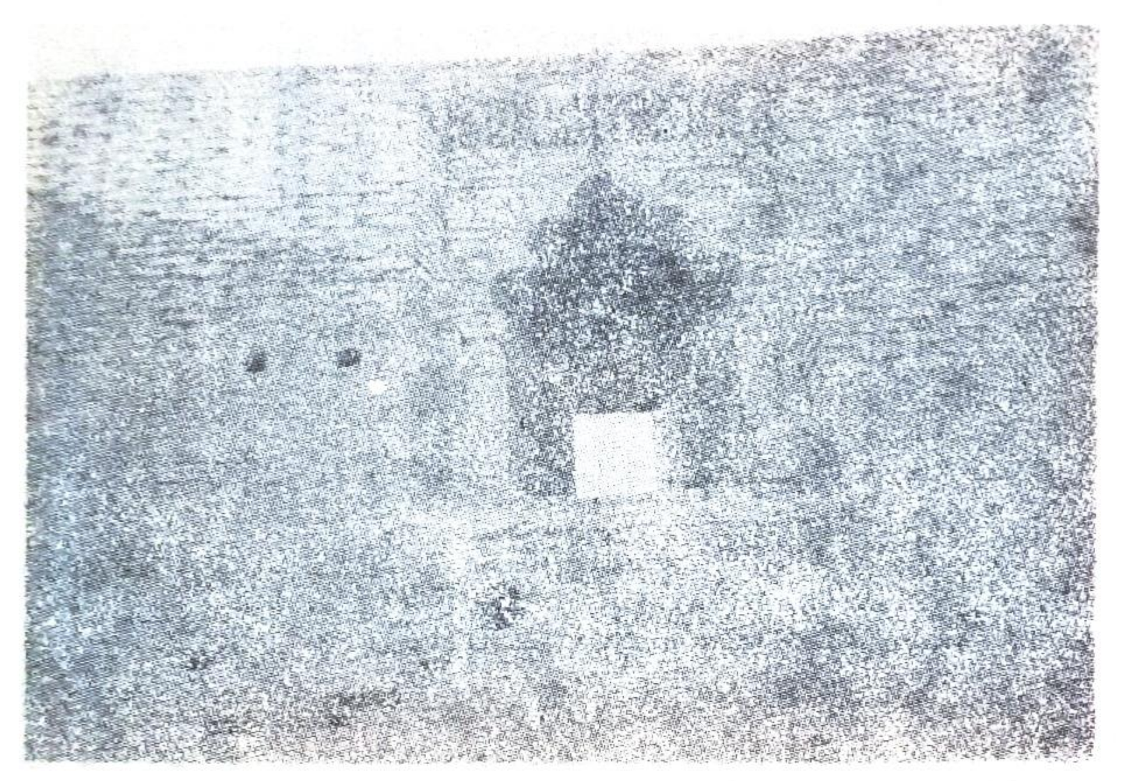
(٩٨) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 94; E.M.A. 11, p. 256.

(٩٩) Herzfeld, Archaologische Reise., 1, p. 94.

(١٠٠) وقد اشار پيليه في كتابه Prome et Samarra صفحة ١١٧ وما بعدها بان هذين الشباكين كانا من غير زخرفة عند الوجه الشرقي او الغربي من السور على مقربة من نقطة الاتصال بالوجه الجنوبي .

(١٠١) Creswell, E.M.A., 11, p. 256.

وشكل هذه الشبابيك من الخارج عبارة عن فتحات مستطيلة ضيقة ، ولكنها كانت اعرض من وجهها الداخلي [شـكل ـ ٢٩] وتحليها عقود وكل عقد من خمسة فصوص تبدأ من عمودين صغيرين ، والجميـع يحيط بهـا اطار مستطيل(١٠٢) .



شكل ــ ٢٩ احد شبابيك المسجد الجامع من الداخل (بعد الصيانة) .

وقد عثر على نوعين من الزجاج في المسجد الجامع اثناء التنقيبات التي اجراها هرزفيلد في عام ١٩١١ . والنوع الاول ، كما أشار هرزفيلد ، يحتوي على بقايا شرائح زجاجية سمكها ٣ــ٥ سنتمترات، وقد بين بانها كانت تستخدم لهذه النوافذ ، ويبدو أن الصفائح التي بين الاطر كانت من الزجاج ايضاً(١٠٣) . والنوع الآخر من الزجاج كان يمثل بقطع صغيرة ذات شـكل مثلث يتألـف من ثلاث قطع دائرية مسطحة سمكها حوالي ٣ ــ ٩ سنتمترات وقد استخدمت هذه القطع لملء الحافات(١٠٤) .

(١٠٢) Ibid., p. 256; cf. Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 95.

(١٠٣) Herzfeld, Erster, p. 6.

(١٠٤) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 95.

داخل المسجد

كما سبق وذكرت ، فأن هذا المسجد الجامع يتألف من اربعة اقسام تحيط بالصحن وهي : الحرم (بيت الصلاة) ويقع فى النهاية الجنوبية وله ٢٤ صفا من الاعمدة تؤلف ٢٥ رواقا(١٠٥) معدل عرضها ٢٠ر٤ متناظرة مع محاور الشبابيك(١٠٦) .

والرواق الاوسط الذي ينتهي بالمحراب ليس له شباك ، واعرض قليلا من الاروقة الاخرى (عرضه حوالي ٥ امتار)(١٠٧) ، وهو يشبه الرواق الاوسط في الحرم بجامع ابي دلف الذي هو ايضا اعرض من بقية اروقة الحرم(١٠٨) .

ليس هناك اتفاق في المخططات التي وضعت للمسجد الجامع فيما يتعلق بعدد اعمدته الداخلية(١٠٩) ومقارنة دقيقة لجميع المخططات التي وضعت من قبل كل من دي بيليه(١١٠) ، وهرزفيلد(١١١) وڤيولة(١١٢) وكريزويل(١١٣) توضح مايلي :

« ڤيولة » و « بل » ومديرية الآثار العراقية القديمة جعلوا عدد الاعمدة في عمق القسم الجنوبي (الحرم) ١٠و٣ للقسم الشمالي (المؤخرة)(١١٤) .

---

(١٠٥) Herzfeld, *Erster*, P. 6; Bell, *op. cit.*, P. 233; *E.M.A.*, 11, P. 256 and *S.A.E.M.A.*, P. 276; *E.* 1.12 art "Archictecture", P. 620; Rice, Islamic Art, P. 34.
ومديرية الآثار ، سامراء صفحة ٤٧

(١٠٦) E.M.A., 11, p. 256

(١٠٧) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 87 and his Erster., p. 6; cf. Bell, op. cit., p. 233; E.M.A., 11, p. 256.

(١٠٨) Creswell, E.M.A., 11, p. 279.

(١٠٩) Bell, Op. cit., p. 234.

(١١٠) انظر الشكل — ٢٤ .

(١١١) انظر الشكل — ٢٥ .

(١١٢) انظر الشكل — ٢٦ .

(١١٣) انظر الشكل — ٢٣ .

(١١٤) انظر الشكل — ٢٦ ، Bell, Op. cit., p. 235. ؛ مديرية الآثار العراقية صفحة ٤٧ .

غير ان مخطط كل من هرزفيلد وكريزويل يوضح وجود تسعة اعمدة فقط في القسم الجنوبي(١١٥) .

والقسم الشمالي (المؤخرة) ، كما اشار هرزفيلد ، كان يناظر الحرم تماما ، وينقسم الى ٢٥ رواقا عموديا على جدار القبلة بواسطة ٢٤ صفا من الاعمدة في القسم الشمالي (المؤخرة) ٤ صفوف(١١٧) . ونحن نعتقد انرأي ان الرواق الاوسط كان اعرض من الاروقة الاخرى(١١٦) .

وقد جعل كل من ڤيولة ومديرية الآثار القديمة في العراق عدد صفوف الاعمدة في القسم الشمالي (المؤخرة) ٤ صفوف(١١٧) . وفي راينا ان رأي كل من كريزويل وهرزفيلد في ان عدد دعامات القسم الشمالي ٣ مصيب .

والقسمان الباقيان هما الاروقة الجانبية ، وندعوهما المجنبتان ، المجنبة الشرقية والمجنبة الغربية ، حيث تتجه الاروقة غرباً وشرقاً ، وتتألـف كـل مجنبة من ٢٣ رواقا بواسطة ٢٢ صفا من الاعمـدة(١١٨) فيكون المجموع الكلي للدعامات هو ٤٦٤ دعامة(١١٩) .

ومن غير شك ، فأن الفسحة المحصورة بين الاعمدة كانت قد سقفت بالعوارض ، اذ ان الحفر التي ثبتت فيها العوارض المتقاطعة كانت لاتزال ترى في عام ١٩١١ في الجانب الداخلي للجدار(١٢٠) .

وارتأى هرزفيلد وغيره من علماء الاثار أن هذه الدعامات حملت سقف

---

(١١٥) انظر الشكل ٢٣ والشكل ٢٥ .

(١١٦) Erster, p. 6; cf. E.M.A., 11, p. 256.

(١١٧) انظر مخطط ڤيولة في الشكل ــ ٢٦ ، ومديرية الآثار العراقية ، سامراء صفحة ٤٧ .

(١١٨) Herzfeld, Erster., p. 6; E.M.A., 11, p. 256; S.A.E.M.A., p. 276.

ولكنها بالنسبة الى مخطط ڤيولة الموضح في الشكل ٢٦ ، هي ١٦ صفاً تؤلف ١٧ رواقا مع خمسة اروقة في العمق من الشرق الى الغرب .

(١١٩) في الحرم، ٩×٢٤ =٢١٦ ، وفي القسم الشمالي : ٣×٢٤=٧٢ ، وفي القسم الشرقي ٤×٢٢=٨٨ وفي القسم الغربي ٨٨ ايضاً فيكون المجموع ٤٦٤ دعامة . .

(١٢٠) Bell, Op. cit., p. 233.

الجامع المستوي مباشرة[١٢١] • وترسم وجهة النظر هـذه كـل من « المس بل »[١٢٢] وكريزويل[١٢٣] •

ولقد كشف نقل الانقاض من داخل الجامع اثناء التنقيبات الاخيرة التي اجرتها مديرية الآثار القديمة عن وجود اكتاف من الطابوق والملاط ، ويعتقد الخبراء في مديرية الاثار ان هذه الاكتاف تؤلف نواة في نظام العقود المسندة بالـدعامات •

ولقد رايت وفحصت احدى هذه الاكتاف مع البروفسور « جـون شبلي »[١٢٤] والدكتور عبد العزيز حميد الذي اشرف على تنقيبات مديرية الاثار الاخيرة في سامراء ، ولقد قال لي الزميل الدكتور عبد العزيز حميد انذاك ان المديرية لم تنته بعد من دراسة وفحص هذه الدعامات ، ولكن ظهر انه من المحتمل انها تسند عقدا ، فاذا صح هذا فأن السقف لم يكن يستند مباشرة على الاعمدة •

الاعمدة

كنت قد اشرت سابقا الى أن جدران اسس صفوف الاعمدة قد سلب من قبل سراق الطابوق ، ويحتمل ان ذلك حدث فى وقت مبكر ، لان فى قمة انقاض الطابوق المسروق هناك طبقات اخرى لزمن اسبق • فقد اوضحت تحريات دقيقة عدم وجود أي أثر في الانقاض للجص القديم في القاعدة[١٢٥] •

كانت قواعد الاعمدة مربعة ، وطول كل جانب ٢٫٧٠ متـر يقوم عليها تركيب من عمود ــ دعامة يتألف من دعامة مثمنة في الوسط مع عمود من المرمر في كل زاوية من الزوايا الاربع • ويشير هرزفيلد ان مراكز الاعمدة المتساقطة قد عثر عليها فى الانقاض ، وعلى ذلك كان من المحتمل قياس الزاوية المثمنة • بعض الاعمدة المرمرية كانت مدورة (اسطوانية) وبعضها مثمنة بقطر حوالي

---

(١٢١) Erster., p. 8.

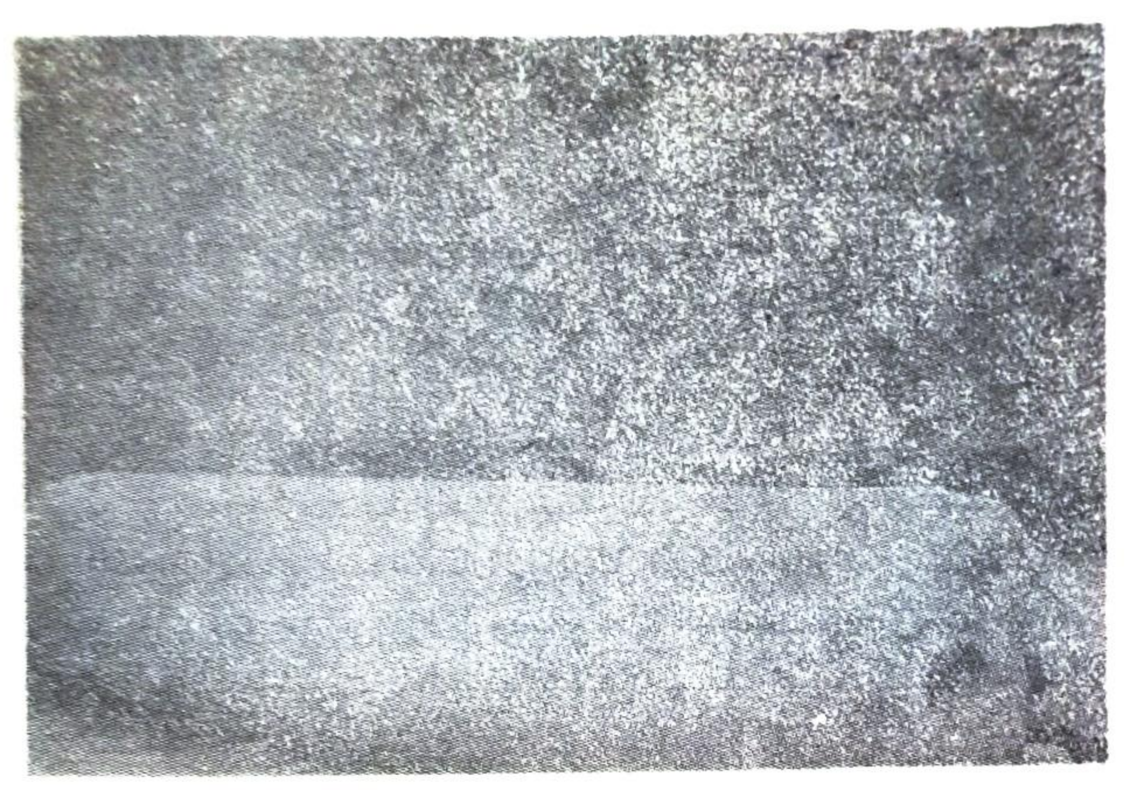
(١٢٢) Op. cit., p. 235.

(١٢٣) Creswell, E.M.A., 11, p. 256; and S.A.E.M.A., p. 276.

(١٢٤) كان استاذا للفنون والآثار الاسلامية في قسم الآثار بكلية الآداب •

(١٢٥) Herzfeld, Erster, p. 7; E.M.A., 11, p. 257.

سعد حسين



شكل ٣٠ أ الاعمدة المرمرية المدورة في المسجد الجامع



شكل – ٣٠ ب الاعمدة المرمرية المثمنة في المسجد الجامع

۳۰ سنتمتراً[١٢٦] [الشكل – ۳۰ أ ، ب] • ويبلغ طول العمود الاسطواني حوالي اكثر من مترين •

وزودت الاعمدة الاسطوانية باوتاد معدنية ، وملئت الثقوب بالرصاص ، أما مناطق الاتصال فأنها كانت محاطة بحلقات معدنية [١٢٧] • ولقد اتبع في اعمدة خشب الساج فى جامع المنصور الكبير ببغداد المدورة نفس الطريقة[١٢٨] •

وقد اوضح هرزفيلد أن احدى الدعامات تشير الى اسلوب المعمار اليوناني ، وهذا يبرهن صحة الروايات التي تفيد بأن البنائين ومواد بناء هذه الاعمدة قد استقدموا من انطاكية واللاذقية[١٢٩] • ولقد ورد هذا بصورة واضحة في رواية اليعقوبي أن المعتصم قد « كتب في اشخاص الفعلة والبنائين واهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات وفى حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وماوالاها من بغداد وسائر السواد من انطاكية وسائر سواحل الشام وفى حمل عملة الرخام وفرش الرخام ، فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام »[١٣٠] •

وكان للاعمدة المرمرية تيجان جرسية الشكل وقواعد يبلغ طولها ٥٠ سنتمتراً ، وارتفاعها من الداخل ابتداء من الارضية حتى الحفر التي عملت لعوارض السقف يبلغ ١٠٫٥٣ متر • وهذا الارتفاع يمنح تاج العمود وقاعدته ذراعين (حوالي ١٫٠٣٥ متر)• وكانت الاعمدة ملونة ، ويبدو انه قد وجدت تسعة انواع مختلفة معظمها من المرمر ، ولم يستعمل حجر الگرانيت

---

(١٢٦) Ibid., p. 7; Ibid., p. 257.

(١٢٧) Ibid., p. 7; Ibid., p. 257.

(١٢٨) وقد وصف الخطيب البغدادي في مؤلفه تاريخ بغداد ، الجزء الاول صفحة ١٠٧ اعمدة مسجد المنصور في مدينة بغداد المدورة كما يلي : « كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغرى وضبات الحديد » وانظر ايضا : Le Strange, Baghdad during the Abbasid Caliphate, p. 34. Herzfeld, Erster, pp. 7f; E.M.A., 11, pp. 31f: Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 135; طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ٢٧٠ وما بعدها .

(١٢٩) Erster, p. 8.

(١٣٠) البلدان ، صفحة ٣٢ .

الا نادرا . اما سافات (مداميك) الطابوق فقد غطيت بالجص ولونت بألــوان مماثلة لاعمدة الزوايا المرمرية[١٣١] .

واشار هرزفيلد ان اللسات الاخيرة لهذا الجامع كانت من الخشب أو الحجر . ولقد اكدت التنقيبات بصورة واضحة على انه كانت هناك اعمدة خشبية . وبعد تساقط سقوف المسجد ظلت تلك الاعمدة قائمة فى الانقاض لبعض الوقت الى ان اخذت لغرض الاستفادة منها فى البناء او انها تحطمت بفعل تأثير المناخ .

ولم تترك الاعمدة الخشبية أي اثر سوى الحفر التي كانت تستنــد عليها ، وهذه الاعمدة الخشبية تؤلف دائما مادة بنائية مهمــة في العراق ولا زالت تعتبر حتى الوقت الحاضر من الخصائص المميزة للبناء فى بغداد والحلة والبصرة والعمارة وفى جميع مدن القطر . وسبب آخر مهم يحبب استعمال الاعمدة الخشبية هو ان الارتفاع المطلوب فى الاعمدة بحدود عشرة امتار يتوفر بصورة طبيعية فيها . ولهذه الاعمدة كانت جذوع النخــل تستعمل فى العراق .

وبالاضافة الى ذلك . فهناك الساج الذي يعد اكثر انــواع الخشــب غرابة ونفاسة الذي كان يستورد من زنجبار والهند منذ عهد قديم . وقــد اكد اليعقوبي هذه الحقيقة في روايته التي اشرت اليها قبل قليل[١٣٢] . وهذا يعني ان اشجار الساج كانت تستعمل مثلما كانت تستعمل في عصر البابليين والاشوريين . ولذلك فان اعمدة جامع المنصور الكبير في بغداد كانت مــن الســاج[١٣٣] .

---

(١٣١) Herzfeld, Erster, p. 8; E.M.A., 11, p. 257f.

(١٣٢) البلدان ، صفحة ٣٢ .

(١٣٣) وقد وصف الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، الجزء الاول صفحة ١٠٧ استعمال الخشب في جامع المنصور الكبير في المدينة المدورة فقال : « واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب وضبات الحديد الا خمساً او ستاً عند المنارة فأن في كل اسـطوانة قطعا ملفقة من خشب الاساطين » وانظر ايضا :

Le Strange, Baghdad during the Abbasid Caliphate, p. 34. Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 135. and his Erster, pp. 7f; E.M.A., 11, pp. 31f.

وطاهر العميد ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧١

اظهرت تنقيبات هرزفيلد في جميع الخرائب قطعا صغيرة من الكرستال (الزجاج) الرخامي الجيد ذي لون ابيض مائل الى الزرقة بسمك ٥٠ر٢ سنتمتراً بوجه املس وقاعدة خشنة مستوية . وبالاضافة الى هذه القطع فأن هرزفيلد قد عثر في نفس الجامع على قطع من ذات الرخام يبلغ اصغر بعد لها اكثر من ٥٠ر٢ سنتمتراً وهذا يبين ان هذه القطع ليست من قرميد الارضية[١٣٤] . ويرى هرزفيلد انها يمكن ان تكون قطعاً من الاعمدة[١٣٥] .

ومن الخطأ الاعتقاد ان الحجر والرخام لم يكن متيسراً في بغداد وسامراء ، وفي عصر الخلفاء لأن تشييد المخازن والاسواق التي كانت تستعمل فيها المواد الاولية المحلية المتيسرة قد توقف . واشارت المصادر الى جسر بني زريق في بغداد القديمة الذي شيد كله من الرخام ، والى خان الخليل الذي كان له اعمدة رخامية ، والى قصر الخليفة المعتضد الذي كان سقفه يستند على عشرة اعمدة رخامية ، والى المحراب الرخامي الرائع لجامع الخاصكي في بغداد واخيراً فأن المصادر تشير الى الاعمدة المشيدة من الحجر الاسود « البازلت » لقنطرة الرصاص في سامراء[١٣٦] .

واعتماداً على رواية اليعقوبي ، التي ذكرناها سابقاً ، ظهر ان المواد الاولية والعمال قد جلبوا من شمال سوريا . ويبدو ان الاعمدة قد قطعت في أماكن العمل هناك ، أما اللمسات الأخيرة فانها قد وضعت بعد اقامتها .

وبالنسبة الى زخرفة الجامع الداخلية فقد اوضح « المقدسي » أن الجدران قد كسيت بالمينا[١٣٧] . اما هرزفيلد فقد اشار أنه من الصعب الاعتقاد انجميع الجدران الداخلية (التي تبلغ مساحتها ٨٥٠٠ متر مربع) قد زخرفت هكذا[١٣٨] . وعلى كل حال فأننا نميل الى الاخذ برواية المقدسي لسببين ، اولهما لان المقدسي ذكر فقط الجدران الاربعة ، ومجموع مساحتها كما يأتي : ٣١٢ م + ٤٨٠ م = ٧٩٢متراً [أي ١٥٦ م + ١٥٦ م = ٣١٢

---

(١٣٤) Archäologische Reise, 1, p. 92.

(١٣٥) Ibid., p. 92.

(١٣٦) Ibid., p. 92.

(١٣٧) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ١٢٢ .

(١٣٨) Archäologische Reise, 1, p. 95.

متراً للجدارين الشمالي والجنوبي] و ٢٤٠ م + ٢٤٠ م = ٤٨٠ متراً (للجدارين الغربي والشرقي) وهذه الارقام تمثل مجموع طول جدران الجامع على ارتفاع متر ومن ضمنه الفتحات التي تؤلف الابواب .
وثانيهما أن التنقيبات واعمال الصيانة التي قامت بها مديرية الاثار العراقية في الموسم ١٩٦٣ – ١٩٦٤ تحت اشراف الزميل الدكتور عبد العزيز حميد قد كشفت قطعة من زجاج ازرق لازالت في موضعها في القسم الاسفل من النهاية الجنوبية للجدار الغربي وكانت مخفية في السابق تحت الانقاض . ولقد رأيت قطعة الزجاج الزرقاء هذه ، وشاهدت طبقات من الجص الصلب على امتداد الاجزاء السفلى من الجدران الداخلية ، واستطعت فحص هذه الطبقات جيداً ، ويبلغ ارتفاعها متراً واحداًتقريباً وتبرز قليلاً وهكذا فانها تشكل إفريزاً [شكل – ٣١] . وكان وجه هذه الطبقات يسمح لالواح او شرائح من الزجاج ان تلتصق به . ونستنتج من ذلك ، ان الاقسام السفلى للجدران الداخلية كانت مغطاة بزجاج أزرق الى ارتفاع متر واحد ، ومن المحتمل ان يكون جدار الحرم مكسواً بشريط من المينا التي قصدها المقدسي في روايته التي اشرنا اليها سابقا .



شكل – ٣١ طبقة الجص في الجدار الجنوبي للجامع الكبير

ويشير هرزفيلد ـ بما له علاقة برواية المقدسي ـ أنه من المحتمل ان يكون المقدسي قد قصد وجود الموزاييك الزجاجي، مدللاً على ذلك بأن جامع سامراء الكبير يحاول ان ينافس جامع دمشـق الـذي كان مشـهورا بزخارف الموزاييك(١٣٩) .

وعثر هرزفيلد ايضا على بعض القطع الصغيرة من الرخام على هيئة مثلث مكوّن من ثلاث قطع دائرية مستوية وبسمك حوالي ٣ ـ ٩ ملمترات . ويدل شكلها على أن هذه القطع قد استعملت لتملأالحافات ، وتمثل نموذجـا من الدوائر المتداخلة التي تشبه الوريدات البسيطة . واعتقد هرزفيلد اول الامر ان هذه القطع كانت مطمورة بجص الجدران(١٤٠) ، الا انه ايقن اخيراً بانها كانت قطع الشـبابيك وتأيد هـذا اليقـين بسبب لونها الاخضـر العادي(١٤١) .

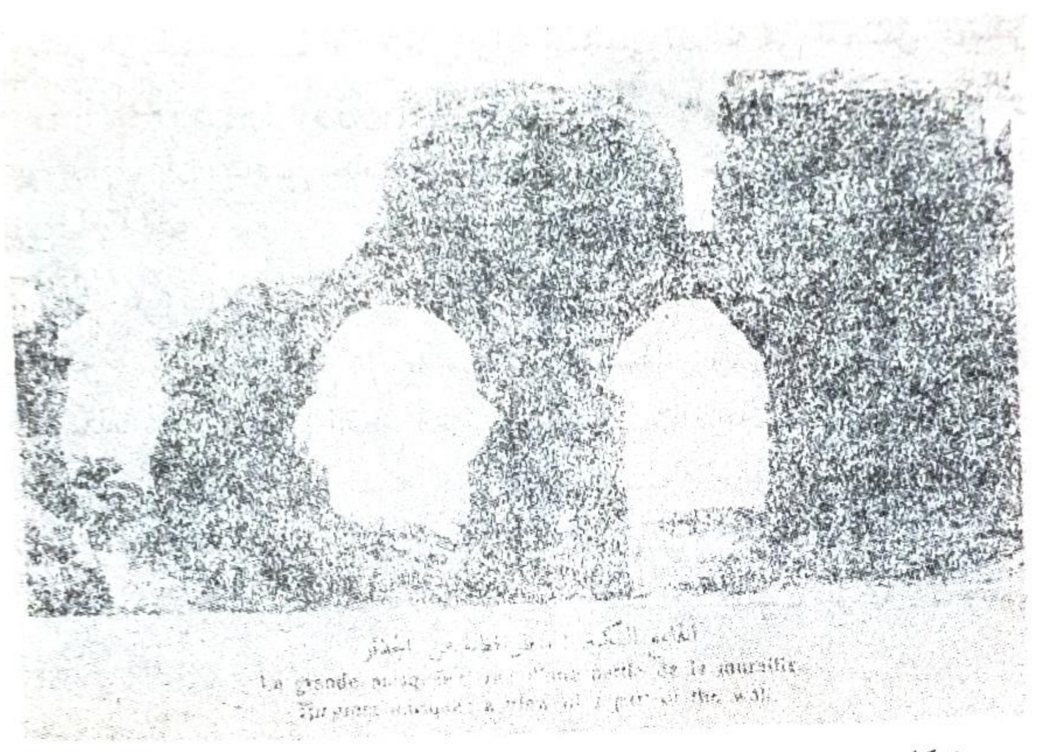
المحراب

في الجدار الجنوبي ، تماما في الوسط ، هناك فتحة ثلاثية [الشكل ـ ٣٢] والفتحة التي في الوسط اكبر من الفتحتين الجانبيتين ، ولقد اعتقد الباحثون انه ليس هناك محراب في الجدار الجنوبي(١٤٢) . الا أن تنقيبات هرزفيلد اوضحت أن الذي كان يظن في السابق بأنه باب في وسط الجدار الجنوبي ماهو الا محراب(١٤٣) [شكل ـ ٣٣] .

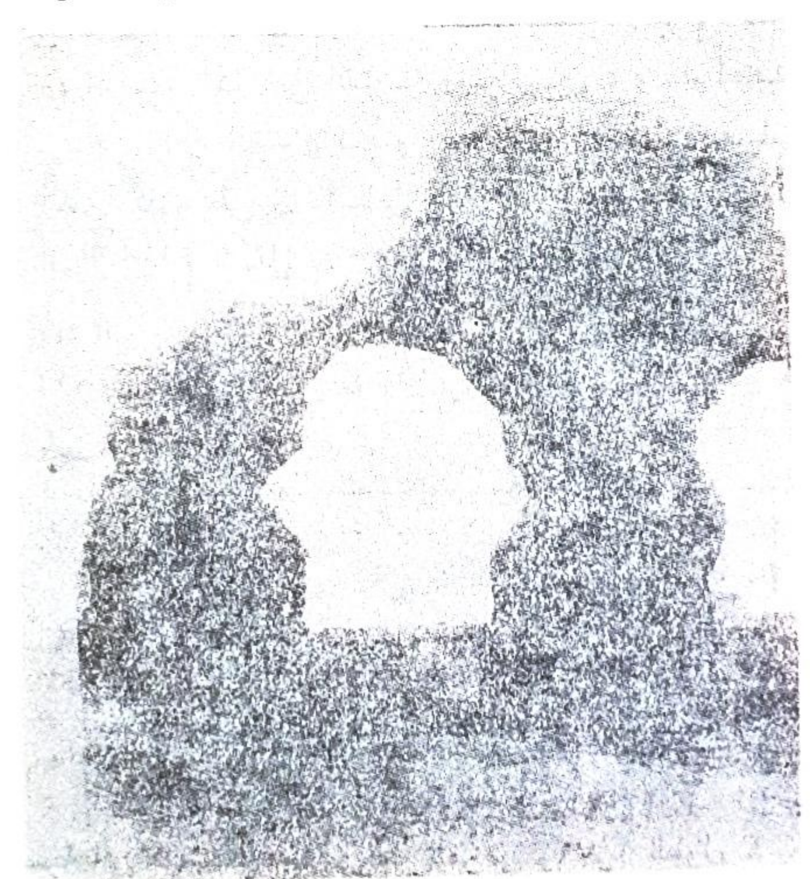
يتألف المحراب من حنيـة داخلية مستطيلة عرضها ٢ر٥٩ متر وعمقهـا ١ر٧٥ متر(١٤٤) ، محاطة بزوجين من الاعمدة الرخامية قائمة في الحائط على شـكل مستطيـل(١٤٥) .

---

(١٣٩) Ibid., 1, p. 95.
(١٤٠) Ibid., 1, p. 95.
(١٤١) Ibid., 1, p. 95.
(١٤٢) Bell, Op. cit., p. 233; Richmond, Moslem Architecture, pp. 49f.
(١٤٣) Herzfeld, Erster, pp. 11f, and his Archäologische Reise, 1, p. 93; E.M.A., 11, p. 258.
(١٤٤) بالنسبة الى قياساتي ٢ر٦٠ متر للعرض و١ر٧٩ للطول .
(١٤٥) Herzfeld, Erster, p. 10;E.M.A., 11, p. 158.



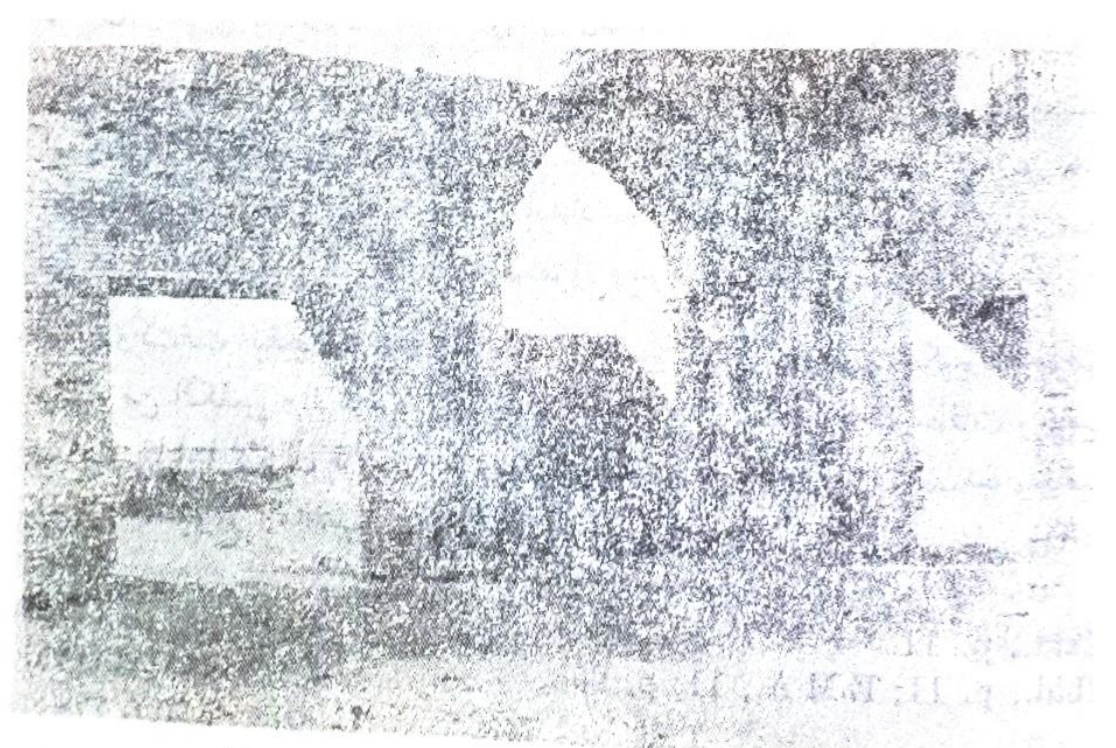
شكل – ٣٢ الفتحة الثلاثية والمحراب في الوسط في الجامع الكبير



شكل – ٣٣ محراب الجامع الكبير قبل الصيانة

واشار هرزفيلد الى أن الفسحة المثلثة للعقد كانت فيها زخارف من الموزاييك الذهب وبعض قطع من حافات جصية مزخرفة ومن غير شك انها من المحراب • وحتى وقت اكتشافها لم يكن من الممكن تحديد مكانها[١٤٦] • والمحراب اعرض من الاتساع المحوري للرواق الاوسط وارتفاعه تقريباً كالارتفاع الكلي للجامع[١٤٧] •

وفي زمن تنقيبات هرزفيلد كان هناك موضع لنافذة ضيقة فوق المحراب ، وابواب واسعة مغطاة بطبقات من الخشب تحيط بالمحراب من الجانبين [شكل ــ ٣٤] • وتؤدي هذه الابواب الى الغرف الخارجية الجنوبية للجامع وليس لها ممر رئيسي مباشر من الخارج • وجميع جدار المحراب كان قد غُطي بالخشب ، ومع ذلك فأنه من الصعب رؤية الآثار الكبيرة للعوارض الخشبية الافقية على سطح ذلك الجدار • وكذلك الابواب بجانب المحراب فأن كل باب وبوابة للجامع مغطاة بألواح خشبية



شكل ــ ٣٤ محراب الجامع الكبير وعلى جانبيه بابان

(١٤٦) Herzfeld, Erster, p. 10.

(١٤٧) Ibid., p. 10.

تتناسب مع الخطوط العمودية والافقية للاعمدة والسقف . وقد عثر على عدد من القطع المنقوشة من الخشب النفيس في مساحات الابواب[١٤٨] .

النافورة

في وسط صحن الجامع هناك بقايا نافورة كبيرة، كانت تحتوي على حوض حجري من قطعة واحدة محيط دائرته (٢٣) ذراعاً وارتفاعه (٧) أذرع وسمكه نصف ذراع[١٤٩] .

ويذكر اليعقوبي هذه النافورة في روايته عن هذا الجامع فيقول : « واتقنه واحكم بناءه وجعل فيه فوارة ماء لاينقطع ماؤها »[١٥٠] .

وتناول حمد الله المستوفي وصف الحوض بقوله انه [يقصد المعتصم والمفروض ان يكون المتوكل] « بنى مسجد الجمعة في سر من رأى ووضع في وسط صحنه حوضا مكونا من قالب صخري واحد »[١٥١] وكان هذا الحوض يسمى كما اشار هرزفيلد « كأس فرعون »[١٥٢] .

وقد نقل هذا الحوض الآن الى متحف دار الآثار العربية ، ومن المحتمل ان يكون قد اخذ الى بغداد في عام ٦٥٣ للهجرة ، كما يتبين ذلك من نص لمخطوطة حيث تذكر بأنه « وصل بغداد حجر مجوف على شكل البرك سعة قطرها سبعة اذرع وكان في جامع سامراء ويعرف بقصعة فرعون »[١٥٣] .

وكشفت تنقيبات هرزفيلد أن ألأساس الاسطواني الكبير للحوض مشيد من الكلس والرماد . وقد اقيم الحوض على قاعدة ذات حافات رخامية وكانت بقاياها لاتزال قائمة . وعثر بجانبها على قطع من اعمدة رخامية وجص مصبوغ ومذهب ، وهناك بناء على شكل دائري يرتفع على اعمدة

---

(١٤٨) Ibid., p. 11.

(١٤٩) Ibid., p. 11; E.M.A., 11, p. 258.

(١٥٠) البلدان صفحة ٤٠ .

(١٥١) نزهة القلوب ، صفحة ٤٨ النسخة الانكليزية .

(١٥٢) Erster, p. 11, cf. Archäologische Reise, 1, p. 95.

(١٥٣) المسجد المسبوك ، منسوب الى الخزرجي ، مخطوط مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي برقم ٤٣١ ورقة ١٨٦ – ١٨٧ .

ومغطى بسقف او قبة خشبية ترتفع على كأس فرعون[١٥٤] . وكما يشير هرزفيلد فأنها كانت تجهز بالماء من الشرق[١٥٥] .

الزيادات

كتب كريزويل : أنه من الواضح ان جداراً قد اقتطع من الطرف الجنوبي للقسم الجنوبي في كل من الجانبين الشرقي والغربي ، وان بروز العقد الضحل الذي لايزال موجودا يمكن ان يدل على أن هذا الجدار كان مزخرفاً ببواكي خالية من النوافذ مثل قاعة العرش في الاخيضر . وعند هذه النقطة يظهر ان هنالك وجهاً مماثلاً يمتد الى brick work بمقدار ٥٠ سنتمتراً من الوجه الخارجي لذلك العقد عند نقطة حيث ترى حفرة صغيرة .

توضح صورة فوتوغرافية جوية أن تلك الاثار التي يصعب رؤيتها عند المسير على الموقع تشكل جزءً من سور كبير يحيط بالجامع من الشرق والشمال والغرب . وهذا المستطيل الكبير يقع في سور اكبر حيث يحيط به من جميع الجهات الاربع تاركا ثلاث فتحات كبيرة من جهات الشرق والجنوب والغرب وفتحة اقل ضيقا من الشمال . وجدران هذه الاسوار الكبيرة (الزيادات) قد بنيت من الآجر والقسم الاكبر منها الآن قد أخذ[١٥٦] .

ولقد اوضحت تنقيبات هرزفيلد في ١٩١٢ ــ ١٩١٣ أن ابعاد السور الخارجي يبلغ ٣٧٦ × ٤٤٤ متراً[١٥٧] . ومجموع مساحة الجامع والزيادات تبلغ ١٧ هكتاراً تقريباً او اكثر من ٤١ أكراً[١٥٨] .

وقياساً مع جامع ابن طولون في القاهرة ، فأن المرء قد يعتقد بأن هنالك أبنية تحتوي على محلات غسيل ووضوء واخرى للمراحيض مع سور

---

(١٥٤) Herzfeld, Erster, p. 11; E.M.A., 11, p. 258.

(١٥٥) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 95,

(١٥٦) E.M.A., 11, p. 259; S.A.E.M.A., p. 277f; E. 1, 2. 1, art. "Architecture", p. 620.

(١٥٧) Herzfeld, Mitterlung, p. 204; E.M.A., 11, p. 259; S.A.E.M.A., p. 278.

(١٥٨) E.M.A., 11, p. 259; S.A.E.M.A., p. 278.

الزيادات . ولكن لسوء الحظ لم ينقب ســـــارة وهرزفيلد هنــــاك في ذلك الوقت[١٥٩] .

ولقد كشفت التنقيبات الاخيرة التي قامت بها مديرية الآثار العراقية عن اسس لبناء في مساحة قريبة من الجدار الشرقي . وحتى الآن لم تقدم مديرية الآثار او المنقبون الذين عملوا هناك اية معلومات عن وظيفة هذا البناء.

ولقد رأينا فيما سبق أن هناك ثلاثة صفوف واسعة عرض كل واحد منها مائة بالذراع الاسود (ما يعادل ٨٫١٠ متر) تتفرع من الشارع الرئيســـي قادمة من وادي ابراهيم بن رياح . وهذه الصفوف الثلاثة محاطة بأكشاك السوق وتتصل بتقاطع الشارع[١٦٠] . ويعترض «شفارتز» ذاهباً الى أن هذا البيت واجهة مساوية تقريبا لاحد جوانب المسجد . اذ ان هذه الطرق كانت الفسحات الثلاث الكبيرة التي تركت بين الجامع وجدران الســـور الخـارجي[١٦١] . والصعوبة في تخيله ، اذ أنه لم يُدخل في اعتباره الســـور الخــارجي الذي تنتهي به الصفوف . حيث ان هذه الابعاد ٣٧٦ × ٤٤٤ مترا تشكل موضعاً واسعاً الى درجة تكفي لأن تنتهي به الصفوف[١٦٢] .

الملوية

من اغرب المنائر التي بنيت في العراق ، ولهـذا فإنه من العجيب ان يهمل المؤرخون تماما الاشارة الى شكلها غير الاعتيادي . وعرفت مؤخـراً بـ «الملوية» (اللولب) او « منارة الملوية » . ويبدو ان اول وصـف موجز للملوية قدمه « روس » بعد مشـاهدته لها عام ١٨٣٤ فقال : « مخروط صلب مدور على قاعدة مربعة والمظهر بكامله يكون على ارتفاع ١٣٠ قدماً . مبنياً من الطابوق يرتفع بواسطة ممر ملتوٍ (وليس درجات) من خمـس دورات تترك اليد اليسرى الى الحائط . وفي القمة برج صغير بداخله بضع درجات من سلم . وقيل ان هذا مكان المؤذن يدعو للصلاة في يوم الجمعة في زمن الخلفاء »[١٦٣] .

---

(١٥٩) Ibid., p. 259; Ibid., p. 278.

(١٦٠) Ibid., p. 259.

(١٦١) Die 'Abbāsiden-Residenz Samarra, p. 31.

(١٦٢) E.M.A., II, p. 259.

(١٦٣) J.R.G.S., XI, p. 128.

ويعتقد بعض المؤرخين ان سبب بناء الملوية على مثل هذا الارتفاع الكبير لكي يسمع صوت المؤذنين بسهولة ، وحتى يمكن للمنارة ان ترى من مسافات بعيدة(١٦٤) . ومن المعلوم ان الأذان يصل الى المناطق المحيطة بالجامع حيث يحضر المسلمون لاداء فريضة الصلاة . ولقد تأكد الشطر الثاني من تلك الرواية من قبل هرزفيلد الذي شاهد المنارة عن بعد من عظيم وبلد وحمرين في طريقه من كركوك الى الدور(١٦٥) .

وكما اشرت سابقاً ، فأن المنارة الملوية لم توصف من قبل المؤرخين العرب القدامى بصورة جيدة(١٦٦) . وهذا ينطبق ايضاً على منارة جامع المنصور الكبير في بغداد(١٦٧) .

تقف الملوية خارج الجدران ومعزولة تماماً في الزيادة على بعد ٢٧٫٢٠ متر(١٦٨) من الجدار الشمالي للجامع وعلى محوره الاوسط تماماً [شكل ــ ٢٢] .

---

(١٦٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٤٦١ ، غير ان المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم صفحة ١٢٢ يقول فقط بان للمسجد منارة طويلة ، اما ياقوت في معجم البلدان ، الجزء الثالث صفحة ١٧ فأنه يقتبس مايقول البلاذري في فتوح البلدان .

(١٦٥) Herzfeld, Erster, p. 13.

(١٦٦) الثعالبي في لطائف المعارف صفحة ١٦١ والمستوفي في نزهة القلوب صفحة ٤٩ يذكران ارتفاع المنارة فقط .

(١٦٧) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١ صفحة ١٠٧ ، يذكر اسمها فقط عندما يشير الى الاعمدة الخشبية في الجامع الكبير . وانظر ايضا طاهر العميد ، نفس المصدر صفحة ٢٦٧ .

Le Strange Op. cit., p. 34.

(١٦٨) ليس هناك اتفاق بين الباحثين فيما يتعلق بالمسافة المحصورة بين الجانب الجنوبي لقاعدة المنارة وجدار الجامع الشمالي .

Herzfeld, Samarra, p. 23;

يذكر ان المسافة ٢٨ متراً . وكريزويل في E.M.A., II, p. 259 وكتابه المختصر S.A.E.M.A., p. 278 ، يعطي المسافة ٢٧٫٢٥ متر . اما مديرية الآثار العراقية القديمة فتعطي الرقم ٢٥ متراً . اما الدكتور احمد سوسة في كتابه ري سامراء الجزء الاول صفحة ١١٢

وهذا اسلوب في جعل المنارة معزولة عن الجامع يبدو قد اتبع لاول مرة في العراق في العصر الاسلامي . وعلى كل حال ، فانه ليس من السهل تأكيد هذا الافتراض إذ لم تتوفر لدينا في الوقت الحاضر معلومات كافية واكيدة عن موقع المنارة في مساجد الاسلام الاولى في البصرة والكوفة وواسط وبغداد . ومهما يكن من شيء فلدينا رواية قدمها الينا الخطيب البغدادي حول الاعمدة في جامع المنصور الكبير ببغداد فيقول : « واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغرى وضبات الحديد الا خمساً او ستاً عند المنارة فأن في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين »(١٦٩) . وفي هذه الحالة يمكن ان نستنتج بسهولة أن منارة جامع المنصور الكبير كانت تقع داخل الجامع لان هذه الاعمدة الخشبية كانت قد اقيمت داخل الجامع وتحيط بالصحن(١٧٠) . ومع ذلك ، لايمكن للمرء في الوقت الحاضر ان يصل الى رأي محدد بخصوص ماإذا كانت منارة جامع المنصور تلامس بناء الجامع ام كانت منفصلة عنه(١٧١) .

←

فيقدم نفس المسافة التي اعطتها مديرية الآثار ؛ اما الدكتور غازي رجب في مقاله المقتبس من رسالته للدكتوراة تحت عنوان

The Elaboration of The "Abbasid on the Minaret" B.C.A.B.U. p. 157,

فيعطي المسافة ٣٠ر٢٧متر .

(١٦٩) تاريخ بغداد ، الجزء الاول صفحة ١٠٧ وما بعدها .

(١٧٠) Le Strange, Op. cit., p. 34; Herzfeld, Archäologische Reise, 1, pp. 136-8; E.M.A., 11, p. 31;

وطاهر العميد ، نفس المصدر صفحات ٢٧٠ ــ ٢٧٨

(١٧١) ويذكر الدكتور غازي رجب في رسالته المخطوطة .

The Minaret and its relationship to the Mosque in early Islam, p. 180.

ان فحص كثير من مخططات المساجد المنسوبة الى مختلف العصور قد اوضح انه ليس هناك قاعدة عامة فيما يتعلق بموضوع وعدد المنائر في اي من المساجد .

ولقد تهدمت الملوية تهـدما عظيما ، وعلى وجه الخصوص قاعدتها والدورة الاولى حيث اختفت ملامحها الاصلية تحت البقايا والآجر(١٧٢) [شكل ـ ٣٥] • ولكن مديرية الآثار القديمة العامة صانت هـذه الاقسام في ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ كما نقلت الانقاض المحيطة بها • واعيد بصورة كاملـة بنـاء الهيكل الاصـلي للقاعدة ، وكذلك الدرجات الدائريـة والمنحدر اللولبي(١٧٣) • [شكل ـ ٣٦] • ولكن لسوء الحظ ، كما اشار كريزويـل ان اكواما كبيرة من الآجر الذي يؤلف قسماً من المنحدر قد اختفت(١٧٤) •

تؤلف القاعدة مربعين [شكل ـ ٣٨] واحداً فوق الآخر والارتفـاع الكلي للأثنين ٤ر٦٠ متر(١٧٥) • وطول القسم السفلي ٥٠ر٣١ متر وهنـاك افريز بارز يمتد حول الجوانب الاربعة بروز كل واحـد منـه ١٥ سنتمترا ، فالمجموع الكلي يكون ١٥ سم + ٥٠ر٣١م + ١٥ سم = ٨٠ر٣١ متر(١٧٦) • والقاعدة العليا تقف مباشرة فوق السابقة وأبعادها ٦٠ر٣٠×٤٠ر٣٠ متر • كل جانب من القاعدة مزخرف بعدد من الحنايا المستطيلة المجوفة [شكل ـ ٣٩] اذ ان هناك ست حنايا على الجانب الجنوبي وتسع حنايا على كل جانب من الجوانب الاخرى الباقية •

---

(١٧٢) وجد « جونس » الذي شاهد المنارة في عام ١٨٤٦ اكواماً من الطابوق والزجاج والخزف وقطعا منثورة في كل اتجاه . انظر مقاله في
J.R.G.S., XVIII, p. 8.

(١٧٣) مديرية الآثار العراقية، سامراء ، صفحة ٤٥ .

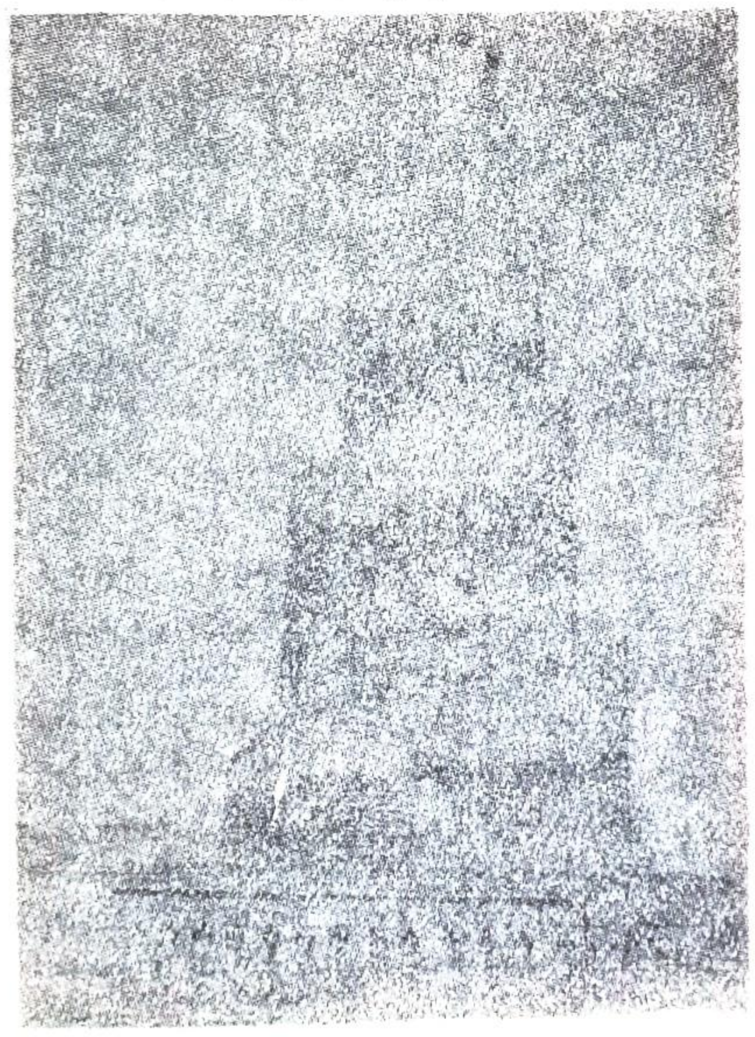
(١٧٤) Creswell, E.M.A., 11, p. 261

(١٧٥) اشار كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 261. ,.1 ,.12 .1 .E مادة « العمارة » صفحة ٦٢٠. أن ارتفاع القاعدة ٣ امتار .

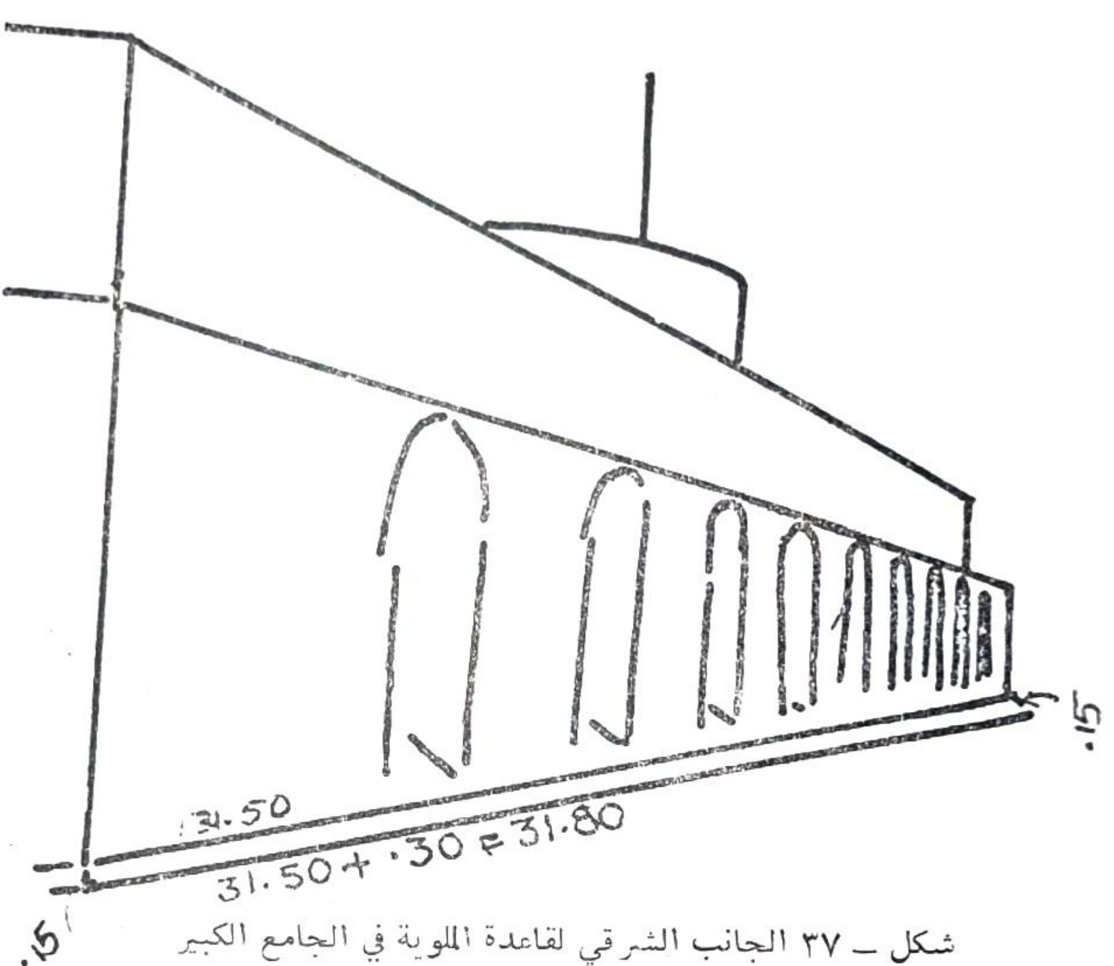
(١٧٦) الارقام المذكورة اعلاه نسبة الى قياساتي الخاصة وهي تطابق تماماً تلك القياسات التي قدمها الدكتور غازي رجب B.C.A.B.U., p. 157 ولكن هرزفيلد في كتابه Erster, p. 12 يشير الى الطول ٣٢ر٣٢ مترا . اما كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 260 وفي مقالـــه E. I. 12, art. "Architecture" p. 620 فـانه يشـير الـى الـرقـم ٣٣ مترا . امـا مـديريـة الآثـار العراقية القديمة في نشرتها سامراء صفحة ٤٤ فتشير الى الطول بانه ٣٢ متراً .



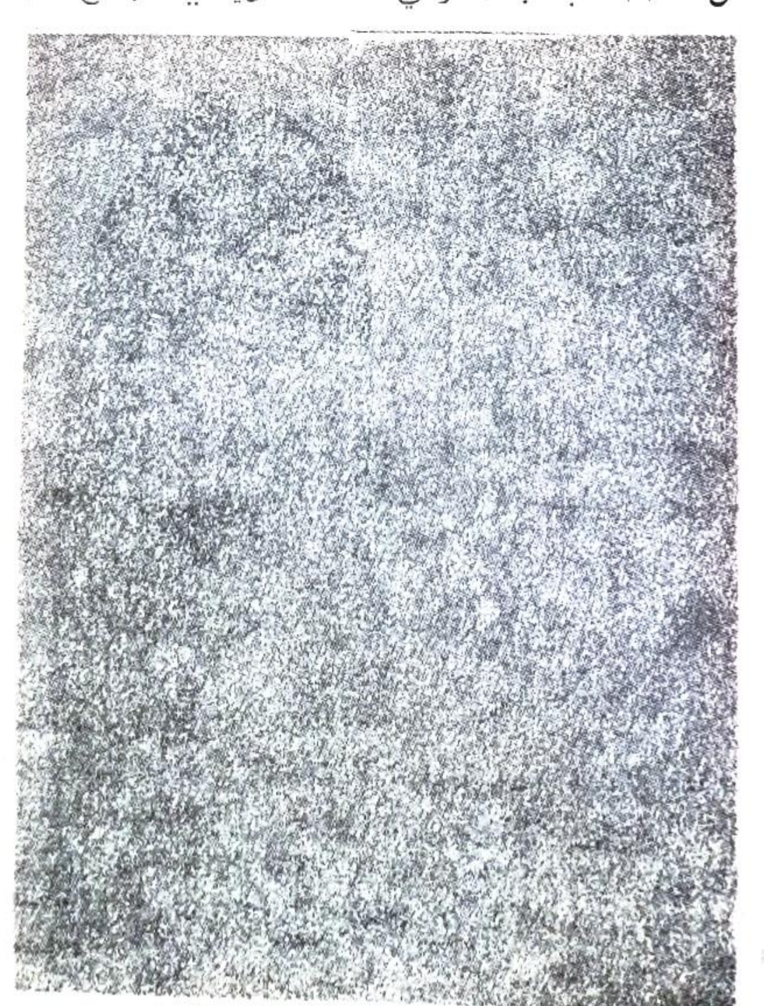
شكل ـ ٣٥ قاعدة الملوية في الجامع الكبير قبل الصيانة



شكل ـ ٣٦ قاعدة الملوية ومنارتها بعد الصيانة



شكل ـ ٣٧ الجانب الشرقي لقاعدة الملوية في الجامع الكبير



شكل ـ ٣٨ احدى مشكيات قاعـدة الملويـة

وهـذه القاعـدة ، كما ذكـرهرزفيلد ، تتصل بالجدار الشمالـي للجامع بأســاس طولـه (٢٥) متراًوعرضه (١٣) متراً[١٧٧] وينتهـي هذا الاساس بجسر صغير امتداده اقل من المتر ، يؤدي الى القاعدة السفلى ثم الى بداية المنحدر اللولبي على القاعدة العليا[١٧٨] . وترتفـع المنـارة فوق القاعدة بحوالـي ٥٠ متراً[١٧٩]مشكلة برجاً لولبيا ضخماً ويقود اليه المنحدر اللولبي من القاعدة ، مبتدئاً من وسـط الجانب الجنوبي حيث بداية هذا المنحدر الذي يبلغ قياسه ١ر٩٥ متر[١٨٠] . وقياسه عند اللولب الثاني يبلغ ١ر٣٠ متر . ويبدو بدن المنارة اللولبي باتجاه معاكس لاتجـاه عقـرب الساعة[١٨١] . وارتفاع كل دورة يبلغ ١٠ر٦ متر ، ولكن لما كان طول كـل

---

(١٧٧) Erster, p. 12, ولكن كريزويل الذي اقتبس المقطع من هرزفيلد جعل العرض اكثر من ١٢ متراً في كتابه E.M.A., 11, p. 260 بينما غازي رجب في B.C.AB.U., p. 157. يشير الى الطول بـ ٢٦ متراً والى العرض بـ ١٢ر٨٠ متر .

(١٧٨) Herzfeld, Erster, p. 12; cf. E.M.A., 11, p. 260; Mohammad, Op. cit., p. 157.

(١٧٩) اعطى هرزفيلد الارتفاع الكلي للمنارة في كتابه
Archaologische Reise, 1, p. 96
٥٣ر٦٧٥ متر ، واعطى ارتفاع المنارة فوق القاعدة في كتابه
Erster, p. 13. ٥٠ متراً . ويبدو ان معظم الابحاث التالية اخذت قياس هرزفيلد . انظر :
E.M.A., 11, p. 261; S.A.E.M.A., p. 278; Mohammad, Op. cit., p. 157.
واحمد سوسة ، ري سامراء ، الجزء الاول صفحة ١١٢ . الا ان مديرية الآثـار العراقيـة العامـة فـي نشـرتها ، سـامراء صـفحة ٤٤ تذكر ان ارتفاع المنارة مع القاعدة يبلغ (٥٢) متراً .

(١٨٠) ذكر كريزويل في
E.M.A., 11, p. 260; E. I. 12, 1, art. "Architecture" p. 620 and S.A.E.M.A., p. 278.
ان قياسه ٢ر٣٠ متر
اما غازي رجب في نفس المصدر ، صفحة ١٥٨ فيذكر قياسه ١ر٩٢ متر عند بداية الدرجة الاولى وحوالي ١ر٥ متر في الدرجة الاخيرة .

(١٨١) E.M.A., 11, p. 261; S.A.E.M.A., p. 278; E.I. 12, 1, art. "Architecture", p. 620. Mohammad, Op.cit., p. 158.

دورة تالية هو اقل من سابقتها فالمنحدر يصبح اكثر انحدارا بالتأكيد(١٨٢) .

يلاحظ وجود عدد من الحفر على حافة المنحدر مما جعل هرزفيلد يعتقد انه كان للمنحدر في الاصل درابزين « محجر » خشبي يستند على قوائم خشبية(١٨٣) . وبعد الدورة الخامسة تأتي قمة اسطوانية يبلغ ارتفاعها (٦) أمتار(١٨٤)، وهي مزخرفة من الخارج بثماني فجوات متشابهة كل واحدة منها تقع داخل إطار يتوجه عقد مدبب يقوم على زوج من الاعمدة الآجرية الصغيرة [شكل ــ ٣٩] . والفجوة الجنوبية تؤلف بابا حيث ينتهي بها المنحدر وتنفتح على سلم مدرج يستقيم فى بدايته ثم يلتف مؤديا الى المنصة العليا(١٨٥) .

ورأى هرزفيلد ثمانية ثقوب على هذه المنصة، وعلى ضوء وجود هذه الثقوب اعتقد هرزفيلد وجود مظلة خشبية تقوم على ثمانية اعمدة خشبية(١٨٦) . وتؤيد وجود مثل هذه المظلة فوق قمة الملوية ، اذ ان المؤذنين اعتادوا دعوة المؤمنين خمس مرات فى اليوم للصلاة ، ومهما كانت قسوة المناخ فى قمة المنارة فأن مثل هذه المظلة ضرورية لوقايتهم من الشمس والمطر . واضافة الى هذا فقد اشار الثعالبي الى أن المتوكل اعتاد تسلق منارة سامراء على ظهر حمار (١٨٧) لكي يستمتع بمنظر المدينة الجميلة من القمة .

لم يذكر اي شيء عن زخرفة المنارة لا من قبل المؤرخين ولا علماء الآثار المحدثين . ومن الواضح ان جسم الملوية لم يكس بأي نوع من انواع الزخرفة ، ويبدو ان المهندس المعماري اكتفى بوضع الآجر بصفوف افقية ، والزخرفة الوحيدة كانت فى سلسلة الحنايا المستطيلة على الجوانب الاربعة للقاعدة .

---

(١٨٢) Creswell, E.I. 12, 1, art. "Architecture", p. 620 E.M.A. 11, p. 261.

(١٨٣) Herzfeld, Erster, p. 12.

(١٨٤) Herzfeld, Samarra, p. 24.

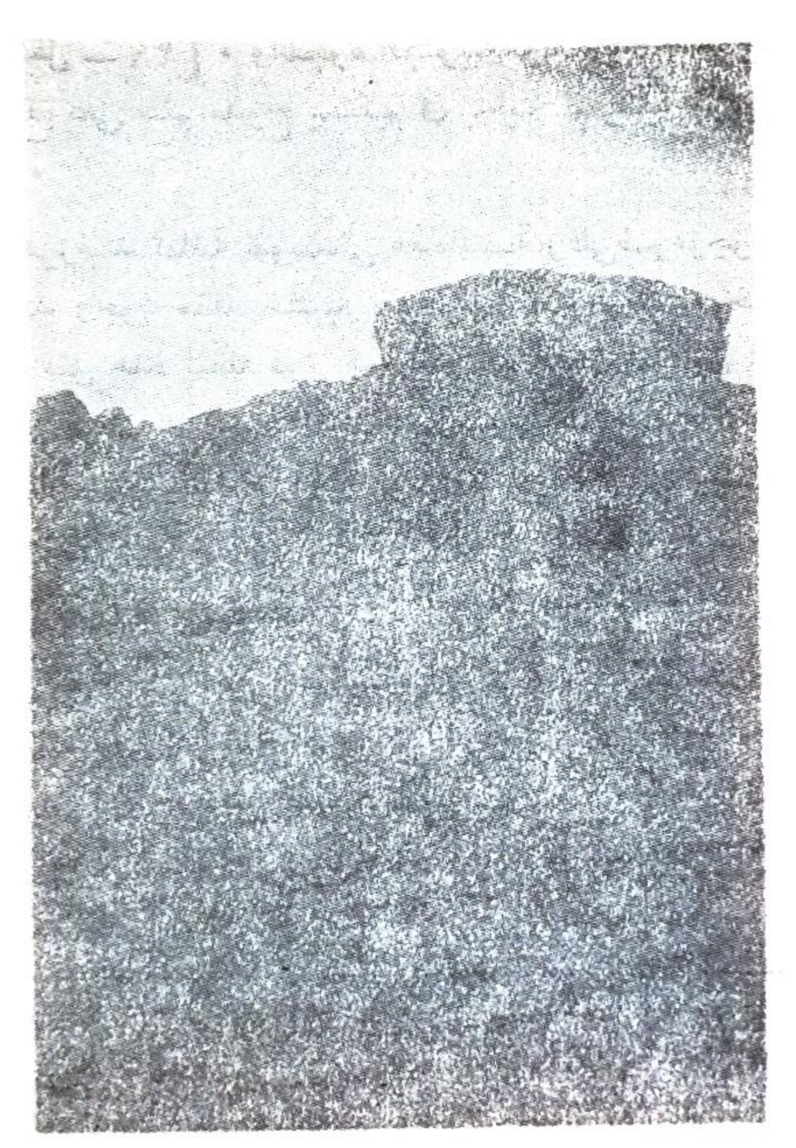
(١٨٥) Herzfeld, Erster, pp. 12 f; E.M.A., 11, p. 261.

(١٨٦) Herzfeld, Erster, p. 13.

(١٨٧) لطائف المعارف صفحة ١٦١ .

واسلوب زخرفة الحنايا في القسم العلوي كان معروفا ، فقد ظهر في زمن الساسانيين والآشوريين ثم اصبح بعدئذ مألوفا في العمارة الاسلامية[١٨٨] .

وقد ظهر على سبيل المثال ، في قبة الصخرة حيث ان كل جدار من الجدران الخارجية مزخرف بسبعة افاريز ضيقة مجوفة طويلة ، وظهر بعدئذ في قبر الست زبيدة في بغداد .



شكل ـ ٣٩ قمة ملوية الجامع الكبير الاسطوانية محلاة بحنية (عن الدكتور غازي رجب محمد)

(١٨٨) Bell, Palace and Mosque at Ukhaidir, p. 156.

٤ - بلكوارا

يشتمل هذا الموقع على حقل عظيم من الخرائب يعرف اليوم بـ «المنقور» على بعد ستة كيلومترات جنوبي مدينة سامراء الحديثة ، عند الطرف الجنوبي في منطقة الاطلال القديمة ، هناك عقد كبير قائم في وسط مساحة كبيرة من الاطلال منتظمة التخطيط ، مما دفع هرزفيلد الى التنقيب هناك بين الثاني عشر من تموز والتاسع من تشرين الاول لعام ١٩١١[١٨٩] •

وسرعان ماوجد « هرزفيلد » انه ازاء قصر عظيم كبير [شكل — ٤٠] يتكون من مساحة ذات جدران مستطيلة طول ضلعها ١٢٥٠ متراً مدعمة بابراج• يرتكز جانبه الجنوبي على ضفة نهر دجلة الذي يرتفع هنا بحوالي (١٥) متراً • وتقرير هرزفيلد هو الوحيد الذي ظهر حتى الآن ، وهو كما يأتي[١٩٠] :

لهذا المربع ثلاثة أبواب ، كل باب منها يقع في وسط الجدران المؤدية الى اليابسة (أي الجدران الشمالية والغربية والشرقية وليس هناك باب للحائط الجنوبي وهو الباب المؤدي الى النهر) ويخترقه طريقان رئيسيان يتقاطعان على نمط معسكر الجيش الروماني • وقد اخذ بنظر الاعتبار مجرى الماء القديم داخل المربع فى الاراضي الواقعة بين الابنية •

في الجهة اتي يحدها النهر اقتطع الذراع الجنوبي الغربي للشارع الرئيسي وحل مكانه مستطيل ابعاده ٤٦٠ × ٥٧٥ متراً محاط بسور مدعم بابراج ويمتد من شاطىء النهر الى نقطة تقاطع الشارعين الرئيسيين •

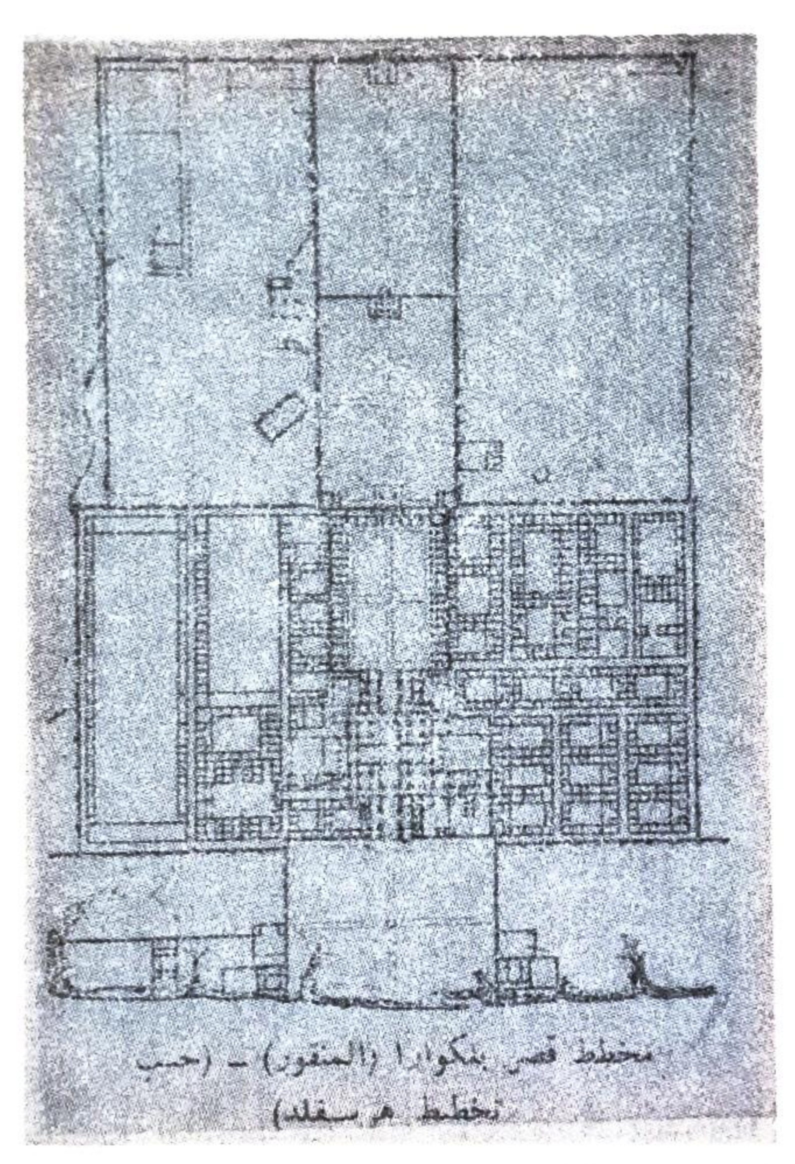
والقصر الداخلي ، كما هو موضح في الشكل — ٤١ ، له مدخل واحد كبير في وسط جداره الشمالي الشرقي ، تماما في وسط مساحة رباعية الزوايا عند تقاطع الشوارع • وينقسم المستطيل الى ثلاثة اقسام متوازية كما هو الحال فى المشتىوفى قصر العاشق ايضاً • ويحتوي القسم الاوسط على الترتيب

---

(١٨٩) Herzfeld, Erster, p. 32; Creswell, Op. cit., 11, 265;
مديرية الاثار العراقية ، سامراء ، صفحة ٦٨ ؛ احمد سوسة ، ري سامراء ، ١٢٧/١ .

(١٩٠) Creswell, Op. cit., 11, p. 265;

التالي : البوابة الضخمة ، قاعات الشرف ، قاعة العرش ، في بلكوارا هنـــاك ثلاث رحبات (احواش) وتسع قاعات مرتبة على شكل صليب ، وقـد روعي تناسق محوري تام في هذا القصر • وتنفتح غرف العرش على الرحبة الثالثة كقاعات كبيرة ومفتوحة ايضا على النهر •



شكل ـ ٤٠ مخطط قصور بلكوارا « المنقور » عن هرزفيلد

وهناك حديقة تقع خارج حائط القصر يحيط بها سور مغطى بالملاط وينتهي عند الشاطىءنفسه بسقيفات غنية بالزخارف • وخارج الحديقـــة هناك مرفأ وفي وسط الحديقة حوض للماء • والواجهات المطلة على الرحبة وعلى

امتداد واجهة الحديقة ذات ثلاثة عقود كما فى بيت الخليفة والمشتى • وهذه الواجهات ذات الثلاثة عقود يزيد العقد الاوسط فيها على العقدين الجانبيين في الارتفاع والاتساع ، وقد اشتقت من مداخل الشارع الهليني واقواس النصر • والقاعات التي تنفتح على هذا الاسلوب تناظر القصور الشرقية القديمة والاكثر حداثة كانت تعتبر قاعات للاستقبال العامة • ومن اشهر الامثلة قاعة طاق كسرى فى طيسفون •

وكانت هذه القاعات تستخدم ، على مايظهر ، للاجتماعات العامة وهذا ما اشار اليه كتاب الاغاني الذي يعتبر من الكتب الفنية في تأريخ الثقافة • قال اعرابي « كنت مع احد امراء سامراء الذي اذن لي بالدخول الى غرفة والتي كانت تشبه قاعة كسرى » •

والقاعتان الخارجيتان على المحور المستعرض لها شكل L وهي معروفة فى سامراء ، اما القاعات الخمس الداخلية المنظمة على شكل صليب ، فأن القاعة الوسطى منها والتي لها شكل مربع تستخدم للاجتماعات الخاصة ، وهناك أربع مجموعات من الغرف المتشابهة تماما بين اذرع الصليب ويتألف كل منها من ثماني غرف تدور حول فناء مربع صغير • بينما القاعات الكبيرة مسقفة بالخشب ومن المحتمل بسقف معقود احيانا • والغرف الصغرى لها عقود من طابوق مغطاة بالطين، وهذه الاساليب كانت لها علاقة قريبة بما يماثلها فى العمارة الهلينية •

وأمام القاعات ذات الشكل L كانت هناك قاعات على المحور المستعرض (الرئيسي) وغرف اخرى اكثر ، منها غرف المعيشة اليومية ومن بينها حمام مترف مكسو بالرخام •

وكانت الزخرفة متسقة ، وتأثير جمالها يعتمد على مساحتها الكبيرة التي تغطيها لاعلى طريقة تنفيذها • في حين ان النماذج في البيوت الخاصة نجد على كل حائط منها نماذج تميل الى التنوع • وفى القصور نجد نفس النموذج البسيط ، حيث يغلب على الجميع الطراز الاول •

وفوق الافريز توجد حنايا الجدار في ثلاثة صفوف في القاعات الرئيسية، السفلي منها مربعة بينما التي تعلوها كانت حنية طويلة مدببة العقد فوقها دائرة • اما الغرف الصغيرة فلها حنايا مربعة فى الاسفل وفوقها كانت حنايا

مقصصة العقود او ذات عقود بيضوية • وهذه الصفوف الثلاثة ليست كاملة الحفظ في اية حجرة • ولبعض الغرف صور مائية على الجص مدهونة بالذهب بالاضافة الى الزخارف الجصية ، حيث كانت لاتزال ترى في زمن هرزفيلد في السقيفات المطلة على النهر •

اما الواجهة ذات العقود الثلاثة فانها كانت مزينة بالفسيفساء الزجاجية على ارضية مذهبة حيث كانت الفروع النباتيـــة تؤلف عناصرها الرئيســية • أما الالوان فهي على سبيل الحصر ، اللون الاخضر الذي يتدرج من الاخضر الذهبي الى الاخضر الغامق وبراعم الزهور والفواكه من اللؤلؤ تشغل حيزاً بنسب متساوية تقريباً • وكانت ابواب الغرف معمولة من الخشب الجيد غنية بالزخارف المنقوشة والمذهبة ومزينة بمسامير من النحاس المذهب • اما النوافذ فقد كانت تملأ بالزجاج الملون مثل الازرق والاصفر الغامق والفاتح والاخضر الغامق والاحمر القاني والمعتدل (البنفسجي) والزجاج النقي ، ومن هذه البقايا القليلة يستطاع تكويــن فكــرة ، حتــى لو كانــت غــير واضحة ، عن عظمة زخرفة هذه الغرف •

ويشتمل الجانبان الاخران من المستطيل الكبير على مجموعة من بيــوت منفردة ، وبالنظر الى حجم القصر فأن الفضاء الواقع بين النهر وخط الجانب الداخلي لقاعة الشرف الثالثة كان كافيا لهذه البيوت ، اما الفضاء بجانب القاعتين الاوليتين فبقي من غير بناء تقريبا •

وعلى هذه الطريقة فان تقسيم المحور المستعرض (المحور الرئيسي) قد تم بنفس الطريقة كما في قصر العاشق • والبيوت المنفردة هذه كانت على نفس اسلوب بيوت الخاصة في سامراء • وهي تتألف من ست عشرة غرفة تتجمع حول فناء ونسبة اضلاع هذا الفناء ٢ : ٣ ، وعند احد اطرافه قاعة ذات شكل L • وكانت اضلاع هذه البيوت كمحلات لسكنى اهل الامير او ربما لحريمه •

اما في القسم الشمالي فأن تخطيط الاجزاء المنفردة كان يختلف بعض الشيء عادة ، مثل شارع الســوق او افنية كبــرى يحتمــل انهــا كانــت تستخدم كثكنات للمشاة والفرسان من الحرس • وفي وصف القطائع كما في بلكوارا فأن المعتصم قد قلد القطائع لقواده عند تأسيس سامراء •

وقد اشار اليعقوبي الى ان كل واحدة من هذه القطائع كانت تشتمل على ثكنات للجند وسوق صغير لحاجياتهم وعلى حمامات ومساجد • وفي وصف قطائع ابن طولون يشير المقريزي انه احدث ساحة كبيرة للعبة البولو • وجميع هذا موجود في قصر بلكوارا • وقياسا بقصري المشتى والاخيضر فأن المرء يتوقع ان يجد مسجداً في البقعة الواقعة على يمين قاعتي الشرف الاوليتين •

وكلا الموضعين يتجهان باتجاه مكة • يقع مسجد قصر المشتى الى يمين المدخل ويمكن معرفته بسهولة ويقع المحراب في وسط الجدار الجنوبي للقاعة• اما في قصر الاخيضر فعندما يدخل المرء من الجهة الشمالية فأن المسجد يقع في موضع مماثل الى يمين المدخل ، وهو مسجد ذو اروقة منتظمة وله محراب في رواقه الجنوبي العميق • ينحرف قصر بلكوارا بمقدار ٤٥ درجة عن القبلة لهذا يمكن ملاحظة هذا الانحراف في مسجد القصر من نظرة • واختلاف العمارة على هذه الطريقة يمكن ملاحظتها في يمين القاعة الثانية عند موضع تخرق فيه بوابة ذات ثلاثة ابواب جدار القاعة • وقد تحقق أنها مسجد القصر ، وابعاده ١٥ × ١٣ متراً ، وله صفان من الاعمدة الخفيفة المصنوعة من خشب الساج او الرخام • وبقيت آثار مواضعها في الاساس فقط • قياس القاعدة ٥٠ سنتمترا (ذراع واحد) ، وكذلك لم يبق شيء من جدران المسجد ايضاً لانها كانت من الطابوق المفخور وقد اخذت جميعها فاصبح من الصعب تمييز شكل المحراب • ولكن في القسم الجنوبي المقابل وجد هرزفيلد مسجداً صغيراً ثانياً • وتبلغ ابعاد قاعته البسيطة ٧٦ر٧ × ٣٥ر١٠ متر (١٥ × ٢٠ ذراعاً) وهو مشيد بطابوق من اللبن ولهذا السبب لم يسرق • وله ثلاثة ابواب في جداره الشمالي ويتألف محرابه من حنية مستديرة عميقة تحيط بها انصاف اعمدة تحيط بها حلية ذات تقوير مشكلة اطاراً مستطيلاً • ويمكن اعادة تجديد المسجد الكبير بنفس الطريقة •

ان قصر بلكوارا يعد عملا معمارياً من الطراز الاول ، لا لسعة مساحته وانما يضاف الى هذه مافيه من مظاهر معمارية غنية • وهكذا فأن المرء يستطيع انيدرك تأثيره الكبير في انسجام اقسامه وتخطيط قاعاته ورحباته وتباين اشكال مداخله ، وبلغ اقصى عظمته بواجهته ذات الثلاثة عقود والمزخرفة بالموزاييك •ونفس الشيء بالنسبة الى مادة البناء المستخدمة

فأنها افضل نوعية من تلك الابنية المحيطة ، التي بنيت من اللبن وكذلك القاعة الاولى والاقسام الجانبية ، بينما القاعة الثالثة بنيت من الطابوق المفخـــور وكذلك قاعة العرش •

كما أن اختيار الموقع كان ذا مهارة مضاعفة ، اذ ان الواقف فى الحجرة الوسطى يرى باتجاه الشمال الغربي صفا كبيراً من القاعات ورحبات الشرف الثلاث مع بواباتها والقاعات ، والحديقة والنهر وكذلك الاراضي المتموجة الممتدة للجزيرة •

وفى المحور المستعرض (الرئيسي) وباتجاه الشمال الغربي يرى المرء القاعات والبيوت للاقسام الجانبية ، ووادي النهر وعلى بعد فرسخين ونصف عنه وقصر العاشق وقبة الصليبية والى الجنوب الشرقي فم قناة القاطول مع برج القائم • ومثل هذا التخطيط الذي لايقارن لابد ان يكون لـه تأثير عظيم • ومن جهة ثانية ، فأن هذه المساحة الواسعة لم تكن مستوية تماما ، ولقد امكن استغلال الاختلافات فى المستوى وازداد استخدامه ، فالقسم الاوسط اكثر ارتفاعا من الاقسام الجانبية كما ان هناك ارتفاعاً بين قاعـــة واخـــرى •

ومستوى ارضية قاعة العرش هو اعلى من بقية الاقسام فى القصر ، وتكاد تكون ارضها في نفس مستوى الاسطح المستوية للاقسام الجانبية(١٩١) •

تحقيق موقع القصر وتأريخه

لاتتفق المراجع العربية على طريقة لفظ اسم هذا القصر (١٩٢) •ولقدعرف هذا القصر بـ بلكوارا(١٩٣) ، وبركوارا وبولكوار وبزكوار(١٩٤) ، وعرف بـ بركوانا وبركوان(١٩٥) ، وبركوار(١٩٦) •

---

(١٩١) Herzfeld, Erster, pp. 33-39.

(١٩٢) اسم بلكوارا في الاصل ليس عربيا بل فارسيا ، كما يذكر الدجيلي في عالم الغد ١٦ اكتوبر (تشـــرين الاول) لسنة ١٩٤٨ صفحة ٢٤ وان لفظ الكلمة الدقيق هو « بزُرْكوار » ومعناها القصر الهائل .

(١٩٣) البلدان صفحة ٤٠ .

(١٩٤) الطبري ١٨٦٠/٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ٦٠٥/١ .

(١٩٥) ياقوت ، معجم البلدان ١٨/٣ .

(١٩٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤٤٠/٤ .

يقول اليعقوبي : « وولي جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم • وانزل ابنه محمد المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وانزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة وانزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له بلكوار فأتصل البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ »[197] •

ثم يضيف اليعقوبي بعد ذلك قوله إن المتوكل « بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسرَّ من رأى مادا الى الموضع الذي كان ينزله ابنه ابو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لاعمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ » •

وكما اشرت فى مقدمة هذا الفصل بأن موقع « بلكوارا » يعرف اليوم بـ « المنقور » وقد استنتج « هرزفيلد » بأن المسافات التي اعطاها اليعقوبي تطابق مسافات اطلال القصر • وهي تشل ايضا زاوية الطرف الجنوبي على متداد شاطيء نهر دجلة ، وهكذا فأن حدود ضواحي سامراء واطلال المنقور هي بلكوارا[198] •

وبناء على ذلك فأن قصر بلكوارا لابد ان يؤرخ في فترة خلافة المتوكل الواقعة بين ٢٣٢ ــ ٢٤٧ هجرية (٨٤٧ ــ ٨٦١ م) ، ونستطيع ان نحصر التاريخ فى فترة اضيق ، اذ ان « هرزفيلد » عثر على عوارض مصنوعة من خشب الساج التي كانت تستعمل فى تثبيت الطابوق لدعامات الجدار ، ووجد الكلمات التالية محفورة عليها بالكوفي البسيط « الامير المعتز بالله بن امير المؤمنين »[199] •

ويعتبر هذا النقش اقدم نقش عربي من بلاد مابين النهرين ، وكلمة « أمير » هو اللقب الرسمي لابن الخليفة المتوكل ، بدلاً من اسمه « ابو عبد

---

(١٩٧) اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٤٠ •

(١٩٨) Herzfeld, Erster, p. 33.

(١٩٩) Herzfeld, Erster, p. 33; Creswell, Early Muslim Architecture, 11, p. 296.

الله طلحة » • وقد حمل الامير لقب الخلافة « المعتز بالله » الذي اكتسبه بعد توليه الخلافة •

وقد روى المؤرخان ابن خلدون وابن الاثير أن الخليفة المتوكل أعلن في عام ٢٣٥ هجرية ٨٤٩ للميلاد ان يكون اولاده الثلاثة محمد المنتصر وابراهيم المؤيد وابو عبد الله المعتز ولاة للعهد ، وهكذا فقد حصل الاخير على لقب المعتز بالله ومنحت له المقاطعات خراسان وطبرستان والري وارمينيا واذربيجان وفارس • وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ منح الاشـراف على بيت المال في كل قطر وعلى دور ضرب السكة كما نقش اسمه على الدرهـم •

وقد عثر هرزفيلد ايضا على قطعة نقود نحاسية في سامراء وهي في حالة حفظ غير جيدة[٢٠٠] ، والكتابة على قطعة النقود اوضحت ان هناك خطأ ، اذ ان اسمه « ابو عبد الله » ظهر في سنة ٢٣٥ للهجرة (٨٤٩ للميلاد) كرئيس لدور ضرب العملة في جميع انحاء الامبراطورية غير ان لقب الخلافة « المعتز بالله » لم يظهر الا في سنة ٢٤٠ للهجرة (٨٥٤ للميلاد) • ولهـذا اصبح واضحا انه حصل على لقبه المشار اليه في تلك السنة • والكتابة على العوارض الخشبية المشار اليها سابقا ، لايمكن بناء على ذلك ، ان تكون قبل سنة ٢٤٠ للهجرة (٨٥٤ للميلاد) •

ومن جهة اخرى فأن بلكوارا على وجه التأكيـد ، قد بني قبل سـنة ٢٤٥ للهجرة (٨٥٩ للميلاد) اذ ان طاقة الخليفة المتوكل قد كرست جميعها لتأسيس مدينته الجديدة « الجعفرية » ولهذا فأن قصر بلكوارا يؤرخ بين سنتي ٢٤٠ و ٢٤٥ للهجرة (٨٥٤ و ٨٥٩ للميلاد)[٢٠١] •

ويذكر كريزويل ان « ريفون جيست » أشار الى أن الطبري كان المصدر الاصلي للحقائق الواردة في روايتي ابن الاثير وابن خلدون، وهو الذي سمى ابن المتوكل الثالث أبا عبد الله أو كما يسميه البعض زبير[٢٠٢] • ولم يتلـق

---

(٢٠٠) Herzfeld, Erster, p. 33.

(٢٠١) Herzfeld, Erster, p. 33.

(٢٠٢) الطبري ٣/١٣٩٤ .

عليه اسم طلحة • وزيادة على ذلك ، فأن لقب « ابو عبد الله » المكتوب على العملة في سنة ٢٣٥ للهجرة ليس من الضروري أن يقصد به « المعتز » اطلاقاً • لذا فأنه لايوجد هناك أي سبب يدعو لرفض الرواية التي تقول ان المتوكل منح ولده لقب المعتز فىسنة ٢٣٥ للهجرة • ويتفق الطبري مع ماورد على العملة اذ انه يقول فى نفس الصفحة ان اسم المعتز قد طبع على العملة فى سنة ٢٤٠ هجرية ، ولهذا فأن قصر بلكوارا يجب ان يكون قد بنى بين سنتي ٢٣٥ و ٢٤٥ هجرية (٨٤٩ و ٨٥٩ ميلادية) •

٥ - مدينة المتوكلية

كان للمتوكل رغبة قوية للبناء ، وكان يعد من اكثر الخلفاء اهتماماً بالبناء في فترة الخلافة العباسية في سامراء ، وتميز عصره بعدد كبير من القصور والعمائر والجوامع ، فبنى الجامع الكبير فى سامراء وجامع ابي دلف ومدينة المتوكلية وقصور البديع والبرج وبلكوارا والبهو والجامع والجعفري والجوسق والسندان والشاه والصبيح والعروس والغريب واللؤلؤ والمختار •

يقول ياقوت : « لم يبن احد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل »[٢٠٣] •

ولقد كلفته كل هذه الابنية اموالا طائلة ، ويعطي ياقوت أن مجموع ماصرف من اموال كان (٢٩٤) مليون درهم [٢٠٤] • وذكر المسعودي ايضا التكاليف الباهضة التي جلبتها عليه اعماله المعمارية فيقول : « وقد قيل انه لم تكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في ايام المتوكل »[٢٠٥] •

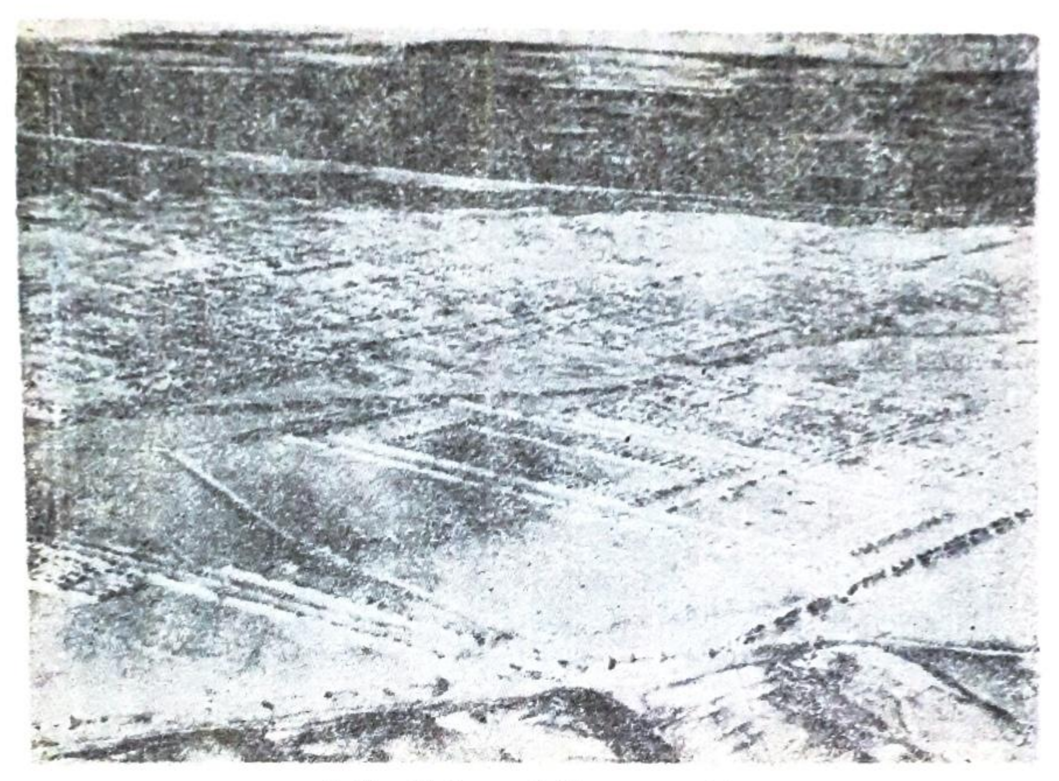
وعاش المتوكل فى بداية خلافته في قصر الهاروني[٢٠٦] ولكنه فى سنة

(٢٠٣) معجم البلدان ، ١٧/٣ •

(٢٠٤) المصدر السابق ١٨/٣ •

(٢٠٥) مروج الذهب ، ٢٧٦/٧ •

(٢٠٦) البلدان صفحة ٤٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٤٦٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ١٧/٣ •



شكل ـ ٤١ بقايا مدينة المتوكلية

٢٤٥ للهجرة (٨٥٩ للميلاد) امر الفلكي محمد بن موسى وبعض المهندسين لاختيار موضع له[٢٠٧] .

والموضع الذي اختير له اخيراً كان يعرف باسم « الماحوزة »[٢٠٨] ، وقد اشار اليعقوبي الى ان هذا الموضوع قد فحص سابقا من قبل المعتصم حينما كان يبحث عن موقع ملائم لعاصمته[٢٠٩] ، على الرغم من ان احداً من المؤرخين لم يذكر هذا عدا اليعقوبي[٢١٠] .

---

(٢٠٧) البلدان صفحة ٤٠ .

(٢٠٨) الطبري ١٤٣٨/٣ ، اشارة الى رواية اليعقوبي في البلدان صفحة ٤١ فانه يسمي الموضع الذي اختاره المنجم محمد بن موسى بالماحوزة . غير ان ياقوت في معجم البلدان ١٨/٣ يذكر أن القصر الذي بنى للمتوكل في المتوكلية يسمى بالماحوزة .

(٢٠٩) البلدان صفحة ٤١ .

(٢١٠) وعلى كل حال ، فأن البلاذري في فتوح البلدان ، صفحة ٤٦٠ ، يشير الى ان المتوكلية تضم بعض المناطق وقرية الماحوزة كانت جزء من هذه المناطق فقال : « احدث المتوكل مدينة سماها المتوكلية وعمرها واقام بها واقطع الناس القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول [الاعلى] فدخلت الدور والقرية والمعروفة بالماحوزة فيها » .

تقع المدينة الجديدة ، المتوكلية ، تقريباً على بعـد عشرة كيلومترات شمال مدينة سامراء من آخر البناء الذي فى الدور (دور العرباني) ، وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم ، على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من شمال سامراء الحالية(٢١١) •

وتقع آثار هذه المدينة ، فى الوقت الحاضر ، بين قناة تدعى بـ « نهر الرصاص » ونهر دجلة(٢١٢) [شكل – ٤١] وكان فوق نهر الرصاص جسر يدعى « قنطرة الرصاصي » الذي كانفوق اكبر فرع لنهر النهروان ، واسسها التي تتألف من حجارة كبيرة مربوطة مع بعضها بكلابات حديدية ورصاص ذائب ، وكانت لاتزال تشاهد في عام ١٨٣٤ حينما زار « روس » تلـك المنطقـة(٢١٣) •

لقد تعرف هرزفيلد على بقايا الجعفري ووصفها : « انها سـور ضـخم يغطي مساحة تبلغ ١½ كيلو متر مربع • محاطة بجدران مدعمـة بأبراج من الطابوق المصنوع من اللبن • وتشكل مضلع غير منتظم يقع بين ضفة دجلة العليا والقناة • عند نقطة على هذه القناة بحوالي ٤½ كيلو متر شمال جامع ابي دلف وحوالي كيلو متر واحد شمالي قنطرة الرصاص • وعثر على مدخل للسور حيث ينقطع منه شارع مستطيل خلال مساحة القصر باتجاه ٧٠ درجـة جنوب غربي »(٢١٤) •

وذكر « سوسة » ان الزائر يمكن ان يشاهد اليوم (عام ١٩٤٨) السور الضخم الذي يحيط بمدينة المتوكلية والذي يبلغ مجموع طوله حوالي اربعة كيلو مترات ونصف كيلومتر • وذكر كذلك ، انه هناك سور آخر فى جنوب المدينـة بقليل يمتـد بين ضفـة القاطول الاعلى اليمنى ونهر دجلة ، فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشتملاتها عن مدينة سر من رأى التي

---

(٢١١) احمد سوسة ، ري سامراء ، ١/١٢٩ .

(٢١٢) Creswell, Op. cit., 11, p. 277.

(٢١٣) J.R.G.S., XI, p. 129.

(٢١٤) Herzfeld, Archäologische Reise, p. 66.

الاسطر المذكورة اعلاه مقتبسة عن ترجمة كريزويل لبعض فقرات مـن كتاب « نزهة اثرية » لهرزفيلد ، انظر .

Early Muslim Architecture, 11, p. 277.

فى الجنوب ، تاركاً اياها فى عزلة عن المدينة القديسة ، وفى هذا السـور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام للمدينة(٢١٥) .

قاعات وساحات وشوارع كلها قد خططت بشكل منتظم ومتسـق . وبقيت مميزة فى عام ١٩٠٨ . وتظهر الجدران باخاديد ضيقة ترتفع عـدة سنتمترات فوق سطح الانقاض .ويبدو ان مادة البناء كانت على الاغلب طابوقاً من اللبن مع كميات قليلة من الطابوق المفخور . وذكر « كريزويـل » ان « هرزفيلد » اخبره بان هذه المنطقة لم تكتشف بعد (٢١٦) .

وحتى الوقت الحاضر ، ليس هناك أي دليل يشير الى ان مدينة المتوكلية قد حظيت بأي بحث علمي . والبحثان اللذان نشرتهما مديرية الآثار العراقية حول سامراء اشارا الى انه يتخذ أي عمل جدي لتوفير المعلومات عن العمارة فى هـذا الموضـع .

احد هذين البحثين اوضح أن التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العامة في عام ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ تناولـت اربعـة مواضـع على طرفي الشـارع الاعظـم(٢١٧) .

والمعروف ، ان معظم المصادر تبين ان المتوكل بدأ في تشييد مدينـة المتوكلية فى عام ٢٤٥ للهجرة (٨٥٩ للميلاد)(٢١٨) ، ويبدو انه ترك سامراء قبل ان يبـدأ في بناء المدينة الجديدة . وقد روى الطبري ان المحمدية كانت المكان الذي أختاره المتوكل ليشرف ويباشر منه العمل(٢١٩) . وقد وصف اليعقوبي العمل في المتوكلية بما يلي :

---

(٢١٥) احمد سوسة ، ري سامراء ، الجزء الاول صفحة ١٢٩ .

(٢١٦) Creswell, Op. cit., II, p. 277.

(٢١٧) مديرية الآثار العامة ، حفريات سامراء ، صفحة ٢ .

(٢١٨) البلدان ، صفحة ٤١ ، الطبري ١٤٣٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥٦/٧ . ويشير البلاذري في فتوح البلدان صفحة ٤٦١ أن المتوكلية قد سـكنت في بداية عام ٢٤٦ ، ويشير ايضاً الى أن تشييد هذه المدينة قد استغرق عدة اشهر . ومن هذا يمكن ان نستنتج ان البناء في هذه المدينة قد بـدأ في عام ٢٤٥ للهجرة .

(٢١٩) الطبري ١٤٣٨/٣ .

« ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة فقدر النفقة على النهر الف الف وخمسمائة الف دينار فطاب نفسا بذلك ورضى به وابتدأ الحفر وانفقت الاموال الجليلة على ذلك النهر واختط موضع قصوره ومنازله واقطع ولاة عهوده وسائر اولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ومد الشارع الاعظم من دار اشناس التي بالكرخ وهي التي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره وجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه واقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع »[٢٢٠] •

وتتبع « روس » آثار هذا الشارع ووصفه كما يلي : « طريق من الجير والحصو بعرض (٨٠) ياردة له جدار في كل جانب[٢٢١] • ولقد ايدت مديرية الآثار العراقية عرض الشارع الذي قدمه كل من اليعقوبي و « روس » فذكرت في نشرتها ان عرضه ١٠٠ متر • ويستمر الشارع مستقيما على امتداد سبعة كيلومترات مع سلسلة من الشوارع العمودية عليه تنتهي على جانبيه[٢٢٢] [شكل — ٤٢] •

ويستمر اليعقوبي في روايته فيقول أن المتوكل قدر ان يحفر في جنبي الشارع نهرين يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره وبنيت القصور وشيدت الدور وارتفع البناء وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد في البناء اجازه واعطاه[٢٢٣] •

ويظهر ان بعض الابنية قد انجزت وتوسعت من غير توقف من « الجعفرية » الى مكان يسمى « الدور » في الشمال والى ما وراء « الكرخ » وسامراء حتى المكان الذي اعتاد ابنه ابو عبد الله المعتز ان يعيش فيه « بلكوارا » •

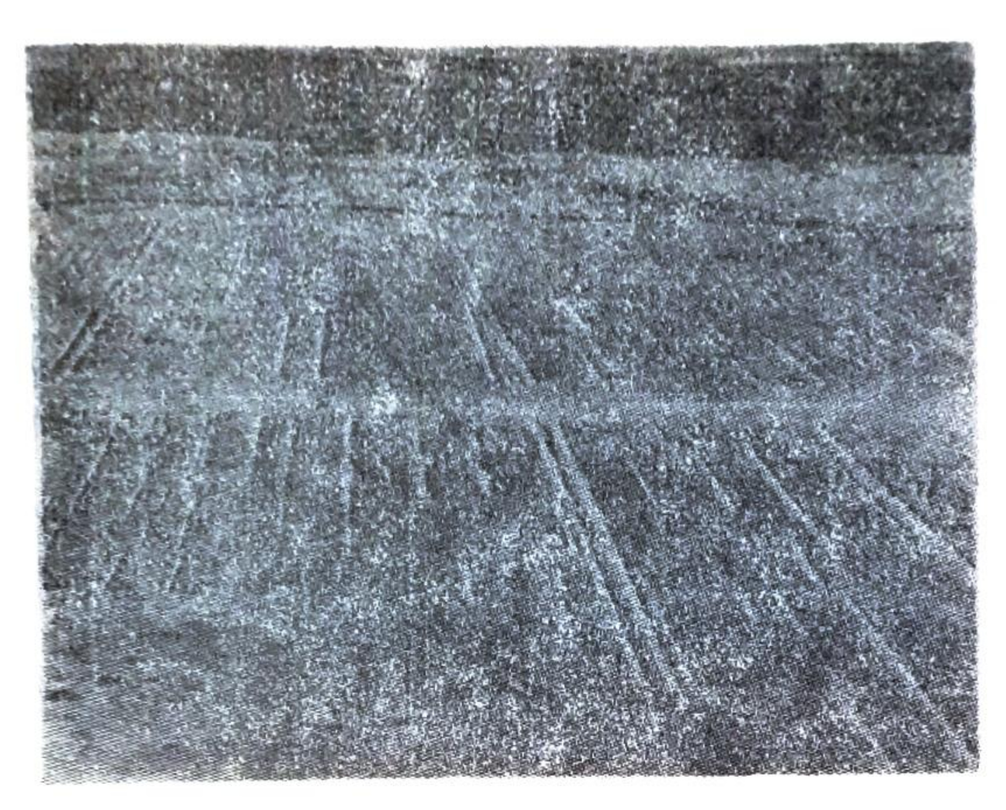
---

(٢٢٠) البلدان صفحة ٤١ •

(٢٢١) J.R.G.S., XI, p. 129.

(٢٢٢) مديرية الآثار العراقية ، سامراء ، صفحة ٩ •

(٢٢٣) البلدان صفحة ٤٢ •



شكل ـ ٤٢ الشارع الاعظم في مدينة المتوكلية

وتم البناء خلال سنة واحدة ، واقيمت الاسواق فى موضع منعزل وجعل فى كل مربعة وناحية سوقاً[٢٢٤] .

وفى الاول من شهر محرم لعام ٢٤٧ هجرية (الموافق ١٧ آذار ـ مارس ـ ٨٦١ ميلادية) انتقل الخليفة المتوكل الى المدينة . وعندما جلس فى مجلسه اعطى مكافآت كبيرة للناس وقدم الاعطيات لكل الموظفين العسكريين والمدنيين والى كل واحد اسهم في العمل ولقد تكامل له السرور فقال : « الآن علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها »[٢٢٥] .

ونقلت الدواوين ، ديوان الخراج وديوان الضياع وديوان الزمام وديوان الجند والشاكريةوديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع الدواوين ، الا ان النهر لم يتم امره ولم يجر الماء فيه الا جرياً ضعيفاً لم يكن له اتصال

---

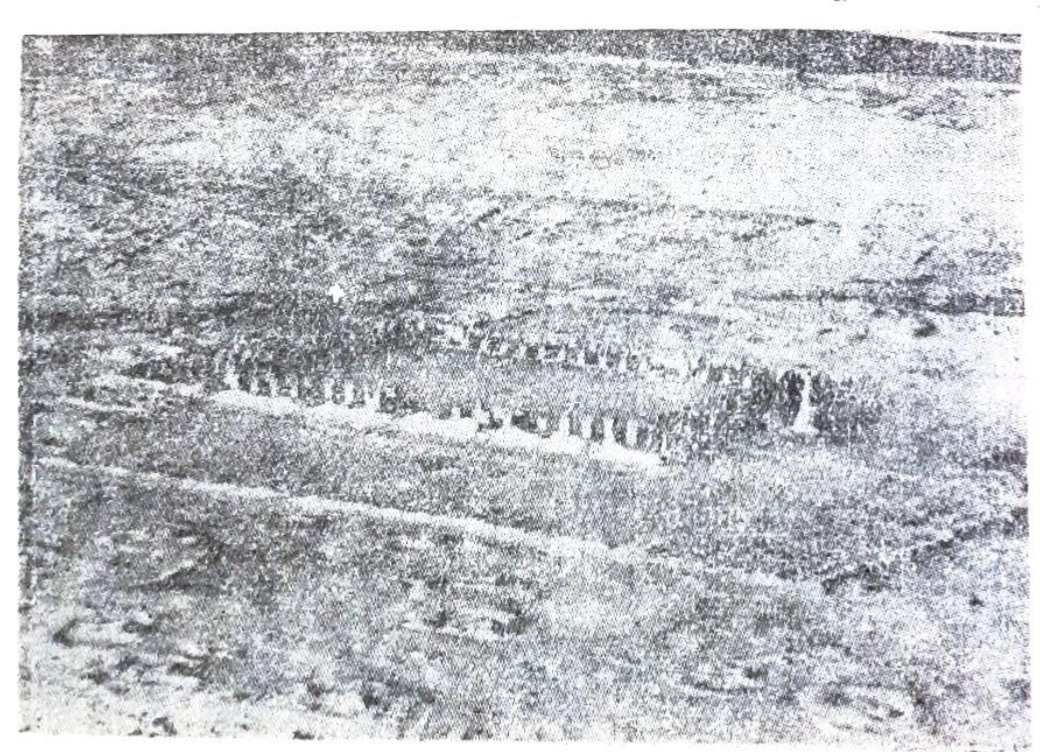
(٢٢٤) اليعقوبي ، البلدان صفحة ٤٢ .
(٢٢٥) المصدر السابق صفحة ٤٢ .

ولا استقامة ، على انه قد انفق عليه شبيهاً بألف الف دينار ولكن كان حفره صعباً جداً ، انما كانوا يحفرون حصاً وافهاراً لايعمل فيها المعاول(٢٢٦) •

واقام المتوكل نازلا في قصره بالجعفرية تسعة أشهر وثلاثة أيام ، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين في قصره الجعفري(٢٢٧) • الموافق ١١ ديسمبر ٨٦١ ميلادية •

٦ـ جامع ابي دلف

يقع جامع ابي دلف على بعد ١٥ كيلومتراً تقريباً من القسم الشمالي للمدينة الجديدة(٢٢٨) ، [انظر شكل ــ ١ ، خريطة رقم ــ ١] • التي بناها الخليفة المتوكل وسميت بمدينة الجعفريــة نسبة اليه كما اشــار اليعقوبي [شكل ــ ٤٣](٢٢٩) •



شكل ــ ٤٣ منظر جوي لجامع ابي دلف

(٢٢٦) المصدر السابق صفحة ٤٢ •
(٢٢٧) المصدر السابق صفحة ٤٢ •
(٢٢٨) مديرية الآثار القديمة ، سامراء صفحة ٦٦ •
(٢٢٩) اليعقوبي ، البلدان صفحة ٤٢ •

وبصورة عامة ، فأن هذا الجامع يشبه جامع سـامراء الكبير ، غير أن جدران جامع ابي دلف الخارجية قد تهدمت في الوقت الحاضر ، على الرغم من ان الهيكل الداخلي له مايزال قائما على عكس الهيكل الداخلي لجامـع سامراء الذي اختفى لانه لم يشيد من الآجر المنخور ، بينما جدرانه الخارجية قد بقيت لانها مبنية من الآجر المفخور[٢٣٠] .

ويبدو ان تخطيط هذا الجامع قد تترسـم ، على وجه العموم ، تخطيط الجوامع الاسلامية الاولى في العراق في الكوفة وواسط وجامع سـامراء الكبـير .

والتخطيط الارضي للجامع الاصلي الذي ماتزال اقسـامه الرئيسـية قائمة على وجه العموم كان بسيطاً جداً[٢٣١] . فهو على شكل مستطيل مثـل جامع سامراء الكبير ، ولكن مساحته اصغر ، اذ يبلغ طول الجوانب الطويلة حوالي ٢٢٢ر٨٠ متر طولاً من الجنوب الى الشمال ، و ١٣٨ر٢٦ متـر مـن الشرق الـى الغرب[٢٣٢] .

---

(٢٣٠) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, pp. 90 and 70; Creswell, E.M.A., 11, p. 278; S.A.E.M.A., p. 282;
ومديرية الآثار القديمة ، سامراء ، صفحة ٦٧ ، بشير فرنسيس ومحمود علي ، جامع ابي دلف في سامراء ، سومر ، الجزء الاول كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، صفحة ٦٣ .

(٢٣١) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 70.
وتشير « مس بل » في كتابها Amurath to Amurath, p. 245.
الى الابعاد ٢١٣ر٢٠ × ١٣٦ر٥٠ متر .

(٢٣٢) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 70.
اما كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 278; S.A.E.M.A., p. 282.
فيعطي الابعاد (٢١٣) متراً من الشمال الى الجنوب و (١٣٥) متراً مـن الشرق الى الغرب . وبشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٣ فيذكر ان الابعاد (٢١٥ر٤٧) متر من الجنوب الى الشـمال و (١٣٨ر٢٤) متر من الشرق الى الغرب ، حيث تبلغ المساحة الكلية له (٢٩٧٨٦ر٥٠) متر مربع .

الجدران الخارجية والابراج

ذكرنا سابقا ، ان الجدران الخارجية قد بنيت من الطين ولم يتخلف منها شيء في الوقت الحاضر لاعطاء فكرة عن تركيبها وبنائها الاصلي ، ومع ذلك فان الفضل للابحاث والدراسات العلمية التي اجابت على كثير من الاسئلة عائدة[٢٣٣] .

ولقد ذكرت « مس بل » أن الجدران الخارجية لم تكن في عام ١٩٠٩ اكثر من رابية مفتتة[٢٣٤] ، وتظهر اليوم على هيأة خطوط ، ماعدا الجهة الشمالية حيث ترتفع هذه الجدران فيها من خمسة الى سبعة امتار[٢٣٥] .

وقد وجد ان سمك هذا القسم من الجدران يبلغ ١٫٦٠ متر ، وانه شيد بطابوق من اللبن ، وكسيت الجوانب الداخلية والخارجية بالجص . وقد كانت هذه الجدران مدعومة ومسندة بابراج نصف دائرية مثل جامع سامراء[٢٣٦] .

ويذكر « هرزفيلد » أن للجدران الجنوبية والشمالية فواصل ، ولكل واحد من الجدران الشرقية والغربية ١٣ فاصلة ، ولم تكن هذه الفواصل متساوية الا ان معدل ارتفاعها حوالي ١٤ متراً[٢٣٧] .

ويظهر ان « هرزفيلد » لم يكن متاكدا من عدد الابراج وقياساتها ، اذ لم يتوفر له الوقت الكافي لازالة الانقاض المحيطة بها ، ولقد اشار الى أنها

---

(٢٣٣) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٣ . الا ان مديرية الآثار العراقية تعطي ابعاداً تختلف عن تلك الابعاد التي اعطيت من قبل الآخرين فتشير الى ١٥٨×١٠٨ متراً في نشرتها سامراء صفحة ٦٥ .

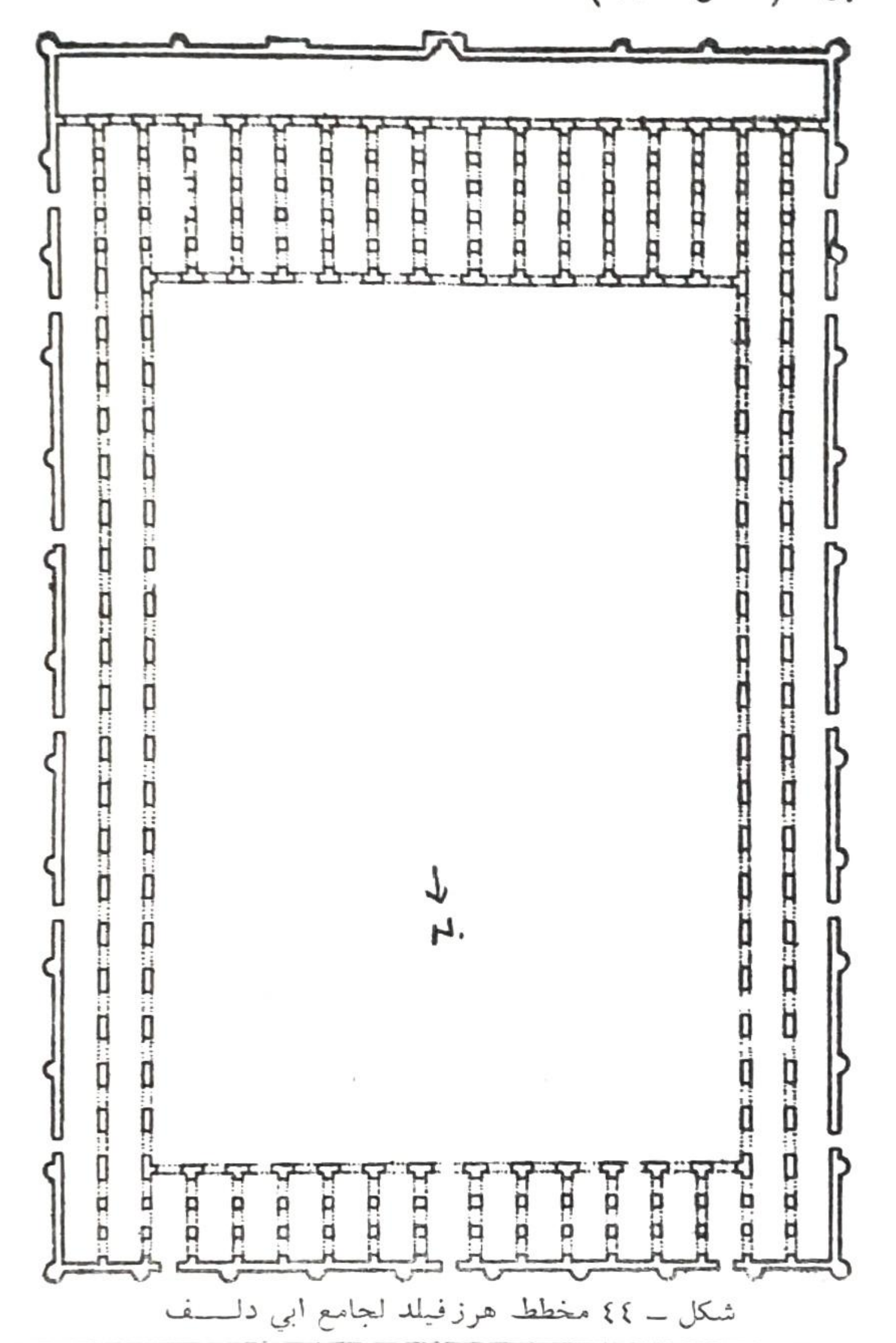
(٢٣٤) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٣٥) Creswell, Op. cit., p. 278.

(٢٣٦) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٣ ، وقد اشار هرزفيلد في كتابه Archäologische Reise, ، صفحة ٧١ من الجزء الاول بانه قاس في موضعين مختلفين فظهر ١٫٤٠ متر و ١٫٤٥ متر ، وقد اوضح أن القياس الثاني يبدو اكثر صحة ودقة لان الموضوع كان افضل حفظاً من الموضع الاول .

(٢٣٧) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 72.

كانت مخربة تماما فأصبح والحالة هذه من الصعوبة قياسها بصورة دقيقة ومضبوطة (شكل ـ ٤٤)(٢٣٨) .



شكل ـ ٤٤ مخطط هرزفيلد لجامع ابي دلف

(٢٣٨) Herzfeld, Archäologische Reise, 1, p. 72.

جميع الابراج نصف الدائرية تقوم على قواعـد مستطيلة ابعادها ١٫٣٠ × ١٫٩٠ متر وارتفاعها ١٫٩٠ متر ، واضلاعها الطويلة موازية للجـدار الرئيسـي ، وجميعهـا مبني مـن الطابوق(٢٣٩) .

وفي كل ركن من اركانه الاربعة برج مستدير يقوم على قاعـدة مربعـة ضلعها ٣٫٦٠ متر ، واضلاعها مماسة لمحيط البرج ، أي ان قطر البرج ٣٫٦٠ متر ايضاً وقد شيدت القاعدة والقسم الاسفل من اسطوانة البرج الـى علو (٥٥ سنتمتراً) بالآجر والقسم الاعلى منه مشيد باللبن والملاط من الجـص سـواء ذلك في بناء الآجر وبنـاء اللبن(٢٤٠) .

ويبدو انه لـم يكن هناك اتفاق في الرأي بين علماء الآثار حول عـدد الابراج التي تدعم الجدران الخارجية.

وقد استطاعت «مس بل» ان تميز ثلاثة ابراج في الجدار الجنوبي في عام ١٩٠٩(٢٤١) وطبقا للمخطط الذي وضعته [شكل ــ ٤٥] هناك اربعة ابراج في الاركان و (١١) برجاً في كـل من الجدار الشرقي والجدار الغربي ، و (٨) ابراج في الجدار الشمالي ، اما في الجـدار الجنوبي فانها لم تكن متأكدة من عدد ابراجه حيث عينت مواضـع (٣) ابراج فقط(٢٤٢) .

ويتفق « كريزويـل » مع « مس بل » فيما يخص هذه الابـراج ، الا انه اقترح في بادىء الامر أن هنـاك (٨) ابراج(٢٤٣) للجـدار الجنوبي ، ثم غير رأيه بعد ذلك حيث ذكر أن عدد الابراج يمكن ان يكون (٦)(٢٤٤) .

ولكن التنقيبات الاخيرة التـي قامت بها مديرية الآثار العراقية القديمة

---

(٢٣٩) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٤ .

(٢٤٠) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٤ .

(٢٤١) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٤٢) انظر مخططها في كتابها Palace and Mosque at Ukhaidir, p. 155.

(٢٤٣) Creswell, E.M.A., 11, p. 281; S.A.E.M.A., p. 284: Fig. 223 in E.M.A., 11, p. 280.

(٢٤٤) Creswell, Op. cit., 11, p. 281.

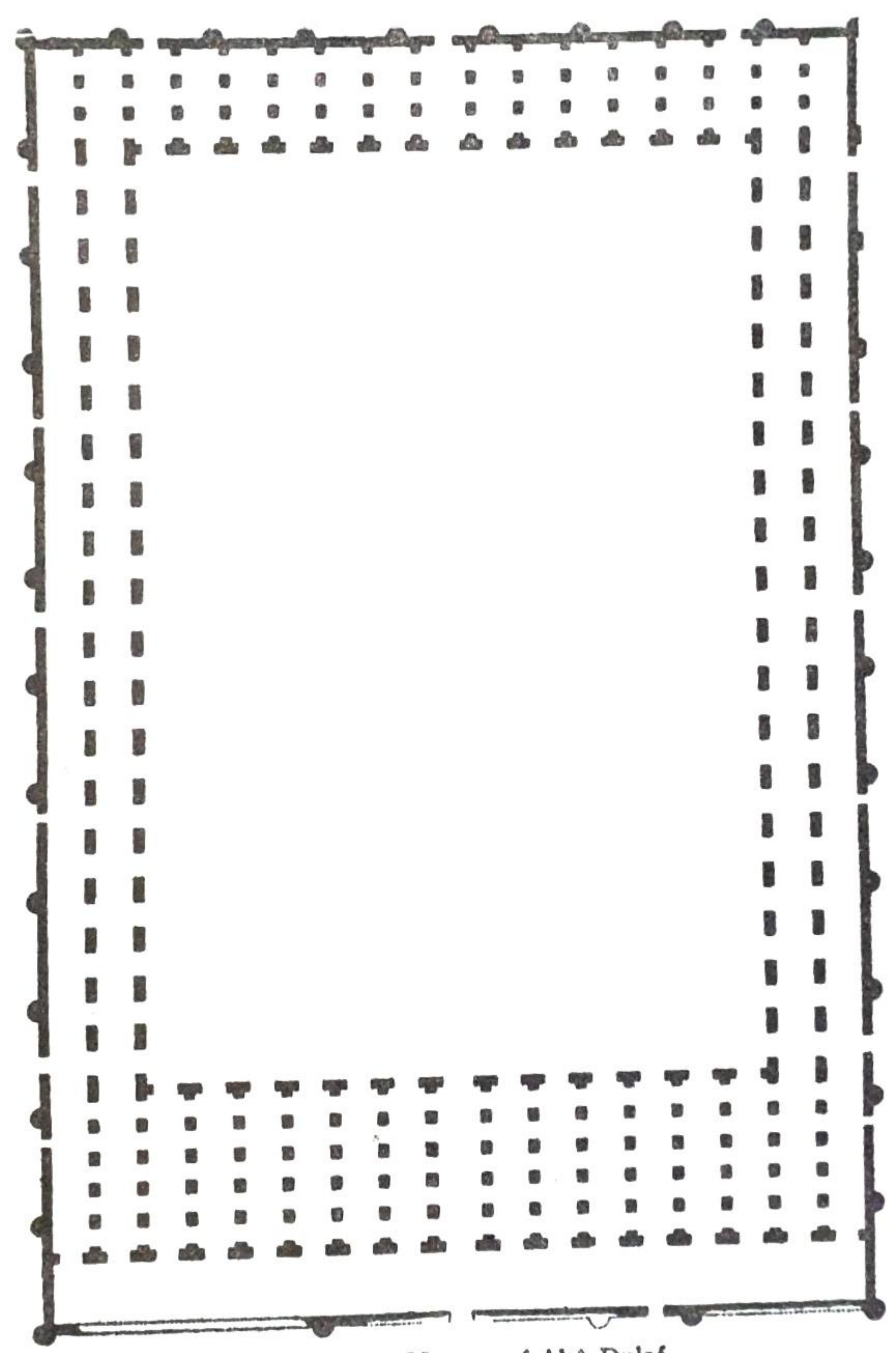


Fig. 33. Mosque of Abû Dulaf.

شكل ــ ٤٥ مخطط « بل » لجامع ابي دلـــف

كشفت عن (٤٢) برجا ، و (١٠) ابراج في جدار القبلة و (٨) ابراج في الجدار الشمالي و (١٠) ابراج في كل من الجدار الشرقي والجدار الغربي ، و (٤) ابراج في كل ركن[٢٤٥] .

وفي الضلع القبلية عشرة ابراج نصف مستديرة يتوسطها بناء المحراب الذي يبرز من خلف الضلع ، فالبرجان اللذان يليان برجي الركنين فى هذا السور مشيدان باللبن واللذان يليانهما بالآجر وهكذا بالتناوب ، فيكون مجموع ابراج اللبن ستة وابراج الآخر أربعة[٢٤٦] .

والبعد بين برجي الركنين والبرجين التاليين (١٢٫٤٠) متر ، وبين الابراج الاخرى (٤٫٦٠) متر . أما البعد الذي بين بروز المحراب والبرج الذي يجاوره فهو (١٨) متراً .

وأما الضلع الشمالية التي يقابل الضلع القبلية فان ثخنها (١٫٨٠) متر ، والسور هنا باق على علوه الأول تقريبا ، ولم تحوله عوادي الزمن الى آكام كما فعلت في الجهات الأخرى . وفيه ابراج نصف مستديرة ايضا متناظرة الأبعاد ، ابتداء من برجي الركنين ، فالبرج الاول الذي يلي برج الركن يبتعد عنه (١١٫٨٠) متر ويبعد البرج الاول عن الذي يليه (١٢٫٦٠) متر . والبعد بين البرجين المجاورين للمدخل الاوسط الذي يقابل المئذنة (١١٫٨٠) متر ، وكل هذه الابراج مشيدة باللبن وملاطة بالجص[٢٤٧] .

وقد لاحظت « مس بل » ان تصريف القنوات للماء كان فى واجهة هذا الجدار[٢٤٨] ، (الجدار الشمالي) وقد اوضحت التنقيبات الاخيرة فى هذا

---

(٢٤٥) Creswell, S.A.E.M.A., p. 284.

ويعطي كريزويل مجموع الابراج (٤٢) برجاً في كتابه E.M.A., 11, p. 281 ولكنه يعطي مجموعاً آخر خاطئاً في كتابه S.A.E.M.A., p. 284. ، اذ يذكر المجموع (٣٨) بينما يجب ان يكون لتعداده (٤٠) .

(٢٤٦) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٤ .

(٢٤٧) نفس المرجع ، صفحة ٦٣ .

(٢٤٨) Bell, Amurath to Amurath, p. 246.

الجامع ان هذه القنوات كانت مشيدة بالآجر وعمقها نحو (٢٠) سنتمتراً وعرضها (١٨) سنتمتراً فى بعض النقاط ، وهي تشبه تلك التي وجدت فى جامع سامراء ، ولم يساعد الوقت المنقبين لتتبع اثرها[٢٤٩] • ومن المحتمل ان تكون هذه القنوات تحتوي على ميزاب من السقف المسطح ، ويبدو ان وظيفة هذه القنوات هي تصريف المياه المتخلفة بعد هطول المطر •

والاقسام العليا للجدارين الآخرين (الجدار الشرقي والجدار الغربي) قد تساقطت جميعها ولا يشاهد منها سوى اكوام من اللبن[٢٥٠] •

وقد اوضحت اعمال التنقيب التي قام بها الاثاريون العراقيون بان سمك هذين الجدارين (الشرقي والغربي) هو (١٫٦٠) متر ، وفي كل جدار منهـا عشرة ابراج نصف مستديرة كلها مشيدة من اللبن، والبعد بين برج الركن المتصل بالجدار القبلي والبرج القريب منه الذي يليه (٣٥٫٨٠) متر والابعاد بـين الابراج الاخرى تتراوح بين (١٤) و (١٥) متراً[٢٥١] •

ولم يكن « هرزفيلد » متأكداً من حجم طابوق اللبن المستعمل فى الجدران الخارجية فى أي مكان قاس ابعاده[٢٥٢] • ولكن التنقيبات الاخيرة بينت من فحص عدد من الآجر واللبن أن حجم الطابوقة الواحـدة من الآجر هـو ٢٧ × ٢٧ × ٧٫٥ سـنتمتراً وحجم الطابوقة الواحـدة من اللبـن هـو ٣٤ × ٣٤ × ٩٫٥ سنتمتراً[٢٥٣] •

وسمك الطابوق الذي قدمه هرزفيلد يختلف قليلاً عن السمك الذي قدر من قبل مديرية الآثار العراقية القديمة ، اذ انه قاس (١٠) سافات مع ملاطها فبلغ ٩٠ سنتمتراً ، ومعدل ثخن الملاطة سنتمترين ، لذا استنتج هرزفيلد ان سمك الطابوقة حوالي (٧) سنتمترات[٢٥٤] •

---

(٢٤٩) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٤ .
(٢٥٠) نفس المرجع ، صفحة ٦٤ .
(٢٥١) نفس المرجع ، صفحة ٦٤ .
(٢٥٢) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 73.
(٢٥٣) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٤ .
(٢٥٤) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 73.

على الرغم من ان الجدران في حالة سيئة جداً ، فأنه من المحتمل اكتشاف بعض المداخل ، إذ أن الاعتاب المشيدة من الآجر المفخور كانت تقريباً في حالة سليمة(٢٥٥) . وكانت « مس بل » اول من ذكر هـذه المداخل ، وحسب مخططها [انظر ــ شكل ٤٥] فأن هناك (٣) أبواب في الجدار الشمالي ، وباب واحد في الوسط ، و (٦) ابواب في كل من الجدارين الشرقي والغربي . وقد اعتقدت أن بقايا الآجر المفخور على الجدار الجنوبي كانت باباً يؤدي الى بناء صغير . وقد اقترحت ايضاً أنه كان هناك باب في النصف الشرقي من هذا الحائط واستنتجت ايضاً انه كان هناك باب مشابه في النصف الغربي(٢٥٦) ، ولقد تأيد هذا أخيراً بواسطة التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العراقية [انظر شكل ــ ٤٦](٢٥٧) .

ولم يقدم « هرزفيلد » اية معلومات عن هذه الابواب عدا انه اعتقد بأن الفتحة التي في وسط الجدار الجنوبي كانت باباً(٢٥٨) .

والذي يبدو ان « كريزويل » قد إتفق مع « مس بل » فيما يتعلق بطبيعة هذه الأبواب وموقعها(٢٥٩) . ويمكن ملاحظة اختلاف واحد في المخطط

---

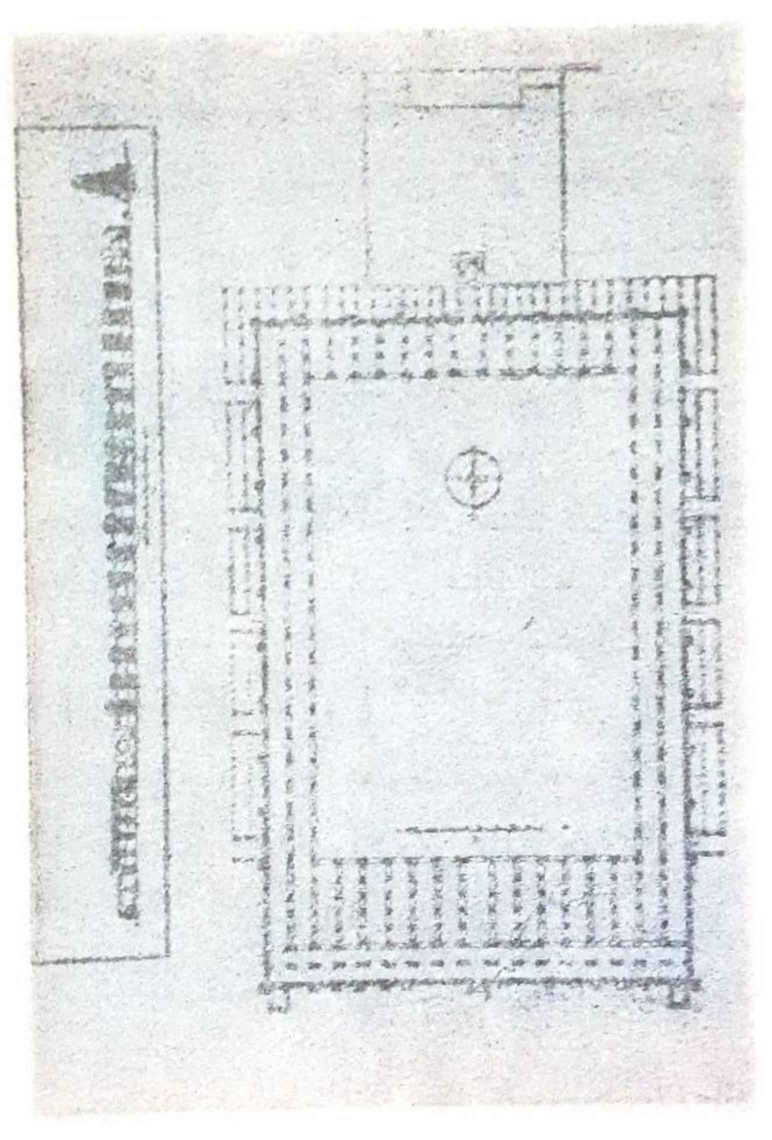
(٢٥٥) Bell, Amurath to Amurath, pp. 244f;

(٢٥٦) لقد رسمت « مس بل » مخطط هذا الجامع في عام ١٩٠٩ في كتابها : Palace and Mosque at Ukhaidir, Fig. 33, p. 155.

(٢٥٧) اشار المنقبان في بحثهما ، نفس المصدر ، صفحة ٦٥ ، ان الحفريات التي كان يقصد منها تنظيف المداخل من الانقاض وبلوغ التطبيق قد اوضحت هنا عند تتبع اركان هذين البابين نحو الخارج ان كل باب منهما يؤدي الى حجرة طولها عشرة امتار وعرضها ستة امتار ، وجدرانها من الآجر الذي يتعاشق مع بناء السور ، وهذه الحجرة مبلطة بالطابوق ايضاً ، ويظهر من انفراد هاتين الحجرتين وموضعهما انهما شيدتا لمن يتولى امور الجامع .

(٢٥٨) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 73; Creswell, Op. cit., 11, p. 281.

(٢٥٩) Creswell, E.M.A., 11, p. 281; S.A.E.M.A., p. 284.

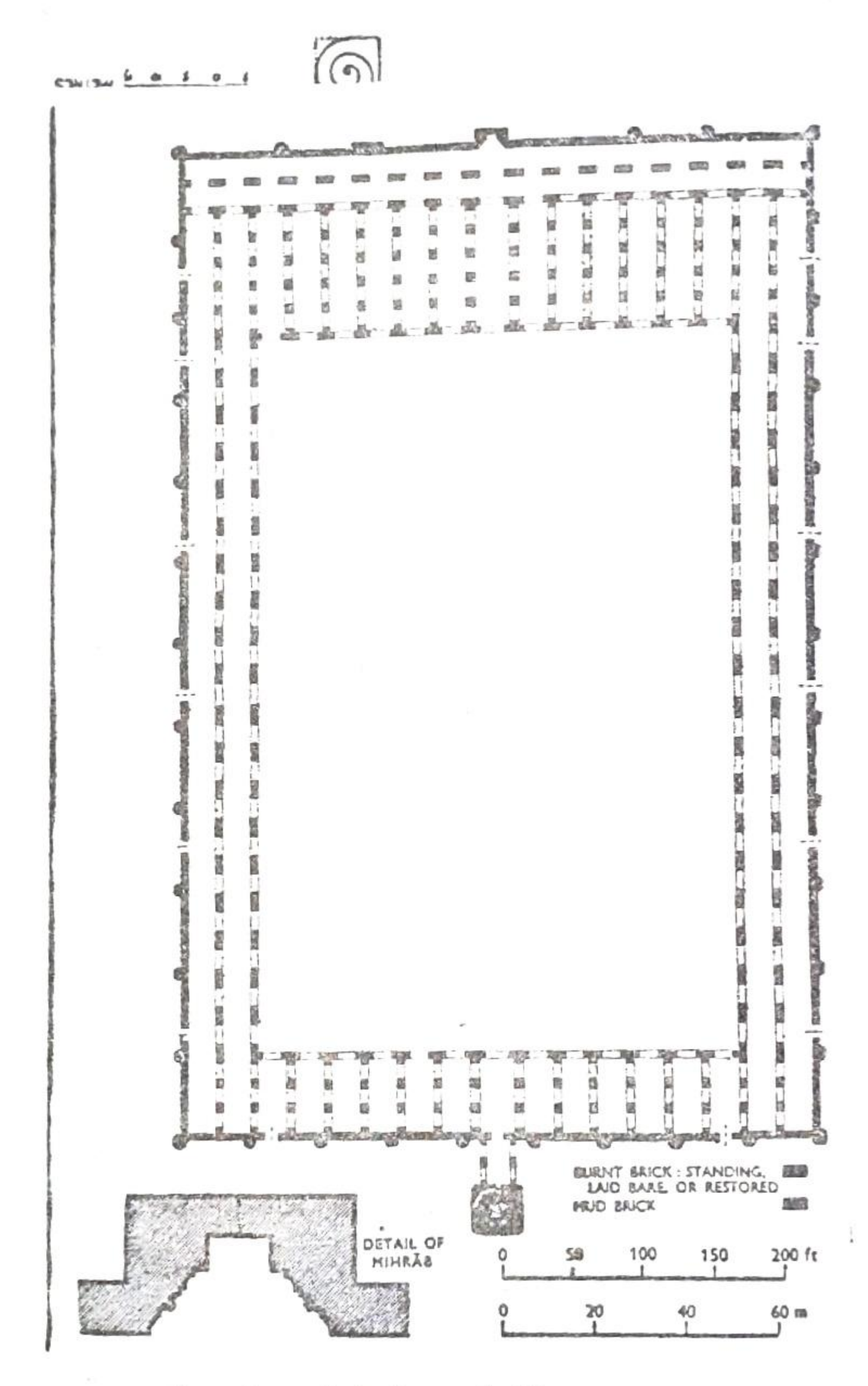


شكل ــ ٤٦ مخطط بشير فرنسيس ومحمود علي لجامع ابي دلف

الذي وضعته ، اذ انه حذف جميع الأبواب من الجدار الجنوبي(٢٦٠) . [شكل ــ ٤٧] .

ولقد اثبتت التنقيبات الأخيرة في هذا الجامع أن للضلع القبلية ثلاثة ابواب اثنان منهما يجاوران برجي الركنين والثالث في الوسط عند المحراب . ويقع الاولان على بعد مترين من برج الركن وعرض الواحد منهما ١,٥٨ متر

(٢٦٠) Creswell, E.M.A., 11, p. 280, Fig. 223; S.A.E.M.A. Fig. 58, p. 281.



شكل ٤٧ مخطط كريزويل لجامـع ابي دلف

وجانبا الباب مبنيان بالأجر بعرض ١٠٠٥ متر المتعاشق مع بناء اللبن المشيد منه السور[٢٦١] .

وفي الجدار الشمالي المواجه للقبلة ، ثلاثة ابواب ، واحد في الوسط وهو الذي تقع المئذنة على امتداد محوره وعرضه (٢٫٩٥) متر ، واثنان في الجانبين ، ويبعد الشرقي منهما عن برج الركن الشمالي الشرقي (١٧٫٣٠) متر والغربي عن برج الركن الشمالي الغربي (١٧٫٥٠) متر ، وعرض كل منهما (٢٫٦٠) متر[٢٦٢] .

وفي كل من الجدارين الشرقي والغربي ستة ابواب ، يبعد الأول – ابتداء من الجنوب – عن برج الركن (٢٤) متراً ، وعرض فتحته في اولها من ركنيه الخارجيين متران ، ثم تضيق الفتحة تدريجيا نحو الداخل حتى تصبح عند ركنيه الداخليين (١٫٤٥) متر ، ويبعد الباب الثاني (١٥٫٧٠) متراً عن الاول ، والأبواب الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة تبعد بمقدار ٣٤ متراً ، ٦٤٫٥٠ متر، ٩٥٫١٠متر، ١٣٣٫٤٠ متر على التوالي عن الباب الاول، والمسافة بين الباب السادس وبرج الركن الشمالي (١٩٫٥٠) متر ، وتبلغ فتحة هذه الابواب (٢٫٦٥) متر وابواب السورين الجانبيين متناظرة الموقع والأبعاد[٢٦٣] .

ومن هذا يمكن ان يستنتج أن لهذا الجامع ثمانية عشر باباً ، ثلاثة منها ، وهي القبلية ، ، تؤدي الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبية ، وثلاثة في الضلع الشمالية احدها يفضي الى المئذنة ، وستة ابواب في كل من الجانبين الشرقي الغربي[٢٦٤] .

داخل الجامع

في وسط هذا الجامع يقع الصحن ، وهو مستطيل طوله ١٥٥٫٧٠ م من الشمال الى الجنوب و ١٠٤٫٦٠ متر من الشرق الى الغرب ، مشكلاً

---

(٢٦١) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٥ .
(٢٦٢) نفس المرجع ، صفحة ٦٥ .
(٢٦٣) نفس المرجع ، صفحة ٦٥ والصفحة التي تليها .
(٢٦٤) نفس المرجع ، صفحة ٦٦ .

مساحة تبلغ ٢٢ر١٦٢٨٦ م[٢٦٥] والصحن محاط باربعة اقسام من الجـامع ، بيت الصلاة (الحرم) من الجنوب ، والقسم الشمالي ، والقسم الغربي والقسم الشرقي ، وجميع هذه الاقسام تؤلف بوائك تمتد من الشمال الى الجنوب .

وللحرم ست عشرة دعامة تكوّن سبع عشرة بلاطة ، وكل بلاطة تتكون من خمسة اقواس باتســاع (١٢ر٣) م[٢٦٦] ، متجهة نحو الشمال ، و (١٢) من هذه الاقواس تنتهي بدعائم بهيئة حرف T عند الجانب الجنوبي للصحن . وتحمل بائكة مستعرضــة من ثلاثة عشر قوســاً تؤلف الواجهة . ومثل هذه البائكة توجد فى القسم الشمالي حيث تؤلف الواجهة الشمالية للصحن . ويبلغ معدل فتحة البلاطات السابقة نحو (٦ر٤) م[٢٦٧] ، الا ان فتحة البلاطة الوســطى اعرض من الباقي ، وقياس مدخلهــا ٣٠ر٥ متــر . [شكل ــ ٤٨][٢٦٨] . ويحف به دعامتان قياس كل واحدة منهما ٣٥ر٤ متر مشابهة لتلك التي فى القسم الشمالي . وكل دعامة من الدعامات التي تؤلف الواجهة مزينة بأطار مجوف . ومعدل عرض الفتحة التي بين البلاطات في

---

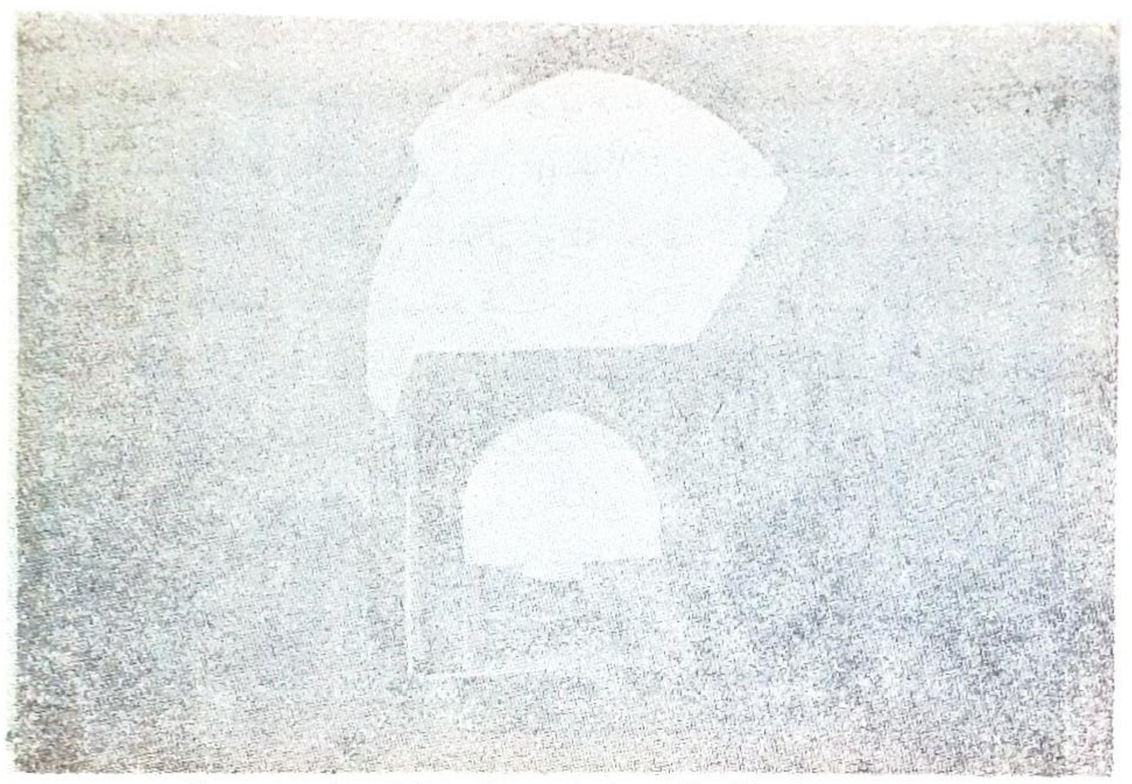
(٢٦٥) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٢ ، هرزفيلد في كتابه Archäologische Reise., 1, p. 71.
اعطى الابعاد ٧٥ر١٦٠ × ٢٥ر١٠٤ متر ، واعطى كريزويل في كتابيه E.M.A., 11, p. 278; S.A.E.M.A., 282
الابعاد ٨٠ر١٥٥ × ٩٣ر١٠٣ متر .

(٢٦٦) اعطى هرزفيلد في كتابه Archäologische Reise., 1, p. 71 لقياسات ١٧ر٣ متر ، واعطى كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 278. القياس ١٣ر٣ متر .

(٢٦٧) هرزفيلد في كتابه Archäologische Reise., 1, p. 71 اعطى القياس ١٥ر٤ متر .

(٢٦٨) الرقم المذكور اعلاه هو قياسي، ويعطي هرزفيلد في Archäologische Reise., 1, p. 71. القياس ٢٤ر٥متر ، بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٦ يذكر ان الرقم ١٩ر٥ متــر ، وكريزويــل في كتابه S.A.E.M.A., p. 283. يقتبس قياس بشير فرنسيس ومحمود علي ، لانه كان قد اطلع على تقرير التنقيبات لهذا الجامع الذي اعده الباحثان العراقيان المشار اليهما آنفاً ، كما يشير هو في كتابه E.M.A., 11, p. 281.

النهايتين الشمالية والجنوبية للجامع تبلغ ٢٠ر٦ متر ، بينما عرض الوسطى يبلغ ٣٠ر٧ متر(٢٦٩) •



شكل ــ ٤٨ الرواق الاوسط لبيت الصلاة في جامع ابي دلف

وعمق بيت الصلاة يبلغ ٢٠ر٢٩ متر [شكل ــ ٤٩](٢٧٠) ، وهذا العمق يبدو عمق جميع البوائك التي تنتهي عند الضلع الجنوبي بدعامات على شكل T تسند البائكة المستعرضة للاروقة السبعة عشر الموازية للجدار الجنوبي على بعد (٦٠ر١٠) متر منه •

(٢٦٩)بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٦ .
ويذكر « هرزفيلد » في كتابه Archäologische Reise., 1, p. 71.
ان عرض البلاطة الاوسط (٨ر١٧) متر وبقية البلاطات الاخرى (٤٧ر٦) متر ، وتعطي « المس بل » في كتابها
Amurath to Amurath, p. 245.
القياس (٢٠ر٦) متر للبلاطات الصغرى و (٣٣ر٧) متر للبلاطة الوسطى .

(٢٧٠) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٦ ،
Creswell, E.M.A., 11, p. 229. يشير ان عمق الحرم هو (٣٩ر٢٩) متر •

وامام هذه الاقواس السبعة عشر جناح عمقه (١٠ر٦٠) متر يمتد على طول عرض الجامع ويقع بين جدار القبلة والصفوف الاخيرة من اقواس الحرم (بيت الصلاة) الموازية الى جدار القبلة(٢٧١) .



شكل ــ ٤٩ الرواق الاوسط المواجه للمحراب والمقابل للجناح في جامع ابي دلف

ويتوسط هذا الجناح ثماني عشرة قاعدة دعامة اثنتان منهما تتصل بجدار السور ، وتبرز عنه بمقدار (١ر١٧) متر . اما الست عشرة قاعدة الباقية فأن مساحة قطاعها ٣ر٨٠ × ١ر٥٥م(٢٧٢) .

ويبدو ان مثل هذا الجناح ظهر لاول مرة في الجوامع الاسلامية ، ولقد

---

(٢٧١) يشير هرزفيلد في كتابه Archäologische Reise.. I, p. 71 ان ابعاد هذا الجناح ١٠ر٥٠ × ١٣٥ر٤٦ متر بينما تعطي « المس بل » في كتابها Amurath to Amurath, p. 245. قياسه ١٠ر٤٠ متر ، ويشير كريزويل في E.M.A., II, p. 279. الى الرقم الذي اعطاه بشير فرنسيس ومحمود علي في بحثهما المنشور في سومر صفحة ٦٧ وهو (١٠ر٦٠) متر .

(٢٧٢) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٧ .

كان لجامع ابي دلف ، كما اشار هرزفيلد ، مكانة فريدة في سلسلة تطور تصميم الجامع[٢٧٣] .

قبل التنقيبات الاخيرة ، كان من الصعب معرفة هل ان الجناح كان مسقفاً أم لا ، إذ أن الخرائب والاكوام لا توضح هذا كما ذكرت مس بل[٢٧٤] .

ولم تصل مديرية الآثار العراقية القديمة الى قرار اكيد فيما يتعلق بسقف الجناح ، على الرغم من ان تقرير المنقبين يشير الى ان التنقيبات قد كشفت عن وجود قواعد مما جعل احتمال وجود السقف كبيراً[٢٧٥] .

على الرغم انه لاتوجد في الوقت الحاضر دلائل حول وجود سقف على العقود الجنوبية للحرم او على الجدار الجنوبي المتهدم ، غير انه يحتمل ان يكون الجناح مسقفاً ، إذ من المستحيل على المسلم أن يؤدي الصلاة في فسحة غير مسقفة وفي مناخ قاسٍ .

ويمتد صف عقود الرواقين اللذين في طرفي المصلى (الحرم) الى الشمال مؤلفان في كل من الضلع الشرقي والضلع الغربي تسع عشرة بلاطة عمقها ١٤ متراً . [انظر شكل ــ ٥٠] .

وجميع هذه العقود تقابل الصحن من الجهتين الشرقية والغربية ، ومعدل الفتحة بين كل عقدين ١٥ر٤م ، ماعدا الرواق الاوسط في الضلعين فعرضه ٩٠ر٤ م[٢٧٦] .

---

(٢٧٣) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 71.

(٢٧٤) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٧٥) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٧ .

(٢٧٦) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٧ ، وتعطي المس بل الابعاد في كتابها Amurath to Amurath, p. 245. بينما يعطي « كريزويل » في E.M.A., 11, p. 279. ابعاد المسافة بين البلاطات الاعتيادية ١٥ر٤ متر و ٩١ر٤ متر المسافة للبلاطة الوسطى .

ومعدل قطاع الدعائم التي تحمل الاقواس الى جهتي الشرق والغرب للصحن يبلغ ٤٫٢٠ × ١٫٧٠م(٢٧٧) .

والجزء الرابع من هذا الجامع يقع في القسم الشمالي ، وهو يشبه الحرم (بيت الصلاة) له ست عشرة دعامة مؤلفة سبع عشرة بلاطة . وكل رواق يتألف من ثلاثة عقود معدل اتساع كل عقد ٣٫٥م(٢٧٨) تتجه نحو الجنوب حيث تنتهي بـ (١٢) دعامة ذات شكل T بالجانب الشمالي للصحن . [شكل ــ ٥١] ، تماماً كما هو الحال في الحرم (بيت الصلاة) وتحمل بوائك مستعرضة لثلاثة عشر عقداً تؤلف واجهة الصحن الشمالية . أما من الشمال فتنتهي عند السور بمرتكزات عقود من الآجر تتعاشق مع بناء اللبن الى عمق ٣٠ سنتمتراً تقريباً(٢٧٩) .

ويؤدي مدخل عرضه ٣٫٨ متر [شكل ــ ٥٢] الى البلاطة الوسطى التي هي اعرض من البقية وقياسها تماما مثل تلك البلاطات في الحرم (بيت الصلاة) ٧٫٣٠م للوسطى و ٦٫٢٠م للبقية .

الصحن :

وهو في الوسط على شكل مستطيل ابعاده ١٥٥٫٨٠م للضلع

(٢٧٧) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٦ ، وتقدم « مس بل » في كتابها Amurath to Amurath, p. 245. الابعاد ٤٫٣٠ × ١٫٥٧ متر ، ويقتبس « كريزويل » ابعاد « مس بل » في كتابه E.M.A., 11, p. 279.

(٢٧٨) يعطي « هرزفيلد » ابعاد « مس بل » في Archäologische Reise., 1, p. 72 القياس ٣٫١٠ متر ، «كريزويل » في كتابه E.M.A., 11, p. 279. يتبع قياس هرزفيلد .

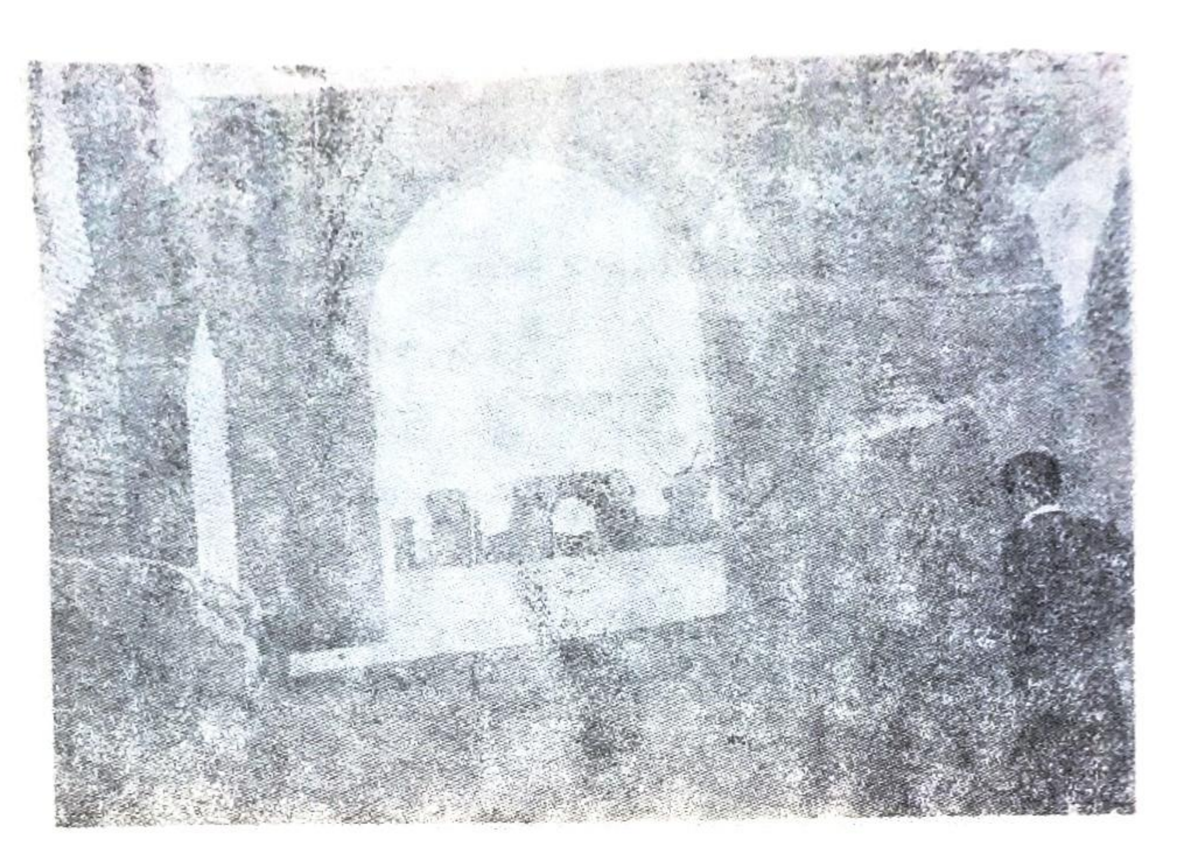
(٢٧٩) انظر ، بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٦ . ويقتبس « كريزويل » في كتابه E.M.A., 11, p. 279. معظم الفقرة الواردة في تقرير مديرية الآثار العراقية العامة ولكنه يشير الى أن مرتكزات العقود تتعاشق مع الطابوق المصنوع من اللبن الى عمق ٣٠ سنتمتراً .



شكل ـ ٥٠ احد الاروقة الغربية في جامع ابي دلف



شكل ـ ٥١ نهاية البوائك الشمالية عند الصحن لجامع ابي دلف



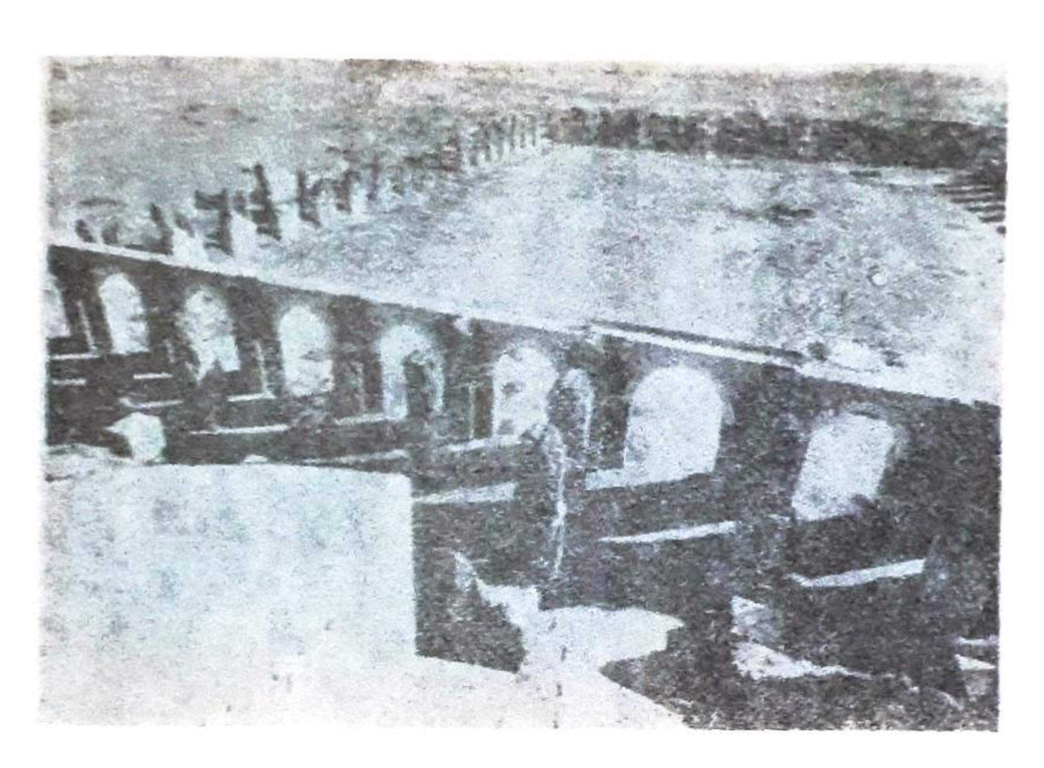
شكل ــ ٥٢ مدخل الرواق الاوسط في القسم الشمالي بجامع ابي دلف

الاطول(٢٨٠) ، و ٩٣ر١٠٣م للضلع الاصغر(٢٨١) ، وتحيط بـه اروقة من جوانبه الاربعة [شكل ــ ٥٣] .

---

(٢٨٠) يذكر « كريزويل » في E.M.A., 11. p. 278 ان طول الجانب الشرقي ٨٨ر١٥٥ متر ، والغربي ٧٣ر١٥٥ فيكون المعدل ٨٠ر١٥٥ متر . ويعطي « هرزفيلد » في كتابه Archäologische Reise., 1. p. 71 القياس ٧٥ر١٦٠ متر ، بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٣ يذكر ان القياس ٧٠ر١٥٥ متر .

(٢٨١) كريزويل في كتابه E.M.A., 11, p. 279 يشير الى ان طول الجانب الشمالي ٨٩ر١٠٣ متر وطول الجانب الجنوبي ٩٨ر١٠٣م ويكون المعدل ٣٩ر١٠٣ متر . ويعطي هرزفيلد في مؤلفه
Archäologische Reise., 1, p. 71.
القياس ٢٥ر١٠٤ متر ، اما بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٣ فيذكران القياس ٦٠ر١٠٤ متر .



شكل ـ ٥٢ صحن جامع ابي دلف تحيط به الاروقة .

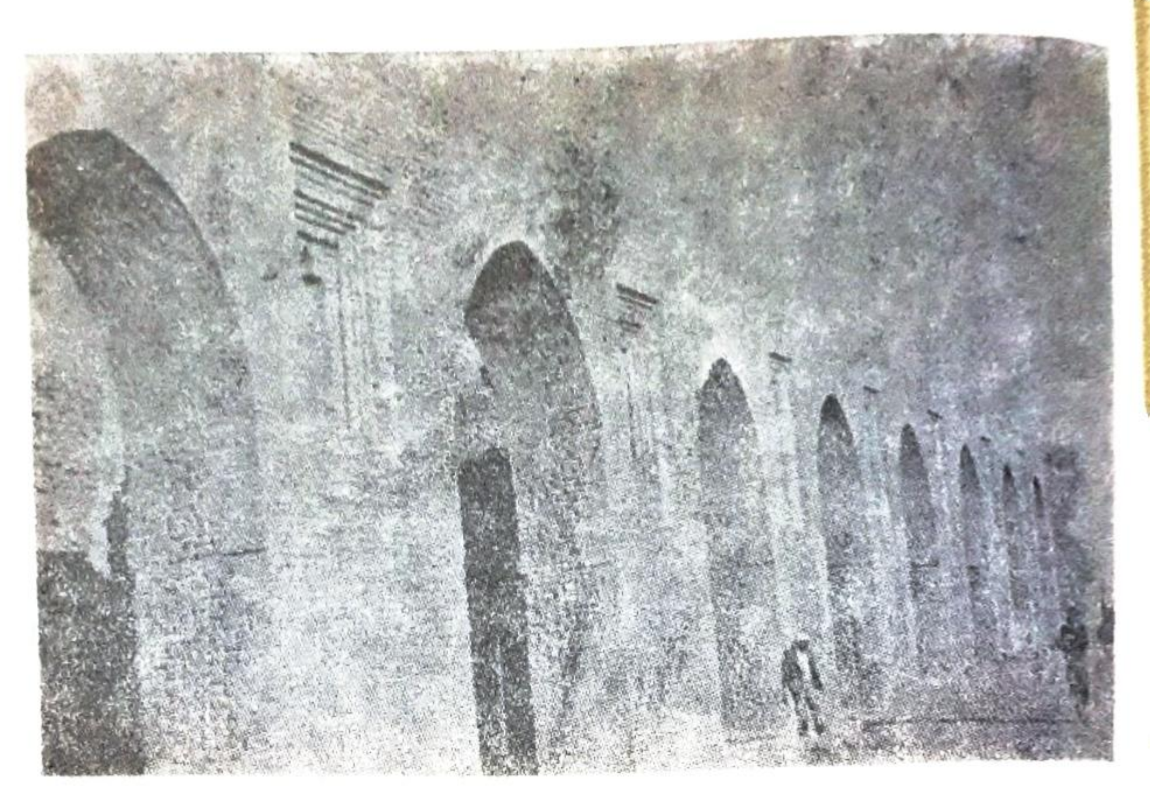
وقد كانت ارضية الصحن مبلطة بطابوق من النوع المصقول ، ومعدل حجم الطابوقة الواحدة ٣٣ × ٣٣ × ٤ سنتمتراً (٢٨٢) .

والقسم العلوي من الدعامات التي تؤلف الواجهات الاربع للصحن مزخرف بشكيات [شكل ـ ٥٤] قوام زخرفة كل واحدة منها اطار ذو ثلاثة خطوط الداخل منها مدور ويتوسطها تجويف يمتد من الاعلى الى الاسفل [شكل ـ ٥٥] ، وطول المشكاة الواحدة ١٥ر٣ م وعرضها ٧٠ر١ م(٢٨٣) . وهذه المشكيات معمولة بعناية وعلى ارتفاع متساوٍ ويبدو انها كانت في الاصل مطلية بغطاء من الجص [شكل ـ ٥٦] .

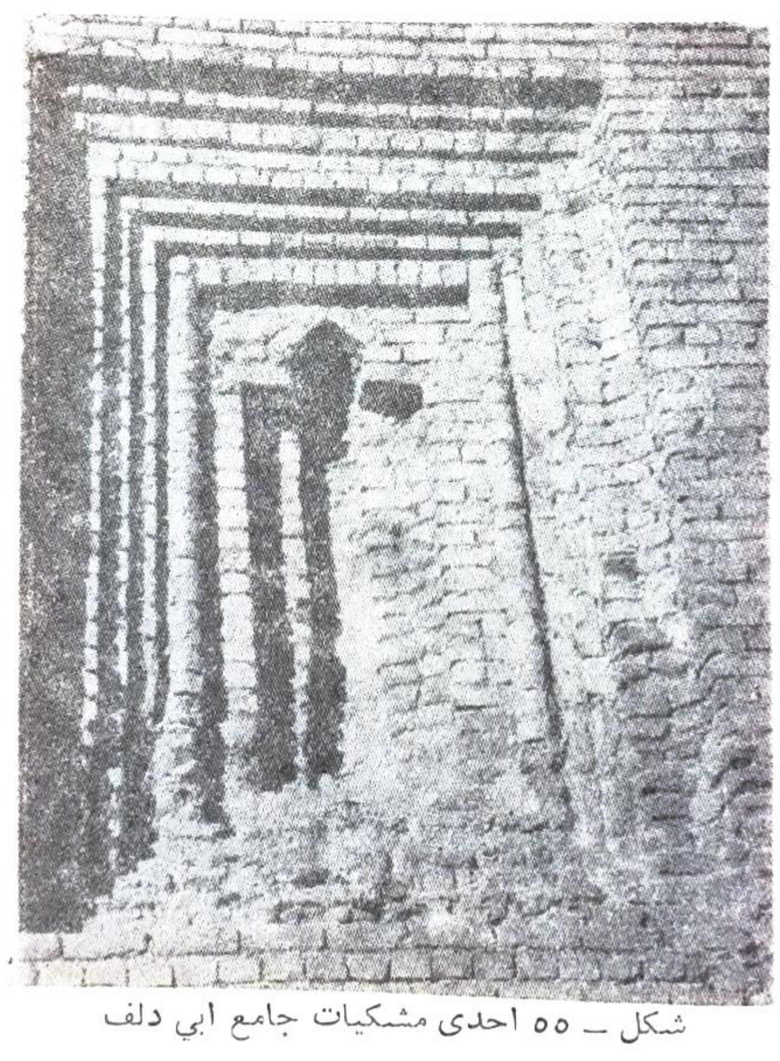
وجميع الاقواس مشيدة من حلقتين من الآجر المربع ، وقد رُصف آجر الحلقة الداخلية ووجهه الى الخارج في حين ان آجر الحلقة الخارجية قد جعلت حافته الى الخارج ، وثخن الحلقة الواحدة ، آجرة ونصف آجرة ، أي ان عرضها ٥٠ سنتمتراً .

---

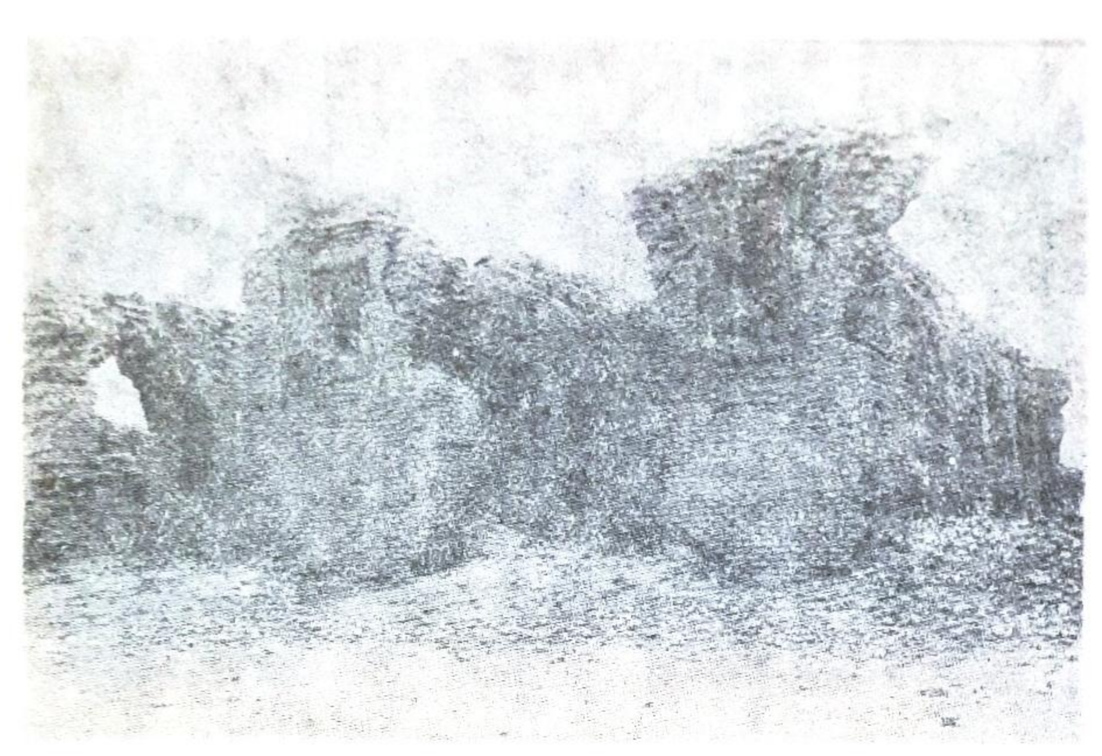
(٢٨٢) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٩ .
(٢٨٣) نفس المرجع ، صفحة ٦٧ .



شكل ـ ٥٤ الواجهة الشمالية لجامع ابي دلف مزينة بالمشكيات بعد الصيانة



شكل ـ ٥٥ احدى مشكيات جامع ابي دلف



شكل ــ ٥٦ مشكيات جامع ابي دلف قبل الصيانة

وشـــكل الاقواس من طراز ذوات الأربعة مراكز ، ونلاحظ مثل هـــذه الاقواس في مبانٍ اخرى بسامراء اهمها الاقواس الباقية فى قصر الخليفة ، وهي تشبه ايضاً اقواس حصن الاخيضر فى البادية الى الغرب من كربلاء[٢٨٤] .

السقف

ان مابقى من الاقواس وما يعلوها من بناء لايدل على ان السقف كان معقوداً بالآجر لعدم وجود التقوسات التي تبدأ منها العقادات ، وقد لوحظ عند نقطة تعلو نحو ٥٠ سنتمتراً عن ذروة القوس فى جهات متعددة من اروقة الحرم الباقية بهذا الارتفاع ثقوباً فى استقامة واحدة يتراوح ابعاد بعضها عن بعض مابين ٦٠ و ٧٠ سنتمتراً وقطر الثقب بين ٢٠ و ٢٥ سنتمتراً ، ويستنتج من وجود هذه الثقوب ، ان السقف كان مقاماً على جسور من الخشب ، ولم يعثر في اثناء التنقيب على اثر للخشب ، وليست لدينا دلائل تدل على ماكان فوق جسور الخشب كالقصب والحصران وغيرهما[٢٨٥] .

(٢٨٤) نفس المرجع ، صفحة ٦٧ .

(٢٨٥) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٨ .

ويذكر « هرزفيلد » ان السقف كان مغطى بجدوع النخل موضوعة على اعمدة ، وفوق الجذوع غطاء من الحصران وعلى هذه غطاء سميك من الطين[٢٨٦] .

ولكن السقف المسطح لم يكن مفيداً في جو ممطر مثل جو العراق . إذ ان مثل هذا السقف لايسمح للماء بالجريان .

ولذلك فأن «هرزفيلد» يشير الى أنه يجب ان يكون في السقوف المسطحة ميل خفيف لكي يجري الماء فيها[٢٨٧] .

ويبرز سؤال وهو لماذا كان الجناح المجاور للحرم والموازي للجدار الجنوبي اعرض من باقي الأروقة ، حيث بلغ عرضه ٦ر١٠م وقد كان يظن في السابق ان هذه الفسحة لم تكن مسقوفة وانها تركت مكشوفة الى السماء[٢٨٨] . الا ان تنقيبات « هرزفيلد » في عام ١٩١٢ ــ ١٩١٣ دلت على ان صف القواعد التي تقسم الجناح الى قسمين ، وعرض كل قسم يبلغ ٣٨ر٤م ، كانت لغرض الأعمدة التي يقوم عليها السقف[٢٨٩] .

المحراب

لم يكن موضع المحراب واضحا الى وقت مبكر من هذا القرن . وقد رأت « مس بل » في عام ١٩٠٩ كسرة من الطابوق الفخور في وسط الجدار الجنوبي ، وهي تعتقد بانها يمكن ان تكون تجويف المحراب . ولكنها اقترحت ايضا أنها ربما تكون باباً يؤدي الى بناء صغير او الى دهليز[٢٩٠] .

وقد شاهد « هرزفيلد » نفس الفتحة في وسط محور الحائط الجنوبي وميزها على انها المدخل الرئيسي لهذا الجامع[٢٩١] . ومن المحتمل ان

---

(٢٨٦) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 75.

(٢٨٧) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 75.

(٢٨٨) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٨٩) Herzfeld, art. "Mitteilung über die Arbeiten der Zweiten Kampagne Von Samarra", Der Islam, V, p. 204.

(٢٩٠) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٩١) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 72.

يكون هذا الالتباس قد نشأ من العرض غير الاعتيادي للجناح الذي لم يكن مألوفاً في تخطيط المساجد الاسلامية . وقد ادركت « مس بل » هذه الصعوبة ، وهي اذا كان هذا الجناح مكشوفاً الى السماء فمن غير المحتمل ان يكون موضع المحراب قد وضع فيه ، لذا كان عليها ان تضع بابا في وسط الجدار الجنوبي كما هو الحال في جامع سامراء الكبير(٢٩٢) .

ويبدو ان نفس الصعوبة واجهت « هرزفيلد » ، فقد ظهر متحيراً حول موضع المحراب بيد انه ذكر ان هذه المشكلة يمكن ان تحل بالحفر(٢٩٣) .

وقد اوضحت التنقيبات التالية ان موقع المحراب في منتصف جدار الجامع الجنوبي ، وينحرف عن الاتجاه الجنوبي بمقدار ٥ر١٢ درجة غرباً ، وهو مشيد بالآجر ، يبرز ظهره عن جدار الجامع من الخارج بمقدار ٤٤ر٢ متر . وما تبقى من البناء يدل على وجود محرابين [شكل ــ ٥٧] احداهما في ظهر الآخر شيدا في دورين مختلفين وليس في الامكان تدوين تاريخ هذين الدورين بالنظر لاشغال الجامع مدة قصيرة لاتستحق التجديد . ولكن من المحتمل ان الاول مشيد عند التأسيس . وبعد اكمال تشييد الجامع وجد من الضروري تصغيره لاسباب ربما كان من جملتها وضع المنبر الذي يشغل جزءاً من المحراب الاول(٢٩٤) .

ولقد بقى من ارتفاع المحراب الاول ٤٥ر٢م ، ومن المحراب الثاني ٦٠ر١م ، أي ان الفرق بين ارتفاعيهما ٨٥ سنتمتراً ، ولو لم يكن هذا الفرق حاصلاً لكانت معرفة كون المحراب مشيداً في دورين امراً متعذراً(٢٩٥) . [شكل ــ ٥٨] .

---

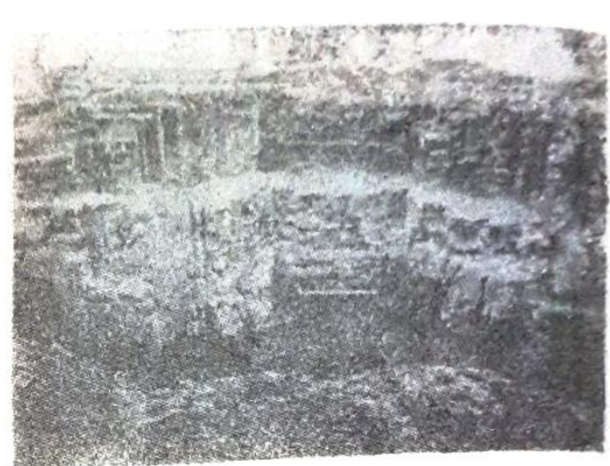
(٢٩٢) Bell, Amurath to Amurath, p. 245.

(٢٩٣) Herzfeld, Archäologische Reise., 1, p. 72.

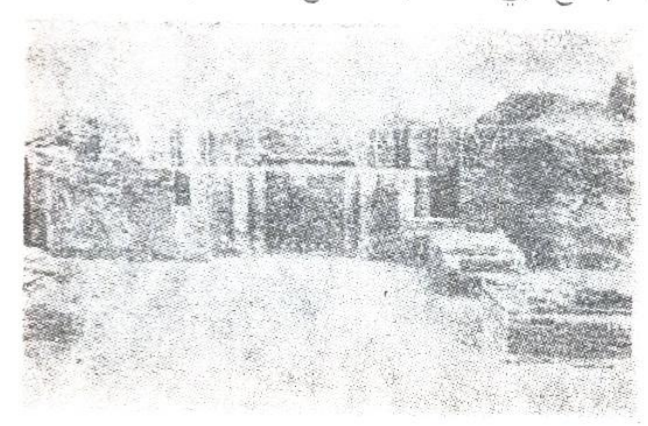
وعلى كل حال ، فان هرزفيلد كان مقتنعاً بأن المحراب كان في منتصف الجدار الجنوبي للجامع اذ ان « مس بل » اشارت في كتابها الموسوم Palace and Mosque at Ukhaidir, p. 155. الى ان الدكتور هرزفيلد اخبرها بانه قد تأكد له بالتنقيب وجود المحراب في وسط جدار القبلة حيث كانت هي قد وضعت في مكانه بابا .

(٢٩٤) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحات ٦٧ ــ ٦٨ .

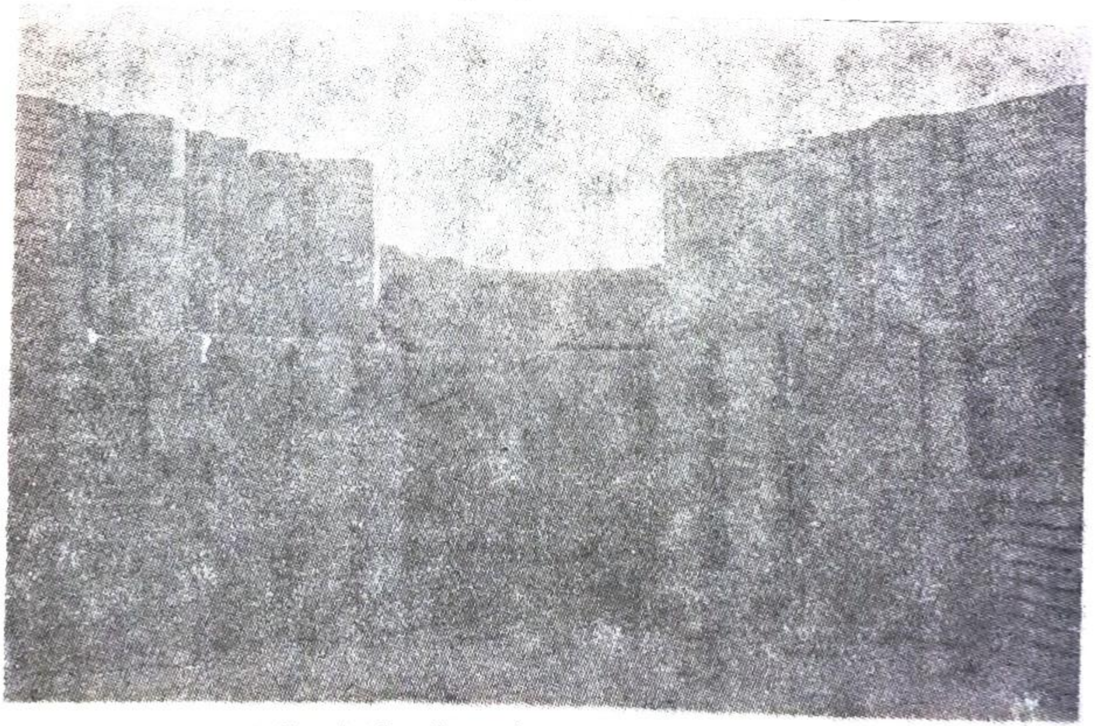
(٢٩٥) نفس المرجع ، صفحة ٦٨ .



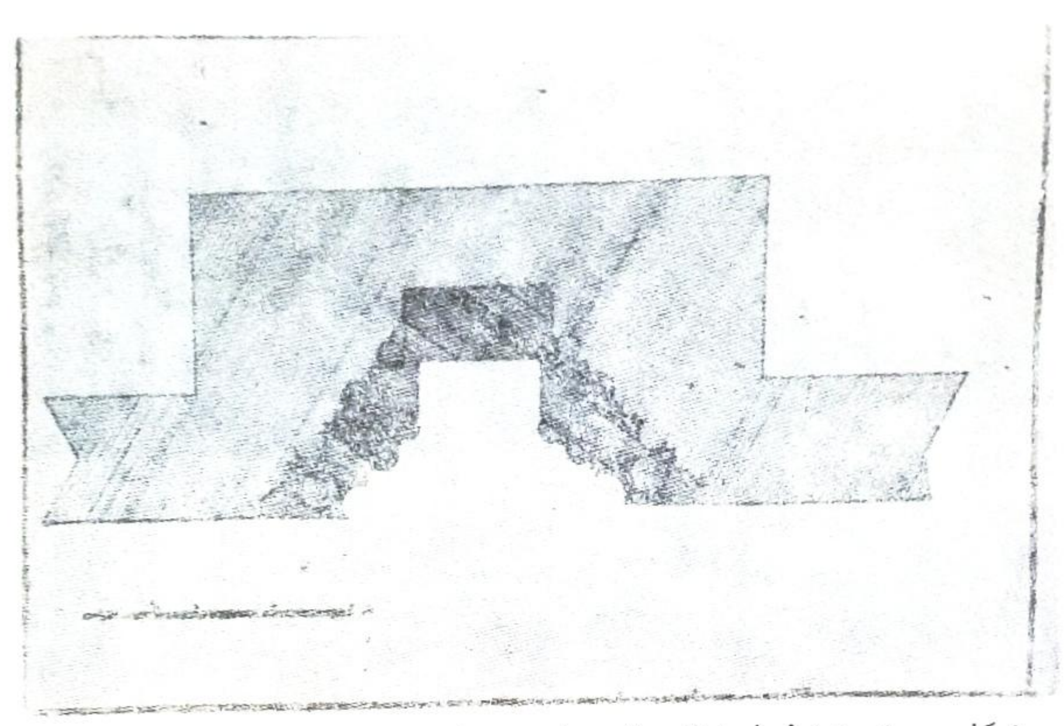
شكل ـ ٥٧ أ محراب جامع ابي دلف بعد رفع الانقاض



شكل ـ ٥٧ ب محراب جامع ابي دلف بعد الصيانة



شكل ـ ٥٨ محرابا جامع ابي دلف الاول والثاني



شكل ــ ٥٩ تخطيط افقي للمحرابين . لبشير فرنسيس ومحمود علي

وسعة تجويف المحراب الاول ٧٤ر٥م ، وعلى جانبيه مدورات ومقعرات [شكل ــ ٥٩]، وهما يضيقان كلما قربا من عمق المحراب حتى تصير السعة ٩٨ر١م ، ويصير عمق تجويفه متراً واحداً . غير ان عمقه الكلي بالابتداء من الوجه الداخلي لجدار الجامع ١٢ر٣م . اما المحراب الثاني فسعة تجويفه ٦٠ر٣م ويضيق ايضاً نحو الداخل حتى تصبح ٦٠ر١م وعمق تجويفه ٧١ر٠م ، واذا اضيف اليه عمق جانبيه فيبلغ عمقه ٩٠ر١م(٢٩٦) .

المنارة

ان منارة ابي دلف تشبه منارة سامراء ، وقد وصفت من قبل « روس » بانها صورة مصغرة للملوية(٢٩٧) . على الرغم من ان قمتها قد تساقطت(٢٩٨)

---

(٢٩٦) نفس المرجع ، صفحة ٦٨ .

(٢٩٧) The Journal of the Royal Geographical Society, XI, p. 129.

(٢٩٨) اشار ريفورا في كتابه Moslem Architecture, p. 147 أن القسم العلوي لهذه المنارة قد سقط في عام ١٩١٨ .

[شكل ٦٠] ، فان « فيولة » رأى هـذه المنارة من مسـافة بعيدة وهو في طريقه الى هذا الجامع(٢٩٩) .

وتقع على استقامة المحور المعترض شمال البناء الامامي على بعد ٣٧ر٩ متر من واجهة الجدار الشمالي(٣٠٠) [انظر شكل ـ ٤٥]، في الزيادة الشمالية.



شكل ـ ٦٠. منارة جامع أبي دلف قبل الصيانة

---

(٢٩٩) Viollet, Description du Palais de al-Moutasim Fils d, Haroun al-Raschid a Samarra et de quelques monuments arabes peu connus de la Mesopotamie p. 12.

(٣٠٠) الرقم المذكور اعلاه نسبة الى قياسي . ويذكر « هرزفيلد » في مؤلفه الموسوم Archologische Reise., 1, p. 72 البعـد ٥٠ر٩ متر .
ويعطي كريزويل في كتبه
E.M.A., 11, p. 281, S.A.E.M.A., p. 285, E.I. 12, 1, art. "Architecture" p. 621.
البعد ٦٠ر٩ متر ، ويشير بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر، صفحة ٦٩ الى البعد ٥٠ر٩ ، وغازي رجب ، نفس المصدر ، صفحة ١٦١ يذكر البعد ٦٠ر٦ .

وقاعدتها مربعة الشكل تقريبا وطول ضلعيها الشمالي والجنوبي ١٠٫٦٣ متر ، و ١٠٫٨٣م طول ضلعيها الشرقي والغربي[٣٠١] وترتفع عن مستوى الارض ٢٫٧٠م[٣٠٢] . وكل وجه من هذه القاعدة مزين بصف من ١٣ مشكيات [الشكل ــ ٦١] . عدا الوجه الجنوبي ففيه عشر مشكيات ، وذلك لوجود باب المصعد في وسطه الذي يشغل موضع ثلاث مشكيات ، وارتفاع المشكاة ١٫٥٥ متر وعرضها ٤٥ سنتمتراً .

ويختلف الضلع الجنوبي للقاعدة عن سائر اضلاعها ، بوجود مدخل يفضي الى درج يصعد منه حتى مستوى سطح القاعدة ، ويبلغ عرض المدخل ١٫١٥م [شكل ــ ٦٢] . ويتلو المدخل سلم من اربع درجات في الجهة الداخلية ثم تتجه الى بدن الملوية من غير ان تنعطف الى الحلزون ، [شكل ــ ٦٣] . والى اليسار وعند قمة المدخل هناك بناء من الآجر طوله ثلاثة أمتار ويتصل بالقسم الحلزوني [شكل ــ ٦٤] . ومن المحتمل ان هذا البناء كان على جهتي المدخل واضيف لملء الفراغ الذي حدث بين دعامتي الرواق والملوية[٣٠٣] .

---

(٣٠١) الارقام المذكورة اعلاه هي نسبة الى قياساتي ، ويذكر « هرزفيلد » في كتابه Archäologische Reise., 1, p. 72. القياس انه مربع قياس كل ضلع فيه ١٠٫٩٠ متر ، ريفورا في

Moslem Architecture, p. 147.

يقدم الابعاد ١٢٫٥٠ × ١٠٫٨٠ متر ، كريزويل في كتبه

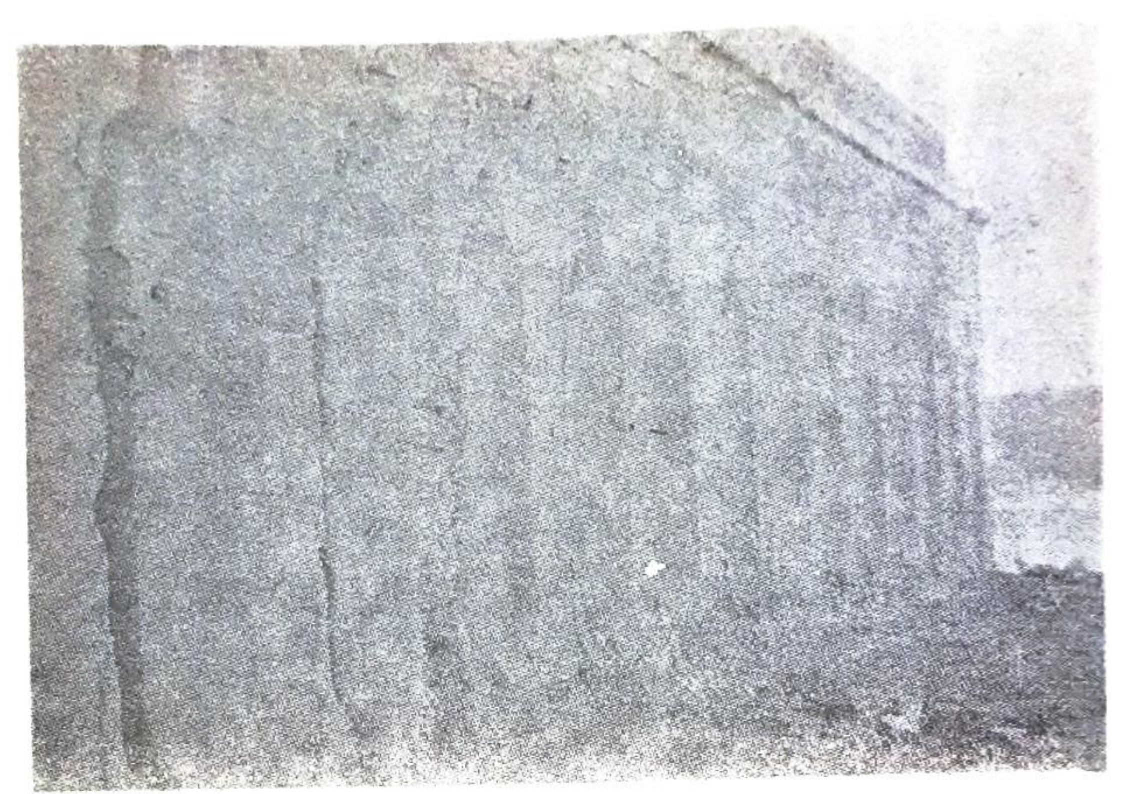
E.M.A., 11, p. 281, S.A.E.M.A., p. 285, E.I. 12, art. ''Architecture'' p. 621.

يشير الى طول ضلع القاعدة المربعة ١١٫٢٠ متر ، بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٩ يذكران الابعاد ١٠٫٨٧ متر للضلعين الشمالي والجنوبي و ١٠٫٦٠ متر للضلعين الغربي والشرقي ويذكر غازي رجب ، نفس المصدر ، صفحة ١٦١ الابعاد ١٠٫٦٠ متر للضلعين الشمالي والجنوبي و ١٠٫٩٠ متر للضلعين الشرقي والغربي .

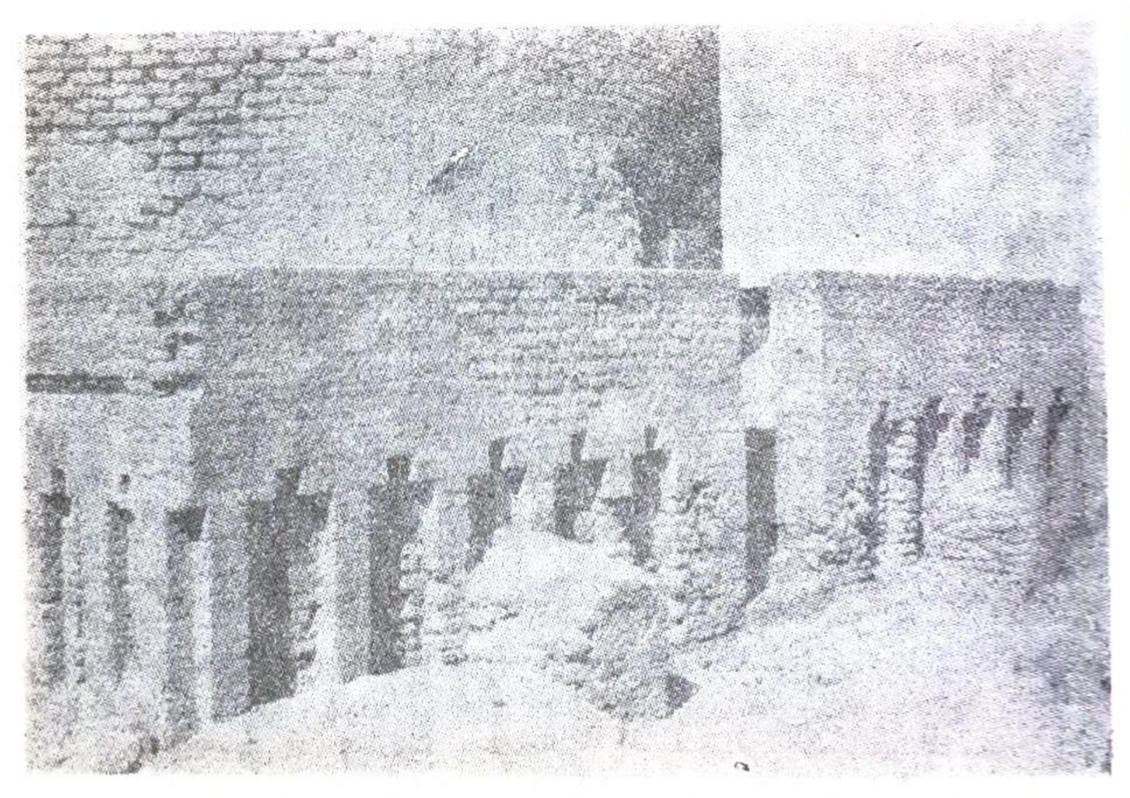
(٣٠٢) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٩ ، كريزويل في E.M.A., 11, p. 281, S.A.E.M.A., p. 285.

يذكر ان الارتفاع هو ٢٫٥٠ متر ، دي پيليه ، نفس المصدر ، صفحة ١٢٣ والشكل ٨٧ فيشير الى الرقم ٢٫٥٠ متر ايضا .

(٣٠٣) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحة ٦٩ .



شكل ـ ٦١ مشكيات الواجهة الشمالية لقاعدة المنارة



شكل ـ ٦٢ مدخل المنارة من الجنوب الغربي (من الدكتور غازي رجب محمد)





شكل ــ ٦٣ الدرجات الاولى لمدخل المنارة

وبما انه لايوجد اثر لاي بناء اضافي يمكن ان يشاهد فى الجانب المقابل من هذا المدخل ، فمن الصعوبة الاعتقاد ان البقايا كانت جزءاً من قوس او عقدا لتغطية المدخل . اذ ان بناء مثل هذا لايمكن ان يحمل بدعائم فى جهة واحدة ، وزيادة على ذلك ، فأنه ليس هناك حاجة لتغطية هذا المدخل .

ومن المحتمل ان هناك رواقا قد اضيف الى القسم الشمالي من الجامع لمجابهة زيادة عدد المصلين ، ولقد تأكد هذا من وجود عمودين

[انظر شكل ٦٢ وشكل ٦٤] ملتصقين بقاعـدة المنارة ، ويربط هذا الرواق بين المدخل الاوسط للجدار الشمالي وقاعدة المنارة •

ولقد زودتنا التنقيبات الاخيرة بتأكيدات اكثر ، اذ ان نتيجة افراغ الانقاض بين الجامع والمئذنة أظهر بقايا قواعـد دعائـم رواق عرضـه ١٣ر٥ متر ، يمتد من باب الجامع الشمالي حتى قاعدة المئذنة • ان هـذه الزيـادة اضيفت الى الجامع بعد اكماله بدلالة انها غير متعاشقة مع السور ودعائمها اضعف بكثير من دعائم الجامع[٣٠٤] •

ويرتفـع القسـم الحلزوني فوق القاعدة الـى علو ٣٠ر١٦م ، فيكون ارتفاع الملوية عن مستوى التبليط حتى القمة المهدمة نحو ١٩ متراً[٣٠٥] •

قبل اعمال الصيانة كان المنحدر الحلزوني يـدور ثـلاث دورات كاملة باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة اما الدورة الرابعة مع القمة فقد اضيفت الى المنارة عند تجديـد البناء الـذي قـام به علماء الآثـار العراقيـون • [شكل ــ ٦٥] •

الزيادات

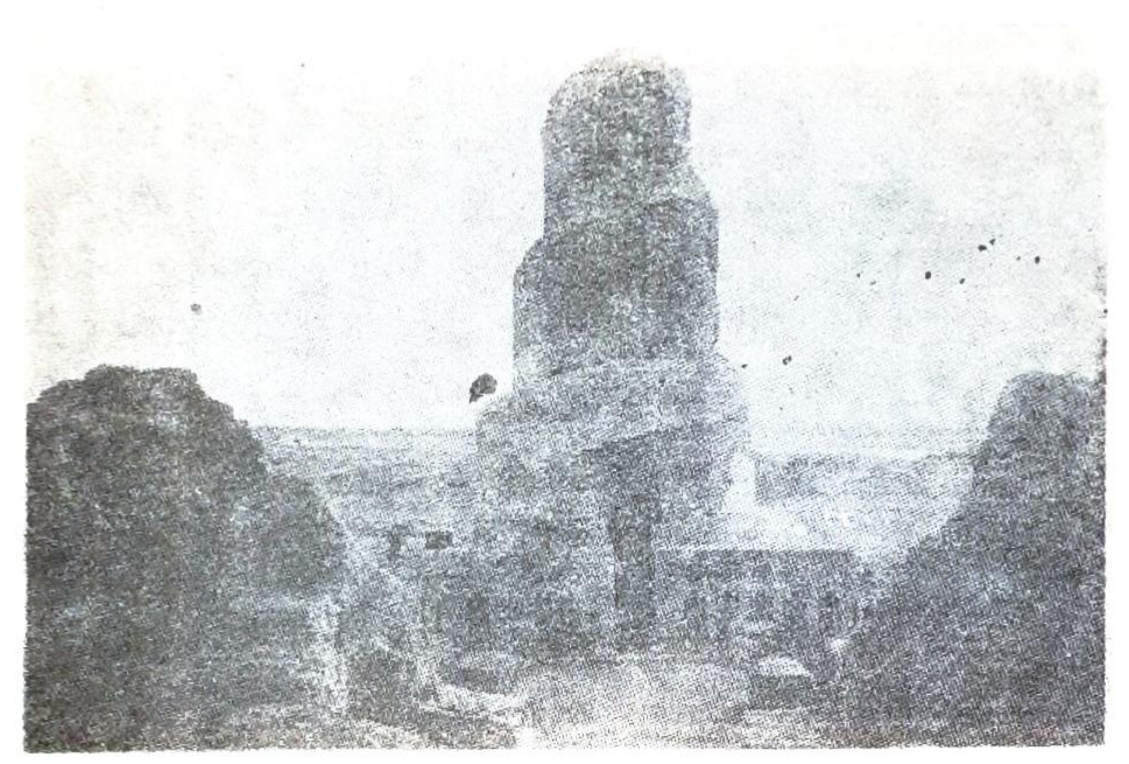
بينت التنقيبات السابقة التي قام بها « هرزفيلد » ان الجامع وبضمنه المنارة كان محاطا من جهات الشرق والشمال والغرب بفسحة مكشوفة عرضها ١٠٨ خطوات ، وهذه المساحة نفسها كانت محاطة بقاعات عمقها ٤٢ خطوة [شكل ــ ٦٦] ، مبنية من اللبن ويمكن تتبع أثرها في المخطط تقريباً • وعلى المحور الوسطي للجامع يوجد طريق بعرض (١٢) خطوة يمر قرب واجهة رواق من الغرب الى الشرق ، ويظهر انه وجد بجانب رابية واطئة الى الجنوب ، وخلف هذه الرابية تقع مساحة مستوية ذات امتداد منخفض ربما تنتمي الى الطريق • ويبدو ان هذا الطريق يمتد بخط مستقيم الى مكان قرب النهر • لـذا فأن تخطيط الجامع كله يشغل مساحة ٣٨٠ × ٣٨٠ متراً[٣٠٦] •

---

(٣٠٤) نفس المرجع ، صفحات ٦٩ ــ ٧٠ •

(٣٠٥) نفس المرجع ، صفحة ٦٩ •

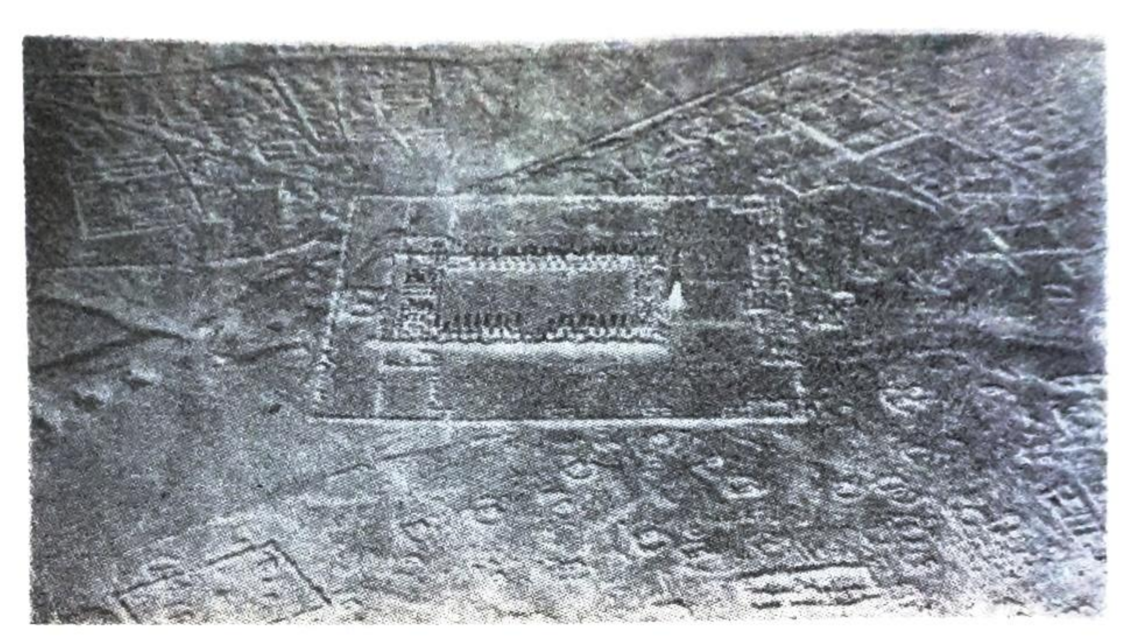
(٣٠٦) Herzfeld, Archäologische Reise, I. p. 73. ولكن بعد ذلك في عام ١٩١٢ ــ ١٩١٣ حيث قام كل من « هرزفيلد » و « سارة » بتنقيباتهما في هذا الجامع ، اعطيا قياسا آخر ، فأشارا الى أن كل مخطط الجامـع ٣٥٠×٣٥٠ مترا • انظر : Mitteilung., p. 204.



شكل ـ ٦٤ منارة جامع ابي دلف من الجنوب



شكل ـ ٦٥ منارة جامع ابي دلف بعد الصيانة (من الدكتور غازي رجب محمود)



شكل ــ ٦٦ منظر جوي لجامع ابي دلف يوضح الزيادات

وفي عملية تصفية الانقاض التي قامت بها مديرية الآثار العراقية القديمة ، بين المنارة والجامع ظهرت بقايا قواعد اعمدة . وهذه القواعد تحيط بثلاث جهات من الجامع وتمتد على طول الجهة الشمالية وتبرز نحو الخارج بمسافة ٨ر١٠م ، ولكن عند اتصالها بجدار الساحة المحيطة بالمئذنة يصبح امتدادها ٤٥ر٩م . اما الجهتان الشرقية والغربية فتمتدان باتجاه الشمال والجنوب حتى نهاية الباب الخامس ، ومقدار بروزها عن الضلعين المذكورين ٣ر١٠م . ان هذه الزيادات اضيفت الى الجامع بعد اكماله بدلالة انها غير متعاشقة مع السور ، ودعائمها اضعف بكثير من دعائم الجامع ، وقد وجدت بعض الدعائم المحاذية لقاعدة المئذنة لصق المشكيات العسى التي كانت تزين قاعدة المئذنة .

ويستنتج من ذلك ، ان الجامع ضاق بالمصلين بعد الصلاة فيه فلجأوا الى هذا التوسع . غير ان الحوادث التي الجأت السكان الى ترك المدينة الجعفرية جعلت جامع ابي دلف اقل شأناً من قبل فلم تبق حاجة الى هذه الزيادات فتوقف العمل فيها . ولقد دلت اعمال تخلية الانقاض على ان بعض الدعائم لم يتم بناؤها .

يبلغ معدل قطاع دعائم الجهتين الشرقية والغربية ٦ر١ × ٨٣ر٠ م وهي على صفين ، غير ان استمرارها ينقطع عند الابواب بأروقة يتعاكس اتجاه تسقيفها مع الأروقة الباقية ، وتقوم كل جهة من هـذه الأروقة على دعائم : الاولى لصق جدار الجامع والوسطى منها على شكل T والثانية على شكل

وسعة الأروقة الممتدة من الابواب ٢ر٥م ومعـدل سعة الأروقـة الباقية (٣٥ر٤)م • اما الدعائم التـي على الجهة الشـمالية فمعدل قطاعهـا ١٥ر٢ × ١ م وتشكل رواقين يمتدان بامتـداد الجهة الشـمالية ، معـدل فتحتها ٨٠ر٢م(٣٠٧) •

٧ـ ماهي الفترة التي سكنت بها سامراء ؟

هكذا كان الحال في سامراء عند نهاية حكم الخليفة المتوكل ، وقـد جعلها خمسـة خلفاء آخرين عاصمة لهم وهـم : المنتصر (٢٤٧ ــ ٢٤٨ هـ / ٨٦١ ــ ٨٦٢ م) ، المسـتعين (٢٤٨ ــ ٢٥٢ / ٨٦٣ ــ ٨٦٦م) ، المعتـز (٢٥٢ ــ ٢٥٥هـ / ٨٦٦ ــ ٨٦٨ م) ، المهتدي (٢٥٥ــ ٢٥٦هـ /٨٦٨ــ٨٦٩م) والمعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩هـ / ٨٦٩ ــ ٨٩٢م) .

وبالاضافة الى الاعمال المعمارية لكل من المعتصم والمتوكل ، فأن بعض القصور قد اقيمت لسكنى مختلف الخلفاء والامراء واتباعهم •

ومن الضروري الاشارة الى ان سامراء كانت من اغرب العواصم التي شيدت ، وتكمن هذه الغرابة في انها بنيت اصلا لاقامة الحرس الاتراك للخليفة المعتصم ولكي تكون عاصمة للامبراطورية العباسية عندما انتقل اليها الخليفة من بغداد عام ٢٢٠ هجرية (٨٣٥ م) •

وكما رأينا فأن سامراء لم تكن قديما اكثر من بقعة خالية من البناء الا من دير مسيحي ، ولكن في عام (٢٤٧ هجرية ــ ٨٦١ ميلادية) انتشر البناء والشوارع لمسافة ٣٤ كيلومتراً ، ابتداءً من موضع يبعد ثمانية كيلومترات الى الجنوب من المدينة الحالية وانتهاء عند موضع يبعد بمقدار ستة وعشرين كيلومتراً الى الشمال من المدينة الحالية •

---

(٣٠٧) بشير فرنسيس ومحمود علي ، نفس المصدر ، صفحات ٦٩ ــ ٧٠ .

وبقيت سامراء عاصمة للامبراطورية العباسية اثناء حكم المعتصم والواثق ، ولكن عندما ولي المتوكل الحكم بنى لنفسه ولاتباعه في أواخر حكمه مدينة المتوكلية ، وقد ذكر ياقوت أنه لما انتقل المتوكل من سامراء الى الجعفرية انتقل معه عامة اهل سامراء حتى كادت تخلو(٣٠٨) .

وعندما اغتيل المتوكل في عام ٢٤٧ هجرية وتولى بعده ولده المنتصر ، اشار اليعقوبي انه « انتقل الى سر من رأى وامر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل ويحملوا النقض الى سر من رأى ، وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه واسواقه فى أسرع مدة وصار الموضع موحشا لا انيس به ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأنها لم تعمر ولم تسكن »(٣٠٩) .

واتخذت سامراء ثانية مقراً للخلافة العباسية من عام ٢٤٧ للهجرة ـ ٨٦١ ميلادية حتى ٢٧٩ هجرية ـ ٨٩٢ ميلادية اثناء حكم خمسة خلفاء : المنتصر ، المستعين ، المعتز ،المهتدي ، والمعتمد ،ولكن آخرهم ترك سامراء وعاد ليتخذ من العاصمة القديمة بغداد مقراً له لستة اشهر قبل وفاته فى ٢٧٩ هجرية ـ ٨٩٢ ميلادية .

روى ياقوت بصدد ذلك : « الى ان كان آخر من انتقل الى بغداد من الخلفاء واقام بها وترك سر من رأى بالكلية كان المعتضد بالله امير المؤمنين فى التاج وخربت حتى لم يبق منها الا موضع المشهد ... ومحلة اخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامراء وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر اليها »(٣١٠) .

وهكذا كانت سامراء مقراً للخلافة العباسية لفترة تقرب من ٥٨ عاماً(٣١١) ، وقد انقطعت هذه الفترة فى عام ٢٥١ للهجرة (٨٦٥ للميلاد) حينما هرب الخليفة المستعين الى بغداد في محاولة فاشلة منه للهرب من خيانة الجند الترك(٣١٢) .

---

(٣٠٨) ياقوت ، معجم البلدان ٨٧/٢ .
(٣٠٩) اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٣٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ٤١٣/٤ .
(٣١٠) ياقوت ، معجم البلدان ١٩/٣ .
(٣١١) يشير اليعقوبي في البلدان صفحة ٤٣ بان الفترة كانت ٥٥ عاماً .
(٣١٢) Le Strange, Baghdad during The 'Abbasid Caliphate, p. 311

وبعد رحيل المعتمد والمعتضد الى بغـداد ، تشير النصوص التأريخية الى أن مدينة سامراء تركت مهجورة تماماً •

ومهما يكن من امر ، فأن عددا كبيرا من النصوص التأريخية تناولت ترك سامراء وان عددا من القصائد نظمت لتصف النمو السـريع والافـول الاسرع لهذه العاصمة العظيمة •

الباب الخامس

الأصول المعمارية للملوية وعلاقتها بمنارة ابن طولون



١ـ الأصول المعمارية للملوية

ان الشكل اللولبي في منارتي جامعي سامراء الكبير وابي دلف وسلمهما الحلزوني قد حظيا باهتمام خاص من قبل المؤرخين المحدثين وعلماء الآثار •

ولعل في الامكان تقسيم النظريات التي وضعت في السابق لتوضح شكل المنارة ، الى مجموعتين ، فالمجموعة الاولى ترى ان الشكل المعماري للملوية كان قد انحدر من شكل الزقورة القديمة للآشوريين والبابليين والسومريين •

ويبدو ان اقدم تأييد لهذه النظرية قد اعطى من قبل « ثيلمان » في عام ١٨٧٥[١] وفي وصفه للملوية يقول : « انها برج لاثر عظيم ظاهر ، ذات شكل فيه تقليد لبرج بابل القديم »[٢] •

وقد اتخذ هذا الاقتراح كأساس للآراء التي قدمها الكثير من المؤلفين والكتاب الذين اعقبوا « ثيلمان » منهم ، دي بيليه ، كوتيل ، مس بـل ، ريڤورا ، بيجون ، كونل ، يتريسا ، وكريزويل[٣] •

---

(١) Lycklama Nijeholt in Voyage en Russie and Caucase et en Perse, III, p. 380. كتب نيجولت في عام ١٨٧٤ بان الملوية تشبه برج بيزا ولكنه لم يقدم اي اقتراح او مقارنة .

(٢) Streifzüge im Kaukasue, p. 355; English Transl., Journey in The Caucasus, Persia and Turkey in Asia, II, p. 140.

(٣) دي بيليه في كتابه Prome et Samarra p. 115. ينسبها الى الزقورات الكلدانية ، كوتيل في بحثه The Origin and History of the Minaret, J.A.O.S., XXX, صفحة ١٤٥ يشير الى الزقورات البابلية ، مس بل في كتابها Amurath to Amurath, صفحة ٢٤٦ تشير الى المعابد الهرمية في بلاد آشور وبابل ، ريڤورا في مؤلفه Moslem Architecture, p. 147 وبيجون في History of Art, II, p. 220. فيشيران الى الابراج المدرجة لبلاد آشور وبابل ، كونل في كتابه Die Kunst des Islam النسخة الانكليزية بترجمة K. Watson بعنوان Islamic Art and Architecture. صفحة ٥١ فينسبها الى الابراج المدرجة

والمجموعة الثانية من الباحثين تعتقد ان شكل الملوية مشتق من « طربال غور » على مقربة من فيروز آباد [شكل ــ ٦٧][٤] .

ودراسة دقيقة لكل من الزقورات البابلية والآشورية وتلك التي اكتشفت فى فيروز آباد توضح بأن الآراء التي قدمها معظم الباحثين تخضع للنقاش ، اذ انه من الصعوبة بمكان الاعتقاد ان منارة جامع سامراء الكبير ومنارة جامع ابي دلف قد اقتبس هيكلهما وتخطيطهما مباشرة عن الزقورات . فلقد اقيمت هذه الزقورات عادة على مخطط مربع او مستطيل ، ذات سلالم قائمة بذاتها ترتفع الى القمة في الجانب الجنوبي او الشرقي ، بينما تكون هذه المنائر مدورة وذات سلم يرتفع لولبيا حولها .

وقد كشفت التنقيبات الاثرية عن عدد من الزقورات في بلاد مابين النهرين وفارس ، مثل زقورة عگرگوف[٥] وزقورة خورصاباد[٦] وزقورة بابل وبرج غور[٧] .

→

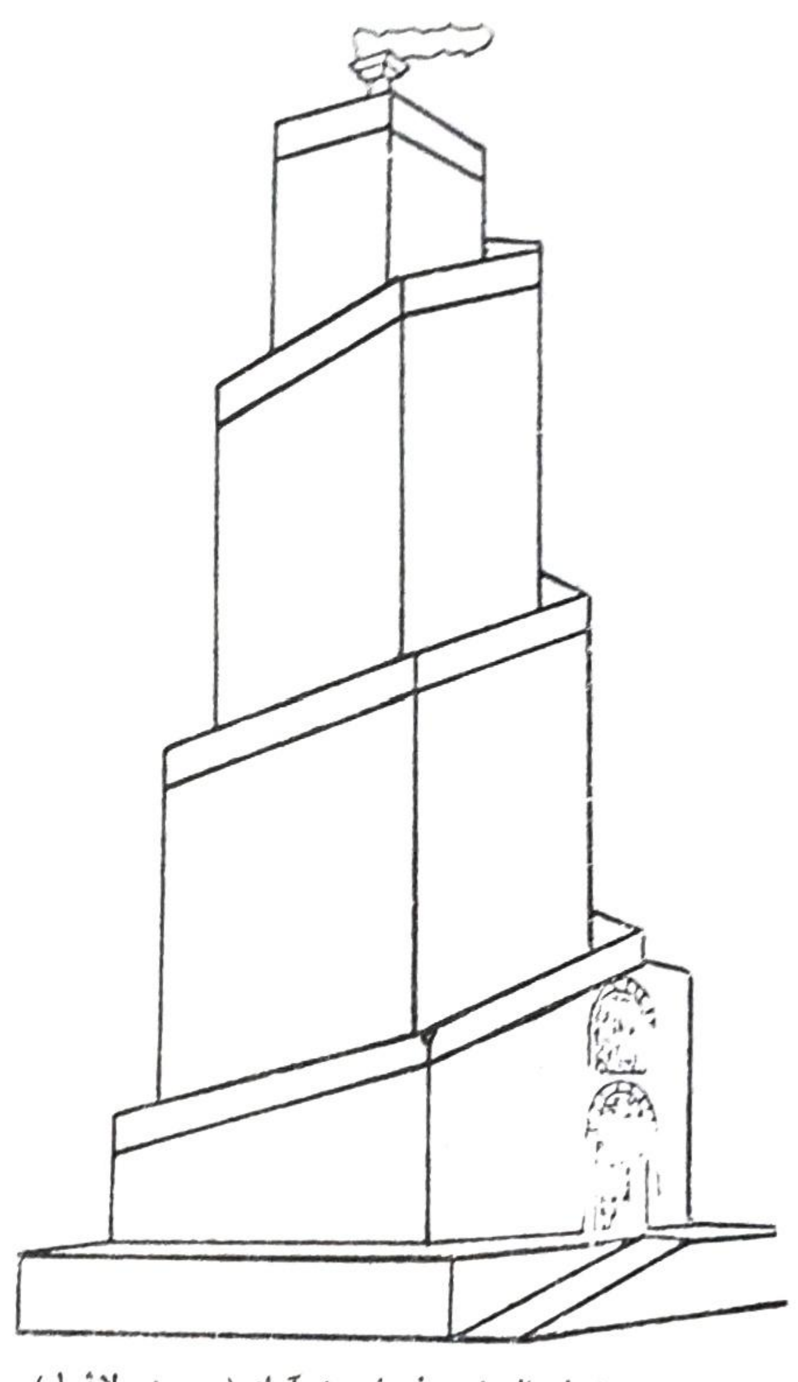
(الزقورات) والى المباني الصينية التي ترجع الى عصر تانك ، اما تيريسا في مؤلفه L'Art hispans Mauresque, صفحة ٣٠ فيشير الى الزقورات البابلية ، كريزويل في E.M.A.. 11, p. 264, S.A.E.M.A., p. 280. يشير الى برج بابل .

(٤) وكان هرزفيلد اول من طرح هذه الفكرة في كتابه Samarra صفحات ٢٨ ــ ٣٠ ، وكذلك في كتابه Archaologische Reise., الجزء الاول صفحة ٧٧ ، وكذلك في كتابه Erster. صفحة ١٢ ، وقد ترسم نظرية هرزفيلد هذه العالم Thiersch في مؤلفه Pharos صفحة ١١٢ و ١٤ ، اما Bulley في مؤلفه Ancient and Mediveal Art فيشير الى تاثير المعابد الآشورية والبابلية ، اما « ماركيز » في كتابه Manuel d, Art Musulman, 1 Architecture الجزء الاول صفحة ٣٩ فيشير الى تأثير الزقورات الفارسية .

(٥) Parrot, Sumer, p. 314; Champdor, Babylon, p. 127.

(٦) Place, Ninive, 1, p. 137f.

(٧) Flandin and Coste, Voyage en perse, Text, p. 39, Dieulafoy, L'Art entique de la perse, IV, pp. 79-84.



شكل ـ ٦٧ طربال غور في فيروز آباد (عن ديولافوا)

وقد تم اختيار هذه الزقورات الأربع لتوضيح الفكرة التي اشـرنا اليها قبل قليل ، لان هذه الزقورات معروفة ومشهورة ولانها تمثل مختلف المناطق وكذلك مختلف العصور •

وسوف اذكر في ادناه ، خلاصة للوصف العام الذي قدمه المؤرخون وعلماء الآثار من دون توسع لاظهار الاغراض والاهداف التي شيدت من اجلها[8] •

فزقورة عكر كوف ذات سلم ثلاثي لايزال قائما يطل على الانقاض[9] ، ترتفع الى ١٨٧ قدماً فوق مستوى السهل المنبسط[10] اما زقورة خور صاباد، فلاتزال انقاضها في ثلاثة ادوار واضحة وسليمة ، اكتشفت من قبل « بلاس » الذي وجدها تشكل مربعا كاملا طـول ضلعه ١٠ر٤٣م • وعند الزاويـة الجنوبية سـلم ، عرض كل درجـة فيه متـران وعمقهـا ٨٠ سـنتمتراً وارتفاعها ٥ سنتمترات ، وهو يمتد على طول جانب واحد ويلف الزاوية ثـم يرتفع ماراً بجميع الزوايا بالتعاقب حتى يجد المنقبون انفسهم ثانية عند النقطة التي بدأوا منها ، ولكن اعلى بـ ١٠ر٦م • وجوانب البـرج مزخرفة بسلسلة من النتوءات والتجاويف (الطلعات والدخـلات) ، وعند الحافة الخارجيـة للسلم توجد آثار سور كانت في حالة حفظ جيدة في موضعين •

ويستمر السلم يدور حول البرج في إتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة كما في ملوية سامراء ، وارتفـاع كل طبقة من هذه الطبقات ١٠ر٦م ، وقـد

---

(٨) لمعرفة الغرض من بناء الزقورات يراجع :

Saggs, The Greater that was Babylon, pp. 33 and 355; Parrot, Op. cit., p. 98; Hocke, Babylonian and Assyrian religion, p. 90.

(٩) Parrot, Op. cit., p. 314.

(١٠) Champdor, Op. cit., p. 127.

ســـت لتكون مع بقايا الطبقة الرابعة ، وجانب كل طبقة اقل من الطبقة التي تحتها بـ ٤ أمتار بسبب اقتطاع مترين للسلم[١١] .

ويظهر من هذا الوصف انه من غير المحتمل ان تكون زقورة عگرگوف قد استخدمت كنموذج للملوية ، اذ انه ليس هناك أي تشابه واضح بينهما .

والزقورة الثانية ، هي زقورة خور صاباد في العراق ، ويبدو انهـا الزقورة الوحيدة التي لها اسلوب سامراء كما يوضح بلاس[١٢] . وعلى كل حال ، فأن التصميم الذي اعاده بلاس للزقورة لم يحظ بالموافقة حيث انتقد من قبل گولدويه[١٣] الذي يعتقد بأن بلاس قد سـمح لخياله ان يذهب به بعيداً . ولم يعثر على بناء مشـابه لاسناد رأيه ، ويقول « بلاس » مؤكداً ، كما أشار كريزويل ، أنه كان يتوقع أن يجد بناء دائريا[١٤] .

والمثال الثالث هو برج بابل ويدعى بـ « أتيمنا نكي » (وتعني بيت أساس السماء والارض)[١٥] . ويعتبر من افضل الزقورات المعروفة ، وكان البرج قد شيد فى بلاد مابين النهرين القديسة فى الالف الثالث قبل الميلاد[١٦] . وقد ذكرت قصة برج بابل فى سفر التكوين ، ومن الواضح انها تشير الـى زقورة بابل[١٧] .

---

(١١) Place, Ninive, 1, pp. 137-148.

والوصف المذكور اعلاه مقتبس من كريزويل في مؤلفه

E.M.A., 11, p. 262.

(١٢) Place, op. cit., 1, pp. 137-148.

(١٣) Die Temple Von Babylon, p. 65; Dombart, art., "Der Babylonische Turm", Alt.O., XXIX, Taf. 1-4.

(١٤) Creswell, E.M.A., 11, p. 262.

(١٥) Parrot, Nineveh and Babylon, p. 228; Champdor, Op. cit., p. 127.

(١٦) Chmpdor, Op. cit., p. 127.

(١٧) Bible, XI, 1-9.

قاست بابل الكثير من غزوات الفرس ، فقد استولى عليها « كورش » مرتين في عامي ٥٣٨ و ٥٢٥ قبل الميلاد[١٨] • وليس هناك دليل يشير على ان برج بابل قد تهدم في ذلك الوقت • ولكن فيما بعد واثناء حكم «دارا الثالث» قام الفرس مع تنامي تعصبهم لدينهم الزرادشتي بتهديم عدد من المعابد فى بابل ويحتمل ان يكون البرج العظيم من ضمنها[١٩] •

ويظهر ان البرج اصبح خرابا على يد « حشوّيريش » قبل ان تتهدم الاجزاء الاخرى من المدينة[٢٠] • إذ ثار « شمش ــ اربا » ملك بابل فى عام ٤٨٣ قبل الميلاد ، فأحاط الجيش الفارسي بالمدينة تحت قيادة « حشوّيريش » واحتلها[٢١] •

ومن خلال هذه الحقيقة التاريخية، يظهر ان برج بابل لم يكن في حالة جيدة وقت زيارة « هيرودوت » عام ٤٥٨ قبل الميلاد للبرج • وعلى كــل حال ، فأن الوصف الذي قدمه هذا المؤرخ الشهير يبين انه كان للبــرج سلم لولبي من الخارج ، فيذكر « في وسط الاقليم هناك برج ذو بناء متين ٢٢٠ ياردة في الطول والعرض ، وفوقه يرتفع البرج الثاني وفوقه الثالث وهكذا الى الاعلى حتى الثامن ، والصعود الى القمة يكون من الخارج بواسطة ممر يدور حول البرج • وفى منتصف الطريق الاعلى يجد المرء مكانا للراحة ومقاعد لكــي يجلس عليها الناس لبعض الوقت فى طريقهم الى القمة • وعلى قمة البرج معبد فسيح وفي داخله مضجع بحجم غير اعتيادي كثير الزخرفة بمنضدة ذهبية فى جانبه »[٢٢] •

ورواية هيرودوت توضح الحالة السيئة للبرج ، غير أن هذه الحالــة وضحت اكثر فى عام ٣٣١ قبل الميلاد (أي بعد ١٢٧ سنة) عندما زار الاسكندر الكبير بابل فوجد البرج كومة انقاض[٢٣] • ويظهر ان الوصف الذي قدمه

---

(١٨) Short, A History of Religious Architecture, p. 26.

(١٩) Schneider, Babylon is everywhere, p. 79.

(٢٠) Razi, Ta'rikhe Kamile Iran, p. 28.

(٢١) Champdor, Op. cit., p. 127.

(٢٢) History of Herodotus, 1, p. 255.

(٢٣) Scheider, Op. cit., p. 79.

المؤرخون لم يكن دقيقاً ، إذ انه من الصعوبة بمكان التصديق بأن « برج ذو بناء متين » كما اطلق عليه هيرودوت ، يصبح بعد ١٢٧ سنة كومة من انقاض ، وفي سنة ٣٣١ قبل الميلاد قيل ان ٢٠٠٠٠ جندي مقدوني قد طلبوا لازالة الانقاض ولكن لم يبدأ بالعمل ابداً[٢٤] .

ولقد اثارت شهرة هذا البرج اهتمام المؤرخ هيرودوت وغيره من الرحالة، كما اوضح «شامبدور» فأنهم استكشفوا المنطقة المجاورة ووصفوا بتفصيل اقرب الى الخيال برج بابل الذي اقتنعوا بانهم كانوا قد شاهدوه .

والاستنتاج المتقدم اعلاه يمكن ان ينطبق على لوحة « ايزاكيلا »[٢٥] التي عثر عليها « سميث » في رحلته الاخيرة[٢٦] . وكما يذكر « سميث » فأن هذه اللوحة تقدم وصفاً واضحاً لمعبد « بل » في بابل[٢٧] . وقد كتب اللوح في عام ٢٢٩ قبل الميلاد واوضح انه كان لهذا المعبد سبعة طوابق ، والطابق السابع منها يمثل معبد « الاله بل » ، وارتفاعه الكلي فوق الاساس ٣٠٠ قدم ومساوٍ تماماً لطول القاعدة[٢٨] ، وهذه الابعاد المتساوية تذكرنا بابعاد الاهرامات .

واشار « كوتيل » الى أن البرج كان يستعمل وقت حكم الملوك السلوقيين

---

(٢٤) محمود الامين ، بحث صرح بابل المدرج ، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد الثاني ، ١٩٦٠ ، صفحة ٢٢٠ .

(٢٥) كان هذا اللوح قد استنسخ على عجل من قبل « سميث » اثناء رحلته الى نينوى حيث كان قد قدر ان لايعود ابدا ، وقد بقي تقريره عن هذا اللوح المرجع الوحيد عن معلوماتنا بخصوص الموضوع الذي تطرق اليه اللوح حتى اكتشف « شيل » النص في حيازة خاصة . وقد نشر الآن بشكل مفصل من قبل « شيل » و « ديلافوا » تحت عنوان

Esagil ou le temple de Bel-Marduk a Babylone, in The Memories de l'Academie des Inscription et - Belles - Letters, Paris 1913.

انظر كتاب گولدوي الموسوم The Excavations at Babylon, p. 327.

(٢٦) Koldwey, Op. cit., 192f.

(٢٧) Ibid., pp. 192f.

(٢٨) See Koldwey, Op. cit., pp. 192f.

حتى عام ٢٩٦ قبل الميلاد[٢٩] • واذا كان هذا صحيحاً ، فان البرج بشكله الاصلي يصبح بلا فائدة الآن الا اذا اجريت له بعض التجديدات •

اننا نؤكد على هذا البرج ونونيه اهتماماً خاصاً لكي نبرهن على ان زقورة بابل — التي وفقاً للباحثين المحدثين قد استخدمت نموذجاً لملوية سامراء — لم تكن في حالة جيدة في القرن التاسع الميلادي عندما بنيت الملوية •

ويؤيد « كريزويل » الفكرة التي تقول ان الملوية اقتفت نموذج زقورة بابل ، ويدعم نظريته هذه باقتباسه وصفين قصيرين كتبهما كل من « هاربوكريشن » و « بنيامين التطيلي »[٣٠] • يصف « هاربوكريشن » الاسكندراني برج بابل كما يلي : —

« هناك ٣٦٥ درجة تؤدي الى حرم في قمته »[٣١] وهذا يدل على انه لم يبق شيء من الزقورة عدا الدرجات التي استدل على وجودها بآثارها فقط •

والوصف الثاني كان « لبنيامين التطيلي » من النصف الثاني للقرن الثاني عشر فقال : « ان طول أساسه حوالي ميلين ، وعرض البرج ٤٠ ذراعاً وطوله ٢٠٠ ذراع • وعلى مسافة كل عشرة اذرع هناك منحدر يدور حول البرج حيث يستطيع المرء بواسطته ان يصعد الى القمة »[٣٢] • والقياسات التي اعطاها بنيامين التطيلي يظهر انها لم تكن دقيقة لاننا نعرف من رواية هيرودوت ومن المعلومات التي وردت في لوح ايزاگيلا أن قاعدة (او الطابق الاول) البرج تؤلف شكلاً مربعاً ، بينما تؤلف وفقاً لرواية بنيامين مستطيلاً • وهذا شيء غير اعتيادي • لان معظم الزقورات لها قواعد مربعة • ومن هذه الحقيقة نعتقد ان بنيامين كان يصف فقط مالم يكن سوى اكثر من رابية وبعض آثار منحدرات حولها • وهكذا يظهر بان الزقورات المدرجة لم تكن ترى في الوقت الذي بنيت فيه الملوية • ومن المحتمل ان تكون هذه الزقورات قد

---

(٢٩) Op. cit., p. 140.

(٣٠) E.M.A., 11, pp. 263f.

(٣١) النص المذكور اعلاه مقتبس عن كريزويل في مؤلفه E.M.A., 11, p. 264.

(٣٢) The Itinery of Benjamin of Tudela, Adler's translation, J.Q.R., XVII, p. 43.

اختفت تحت اكوام من الاتربة والانقاض حتى القرون الحالية عندما كشفت التنقيبات الاثرية عن بعضها .

ولو كانت أي من زقورات بلاد مابين النهرين ترى تماماً في ذلك الوقت لذكرها بالتأكيد الرحالة المسلمون . وبالاضافة الى هذا ، فأن حمد الله المستوفي (المتوفى عام ١٣٤٠م) اشار الى انه لم تبن اية منارة بمثل هذا الطراز (يقصد الملوية) من قبل أي احد قبل عصره (يقصد عصر المتوكل)[٣٣] .

وفريق ثان ، من جهة اخرى ، يرى ان شكل الملوية قد اشتق بصورة غير مباشرة من « طربال غور » قرب فيروز آباد ، واول من قال بهذا الرأي هو هرزفيلد[٣٤] .

ويعتقد « ديلافوا » أن « طربال غور » كان ينحدر من الزقورات القديمة التي كانت تشبه زقورة خورصاباد ، ويقول ايضا ان الزقورة الاخيرة كانت نموذجا لطربال غور[٣٥] .

ويؤيد هرزفيلد وجهة نظر ديلافوا مبينا أنه مصيب تماما[٣٦] . ولهذا فأنه قدم في البداية نظرية تقول أن ملوية سامراء قد اقتفت اسلوب برج غور ، وهو يعتقد أن ملوية سامراء ماهي في الحقيقة الا زقورة ، فيقول أن هذه الملوية تمثل المرحلة الاخيرة في تطور الزقورات البابلية ، وبعد ملوية سامراءاصبح خط التطور متلاشياً[٣٧] .

وصف كل من « فلاندن » و « كوسته » برج غور في عام ١٨٤٣ بأنه كومة كبيرة بارتفاع ٣٣ مترا تقريباً ، وانه ذو شكل مربع الزوايا وقاعدة كبيرة مربعة طول كل ضلع منها ٩ امتار . ولا شيء يبرز من جوانبها الاربعة . ولا حتى فتحة من أي نوع تؤلف مدخلا للداخل ، ويتألف البناء الآن من صخور اكثر بقليل من صخور اسسه . وفي وسط الشقوق والحفر وغيرها التي حدثت

---

(٣٣) نزهة القلوب صفحة ٤٩ النسخة الانكليزية .

(٣٤) للتفاصيل يراجع كتب هرزفيلد Samarra, pp. 28-30; Archaologische Reise., 1, p. 77.

(٣٥) Op. cit., IV, p. 79.

(٣٦) Samarra, p. 26.

(٣٧) Ibid., pp. 35f.

هنا وهناك على مر السنين يستطيع المرء ان يميز آثاراً متجهة اتجاهاً واحداً مستمراً • وتبدأ هذه الآثار في مستوى منخفض ثم ترتفع تدريجياً متخذة نفس النموذج الملتوي ثم تدور حول الجهات الاربع ، ويرى « فلاندن » أنها ربما تمثل سطحا مائلا او سلما يحتل في دورة اخرى ان يؤدي الى القمة حيث يوجد هناك المعبد(٣٨) •

وبعد اربعين سنة تقريبا تفحص « ديلافوا » البرج ووصفه بأنه كومة مستطيلة ارتفاعها ٢٨ متراً ، محاطة جهاتها الاربع بآثار سلالم مؤلفة مربعاً وكل دور يرتد عن سابقه بمسافة مساوية لـ ١/١٠ القاعدة(٣٩) •
ونتيجة لاعادة هذا التقصي قدم «ديلافوا» اعادة للبناء الموضح في[شكل-٦٨]، وبقي تصميم « ديلافوا » دون معارضة من عام ٨٨٤ حتى عام ١٩٢٤ عندما زار «هرزفيلد» برج غور حيث قام بتحريات اثرية جعلته ينتقد التصميم السابق، مقترحا أن الجسر المربع كان فقط غطاء للبرج بسلم معقود ، والجدران الخارجية اختفت تماما ولم يبق سوى بعض آثار المنحدر والعقود(٤٠) •

وعلى كل حال، فأن تجديد ديلافوا وانتقاد هرزفيلد لايغيران من حقيقة ان هذا البرج يشابه كثيرا الزقورات الفارسية والعراقية القديمة •

وقد حاول « هرزفيلد » بنفسه ان يبرهن على ان زقورة خورصاباد في العراق كانت النموذج لبرج غور ، بينما استخدم البرج الاخير كنموذج للملوية(٤١) •

ويظهر ان « هرزفيلد » وغيره من الذين ترسموا إقتراحه قد اخفقوا في محاولتهم تلك للبرهنة على ان الملوية قد اشتقت عن طريق غير مباشر من برج

---

(٣٨) Op. cit., Text, p. 39.
(٣٩) Dieulafoy, Op. cit., IV, 79-85.
(٤٠) Art. "Reiseføricht", Z.D.M.G., N.F., 5, pp. 254f.
Op. cit., p. 170.
النص المذكور اعلاه مقتبس من اطروحة الدكتور غازي محمد رجب
(٤١) Samarra, pp. 26f.

غور ، اذ ان المثال الذي قدموه لم يكن اختياره موفقا • ولقد وضحت هذه الحقيقة في رواية اوردها الجغرافي الاصطخري (المتوفى عام ٣٤٠ هجرية/٩٥١ ميلادية) •

ومن الجدير ملاحظته هنا ، انه لا هرزفيلد ، ولا اولئك الذين تقبلوا نظريته قد ذكروا هذه الرواية ، ولم تعط الاسباب لهذا التجاهل ، وعلى كل حال فأن الاصطخري يصف بناء مدينة غور كما يصف البرج وما تبقى منه فيقول :

« وهو بناء بناه اردشير ويقال انه كان من الارتفاع بحيث يشرف منه الانسان على المدينة جميعها ، ورساتيقها وبنى في اعلاه بيت نار واستنبط بحذائه من جبل ماء حتى اصعده الى اعلى هذا الطربال كالفوارة ثم ينزل في مجرى آخر وهو بناء من جص وحجارة وقد استعمل الناس اكثره وخرب حتى لم يبق منه الا اليسير »[٤٢] •

وتكمن اهمية هذه الرواية في حقيقة تقديمها معلومات مهمة حول حالة البرج فى زمن الكاتب ، ولكن لم تقدم اية معلومات عن زمن فقدان البرج لهيأته وتحوله الى خرائب • ومن المحتمل ان هذا قد حدث منذ زمن بعيد قبل عصر الاصطخري • وتوضح هذه الحقيقة أن برج غور لم يكن فى حالة جيدة عند وقت بناء الملوية •

وينبغي ان نذكر هنا ، أنه ليس هناك اي شبه كبير بين ملوية سامراء وهذا البرج ، والواقع أن الشبه الوحيد الذي يعترف به هو نسبة ارتفاع القاعدة الى الارتفاع الكلي للبرج بينما يلاحظ ان هناك عدة اختلافات ، وعلى وجه الخصوص في شكل الطبقات وعددها ، وبصرف النظر عن هذا ، فأنه حتى الوقت الحاضر ، لم يقرر أي حل لتحديد شكل السلم • وليس هناك اتفاق بين « ديلافوا » و « هرزفيلد » • ومع ذلك ، فأن الدراسات الاثرية اللاحقة قد تكشف الشكل الاصلي وتبين هل ان السلم يدور حول الواجهات كما

---

(٤٢) مسالك الممالك ، صفحة ١٢٤ •

روسيا
سمرقند
بحر الخزر
العراق
سامراء
بغداد
ايران
افغانستان
فيروزاباد
غور
باكستان
الخليج العربي

شكل ١٩ خارطة ايران

يذكر ديلافو[٤٣] ، او انه مغطى بقبو نصف اسطواني كما لاحظ هرزفيلد[٤٤] .

لم يكن تأثير الاتراك فى العمارة العباسية قويا كتأثيرهم في الامور السياسية . لقدكانوا رجال جبال حيث جمعوا ليصبحوا عبيداً فأنتقلوا من مالك الى آخر . وبعد ذلك ، فى عصر الخليفة المعتصم سيطروا على جميع الامبراطورية العباسية ، وجذبتهم الاعمال السياسية والعسكرية اكثر من أي شيء آخر .

وعلى كل حال ، ففي وسعنا ان نستنتج من بعض النصوص التأريخية ، انه اذا كانت الملوية متأثرة بمؤثر خارجي ، فمن المحتمل ان يكون الالهام ، كما يظهر لنا ، قد جاء من سوريا او مصر حيث تم استدعاء العدد الكبير من المهندسين ورجال الاعمال لتشييد سامراء فى زمن المعتصم ، وقد اوضح اليعقوبي هذه النقطة بصورة جلية[٤٥] .

وقد روى اليعقوبي ايضا أن المعتصم قد استدعى « من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض ، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر وحمل من الكوفة من يعمل الادهان ومن سائر البلدان من اهل كل مهنة وصناعة فأنزلوا بعيالهم بهذه المواضع واقطعوا فيها ، وجعل هناك أسواقاً لاهل المهن بالمدينة »[٤٦] .

وعلى الرغم من أن اليعقوبي لم يذكر أن المهندسين والحرفيين قد استدعوا في زمن المتوكل ، الا أنه اكتفى بالأشارة الى ان المتوكل قد امر « محمداً بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين ان يختاروا

---

(٤٣) Op. cit., IV, pp. 79-84.

(٤٤) ذكر كريزويل في مؤلفه E.M.A., 11, p. 263. ان هرزفيلد قد اخبره بانه كان مقتنعا بان سلم هذا البرج كان مغطى بقبو نصف اسطواني ، اذ ان آثاره لازالت تشاهد في مواضع كثيرة .

(٤٥) اليعقوبي ، البلدان صفحة ٣٢ .

(٤٦) نفس المرجع صفحة ٣٩ .

موضعا »[٤٧] . ولكنه على الاغلب قد ترسم خطى المعتصم ، اذ من غير شك ان الكثير من الاعمال المعمارية قد نفذت في عصره اكثر من تلك التي نفذت في عصر المعتصم .

ان الجند الترك الذين اصبحوا القوة الرئيسية في الجيش العباسي في عصري المعتصم والمتوكل قد جمعوا من مناطق متعددة من الامبراطورية الأسلامية وازداد عددهم في المجتمع عن طريق شراء اسرى الحرب وعن طريق دفع الخراج بالعبيد .

كان اصل بعض الجنود الاتراك في سامراء من سمرقند ، وقد روى اليعقوبي موضحا بان جعفر الخشكي قال : « كان المعتصم يوجه بي في ايام المأمون الى سمرقند الى نوح بن اسد في شراء الاتراك فكنت اقدم عليه في كل سنة منهم بجماعة فأجتمع له في أيام المأمون زهاء ثلاثة آلاف غلام ، فلما أفضت اليه الخلافة الح في طلبهم واشترى من كان ببغداد من رقيق الناس » .

فاذا كان الرأي أن فكرة الملوية قد نقلت عن برج غور ، فمن الاهمية بمكان ان نتأمل هل انها جلبت الى العراق عن طريق الاتراك المارين عبر ايران[٤٨] .

ويظهر من غير المحتمل ان يسلك الاتراك طريقاً معيناً ومحدداً خلال بلاد ايران ، اذ ــ كما اوضح المقدسي ــ كانت هناك في ذلك الوقت عدة طرق موجودة في ايران[٤٩] . وكذلك لان مدينة « غور » كانت تقع في اقليم فارس[٥٠] ، في الجنوب الغربي من ايران الى الشرق من الخليج العربي [شكل ــ ٦٨] . بنى مدينة « غور » الملك اردشير الذي سماها

---

(٤٧) نفس المرجع صفحة ٤١ .

(٤٨) هذا الرأي اوضحه الزميل الدكتور غازي رجب في اطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراه Op. cit., P. 171

(٤٩) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ١٠ .

(٥٠) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، صفحة ٤٧ ، ابن حوقل ، المسالك والممالك ، صفحة ١٧٩ ، المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ٤٤١ ، الاصطخري ، مسالك الممالك ، صفحة ٩٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ، صفحة ٢٠٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١٤٦/٢ .

أردشير خرة »[٥١] ، ثم سماها العرب فيما بعد « غور »[٥٢] عقب احتلالهم ايران ، ثم غير عضد الدولة بعد ذلك اسمها الى فيروز آباد[٥٣] .

وفيروز آباد ، كما موضحة في الخارطة ، تبدو بعيدة عن الطرق التي ربط موطن الاتراك الاصلي بكل من ايران والعراق . ومع ذلك ، فأن الاتراك الذين قدموا الى العراق من مناطق مختلفة — من المحتمل كثيراً — قد سلكوا الطرق الموجودة سابقاً في شمال ووسط ايران .

وهكذا يظهر أن الرأي القائل بأن تأثير الزقورات البابلية في ايران قد نقل الى سامراء في القرن التاسع عن طريق الاتراك لم تؤيده بصورة تامة الملامح المعمارية ولا الدلائل التأريخية كذلك .

لذا فليس هناك نماذج من الزقورات البابلية او بيوت النار الفارسية ، في حالة مصانة وجيدة الحفظ لتدلل على أن المعمار الذي بنى الملوية قد تأثر باساليبها ومخططاتها .

وبناء على ذلك ، فأننا نشير مع بعض التحفظ ان هذا النموذج من المنارة لم يكن موجوداً في تأريخ مبكر في كل من العراق وايران ، ولكننا نرى أنها قد ابتكرت لأول مرة في سامراء في العصر العباسي .

٢ـ العلاقة بين منارتي سامراء ومنارة ابن طولون في القاهرة

لقد حظيت منارة جامع ابن طولون في القاهرة باهتمام خاص من المؤرخين وكذلك من علماء الآثار المحدثين . وتكمن اهميتها في شكل المنارة الغريب حيث تقف فريدة بين المنائر الاسلامية في مصر .

ترتفع المنارة بمقدار ٤٠ر٤٤ متر (١٣٣ قدماً) فوق سطح الارض[٥٤] . وقد شيدت من قوالب من حجر الكلس الصلب ، وتتألف من اربعة طوابق [شكل — ٦٩] ، والطابق الأرضي (الأسفل) منها على شكل مربع تقريباً ابعاده ٧٦ر١٢ متر من الشرق الى الغرب و ٦٩ر١٣ متر من الشمال الى

(٥١) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، صفحة ١٧٩ ، الاصطخري ، مسالك الممالك ، صفحة ٩٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ، صفحة ١٩٨ .

(٥٢) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، صفحة ١٩٧ ، ابن الفقيه ، البلدان ، صفحة ١٩٨ .

(٥٣) ياقوت ، معجم البلدان ٢/١٤٦ .

(٥٤) Creswell, S.A.E.M.A., p. 314.

الجنوب ، وارتفاعه ٣٥ر٢١ متر[٥٥] ، وله سلم من الخارج يدور دورة كاملة حوله باتجاه معاكس لاتجاه عقرب الساعة[٥٦] ، وفوقه طابق آخر اسطواني الشكل ارتفاعه ٨٣ر٨ متر (٢٩ قدماً) مع الجدار (٦٩ سنتمتراً ، ٢٧ انجاً) مع سلم خارجي الذي يدور اكثر من نصف دورة حول الطابق[٥٧] ، وفوق هذا الطابق طابق يتألف من مثمنين ينتهي ثانيهما بقبة صغيرة مضلعة .

وبسطة السلم الثانية تتصل بسطح الجامع بواسطة جسر حجري محمول على عقدين بشكل حدوة الفرس متوازيين [شكل — ٧٠] اتساعه ٠٤ر٤ متر . ويمتد اتساع هذا الجسر من وسط النافذة الثانية عشرة الى وسط النافذة الثالث عشرة من جهة اليمين[٥٨] .

ويمكن تقسيم النظريات التي افترضت لتوضيح الشكل المعماري الى مجموعتين ، الأولى منها اعتبرت أن ملوية سامراء قد استخدمت كنموذج لمنارة ابن طولون[٥٩] ، بينما تعتقد المجموعة الثانية ان المنارة قد قلدت شكل فنار الاسكندرية[٦٠] .

بني فنار الاسكندرية القديم « سوستراتيوس » في العصر البطلمي الثاني فيلاديلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧ قبل الميلاد)[٦١] . وقد وصفه المؤرخون والجغرافيون العرب أمثال ياقوت الحموي والقزويني ، وكلاهما عاش في القرن الثالث عشر .

---

(٥٥) Creswell, E.M.A., II, p. 350; S.A.E.M.A., p. 314.

(٥٦) Creswell, E.M.A., II, p. 350; S.A.E.M.A., p. 314.

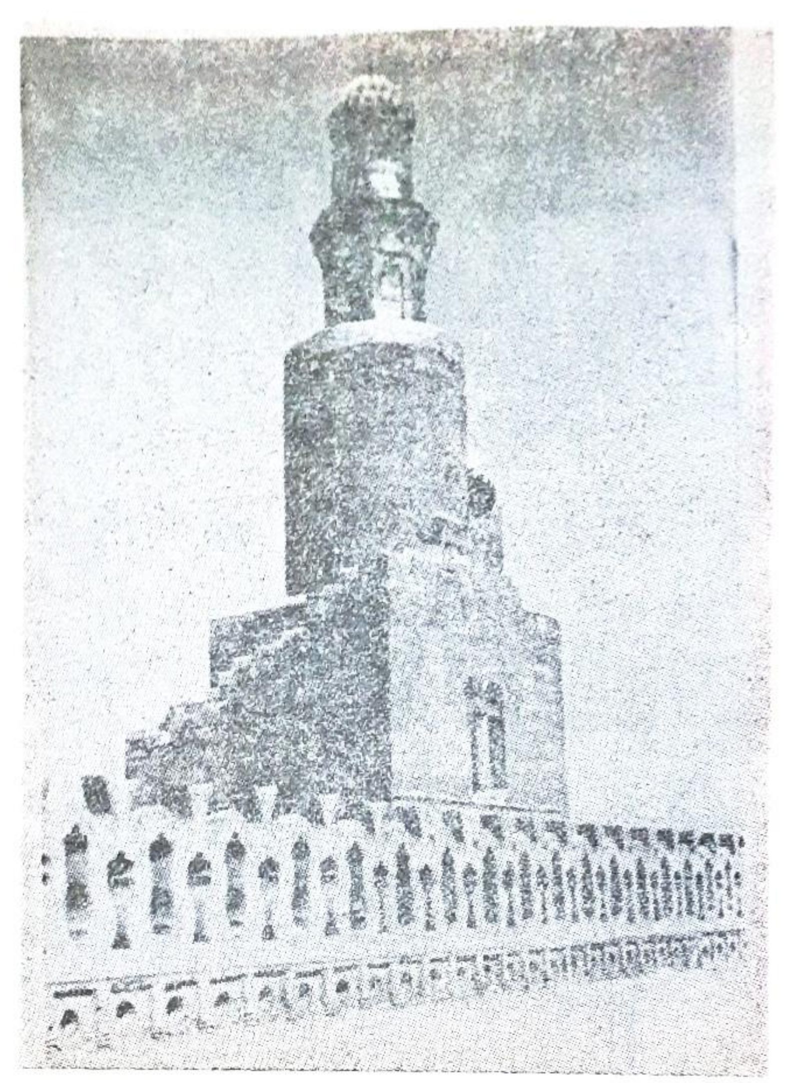
(٥٧) Creswell, S.A.E.M.A., p. 314; E.M.A., II, p. 350.

(٥٨) Creswell, S.A.E.M.A., p. 314.

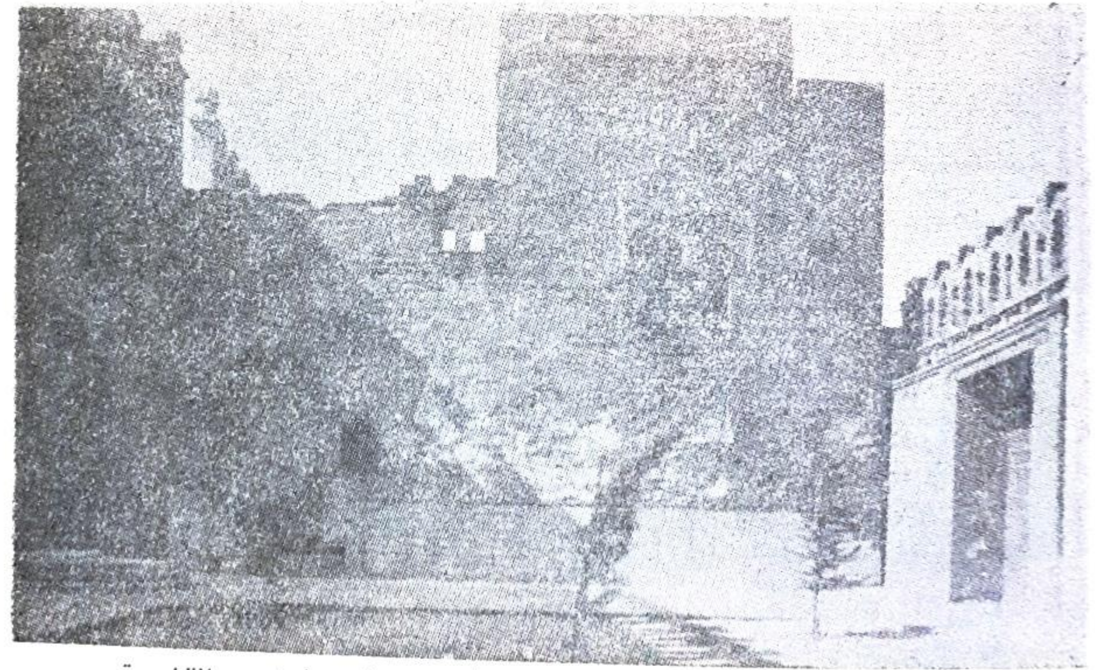
(٥٩) انظر كريزويل في مؤلفه E.M.A., II, p. 350 والصفحة التي تليها . ويرى كريزويل في كتابه E.M.A., II, p. 355. وفي بحثه في دائرة المعارف الاسلامية E.I. 12, I, art., "Architecture" p. 622. أن منارة جامع ابن طولون الحالية اذا كانت هي المنارة الاصلية فانها تكون على الاغلب مشابهة لملوية جامع سامراء .

(٦٠) كان «بتلر» اول من ذهب الى هذا الراي في مؤلفه الموسوم The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman dominion, p. 398. وقد اقتفى اثره « ڤان برشم » في Corpus inscriptionum Arabicarum, p. 481.

(٦١) Rivoira, Op. cit., p. 144.



شكل ــ ٦٩ منارة جامع ابن طولون في القاهرة

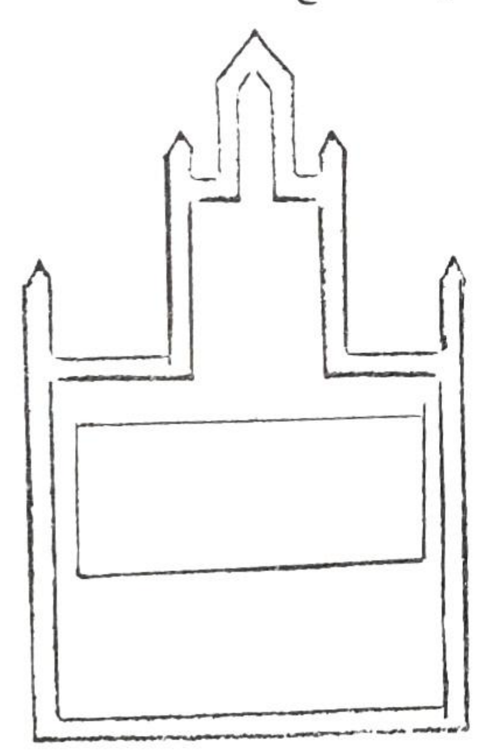


شكل ــ ٧٠ الجسر الحجري في منارة جامع ابن طولون بالقاهرة

يقول ياقوت : « والمنارة (هكذا يسميها والمفروض أن يدعوها بالبرج) مربعة البناء ولها درجة واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسه وقد سقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحايطين المكتنفي الدرجة فيرتقي الى طبقة عالية يشرف منها على البحر بشُرافات محيطة بموضع آخر كأنه حصن آخر مربع يرتقى فيه بدرج الى موضع آخر يشرف منه على السطح الاول بشرفات اخرى وفي هذا الموضع قبة كأنها قبة الديدبان »(٦٢) .

وقد عمل ياقوت ايضاً تخطيطاً بسيطاً للفنار [انظر شكل — ٧١] .

ان رواية ياقوت المذكورة اعلاه على جانب كبير من الاهمية لسببين ، أولهما لأنها تقدم معلومات وافية فيما يخص الخصائص المعمارية لهذا الفنار ، وثانيهما أن ياقوت شاهد الفنار بنفسه شخصياً ، ووضع له مخططاً .



شكل — ٧١ مخطط ياقوت الحموي لفنار الاسكندرية

ويمكن ان نستخلص حقيقتين من الرواية السابقة ، الأولى ، أن الصعود الى الفنار كان من خارجه وانه كان مسقفا بألواح ، والثانية تذكرنا بوجهة نظر هرزفيلد في ان برج غور كان مسقفا بقبو نصف اسطواني مرتفع(٦٣) .

واذا كان شكل مصعد الفنار غير واضح من رواية ياقوت فان رواية اسبق كتبها ابن خرداذبه الذي توفى في نهاية القرن التاسع الميلادي ، جعلت شكل المصعد واضحاً تماماً حيث يقول : « ويركب الفارس والفارسان الى اعلاها بغير درج انما يدور الفرسان والرجالة الى اعلاها مثل منارة سر من رأى»(٦٤).

---

(٦٢) ياقوت ، معجم البلدان ١/٢٦٣ و Gottheil, Op. cit., pp. 147f.

(٦٣) انظر كتاب كريزويل E.M.A., 11, p. 263.

(٦٤) المسالك والممالك ، صفحة ١١٤ والتي بعدها .

وبناء على ذلك فأن منارة جامع ابن طولون تطابق فنار الاسكندرية فيما يتعلق بطبيعة السلم الخارجي . غير ان هذا السلم كان مسقفا في فنار الاسكندرية بينما لم يكن مسقفاً في جامع ابن طولون .

وهذه الدلالة تشير الى ان هناك بعض التشابه بين البنائين فيما يخص نظام السلم ، لانه في كلا البنائين يدور حول البناء .

ويعتقد هرزفيلد ، ان فنار الاسكندرية اعيد بناؤه مماثلا لشكل منارة جامع ابن طولون(٦٥) . وهذا يبدو غير محتمل ، ومع ذلك ، فأن الدلائل التأريخية لاتذكر أي نوع من التجديد او اعادة البناء في زمن ابن طولون ، الا ان المؤرخ المقريزي يروي ان احمد بن طولون « رمّ شيئا منها وجعل في اعلاه قبة من الخشب »(٦٦) .

وقد يعترف المرء بانه على الرغم من ان للبنائين قاعدة مربعة ، الا انهما يختلفان في طبيعة الطوابق المختلفة . فأن لمنارة جامع ابن طولون اربعة طوابق، الاول مربع والآخر اسطواني واثنان مثمنان واحد فوق الآخر ، [شكل — ٧٢] بينما فنار الاسكندرية يتألف من ثلاثة طوابق، الاول مربع والثاني مثمن والثالث مدور [شكل — ٧٣] ان الذين يرون ان ملوية سامراء قد استخدمت كنموذج لمنارة جامع بن طولون قد اقتفوا آراء المؤرخين .

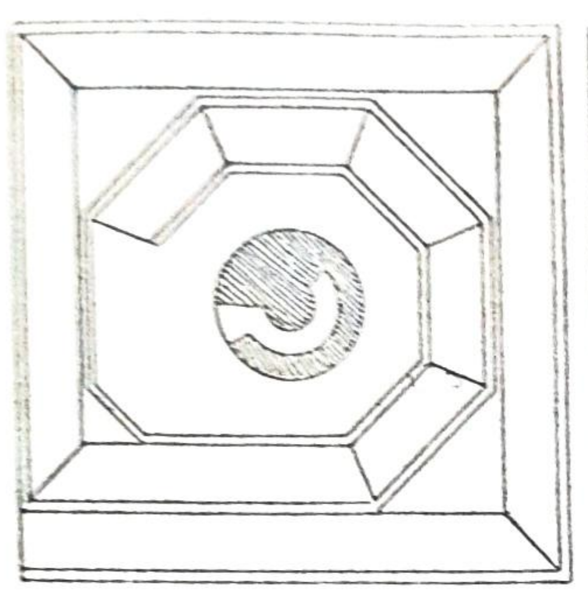
الذي يبدو ان اقدم رواية وردت إلينا عن المؤرخين والجغرافيين العرب كانت للمقدسي الذي شاهد من غير شك جامع ابن طولون اثناء زيارته للقاهرة في القرن العاشر الميلادي فوصف منارته بقوله : « ومنارته من حجر صغيرة ، درجها من خارج »(٦٧) .

---

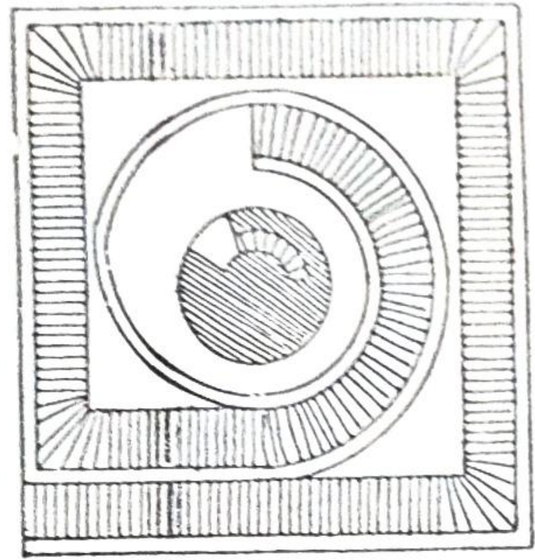
(٦٥) Herzfeld, Samarra, p. 35.

(٦٦) المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، صفحة ٢٣٥ والتي بعدها ، النص الذي اقتبسناه عن المقريزي واضح تمام الوضوح ، ومع ذلك فأن « كوتيل » يقول في بحثه الذي سبقت الاشارة Op. cit., p. 146 (هامش رقم ٦) بأن النص غير واضح . يقول المقريزي : « وكان احمد بن طولون رمّ شيئاً منها وجعل في اعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبسوطة موربة بغير درج » .

(٦٧) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ١٩٩ .



شكل ــ ٧٣ مخطط فنار الاسكندرية لبرزفيلد



شكل ــ ٧٢ مخطط منارة ابن طولون لـديولافوا

ومع ذلك ، فمن المحتمل ان تكون رواية المقدسي تشير الى المنارة الاصلية التي شيدها احمد بن طولون • ولسوء الحظ لم يقم المقدسي بمحاولات للمقارنة بين منارتي القاهرة وسامراء او أي نوع آخر من التشابه بينهما ، على الرغم ان كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » يبسط بصورة واضحة ملاحظات على جانب كبير من الاهمية وكذلك يقدم بعض المقارنات المعمارية ، فمثلاً وصف مسجد فسا في فارس بأنه « من آجر اكبر من جامع شيراز » وذكر : له « صحنان على عمل جامع مدينة السلام بينهما سقيفة »(٦٨) •

وفي القرن التالي (القرن الحادي عشر) أوضح القُضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية / ١٠٦٢ ميلادية) أن ابن طولون قد بنى مسجده على طراز جامع سامراء وكذلك المنارة ، وعلى الرغم من ان ماكتبه القُضاعي قد فُقد .

---

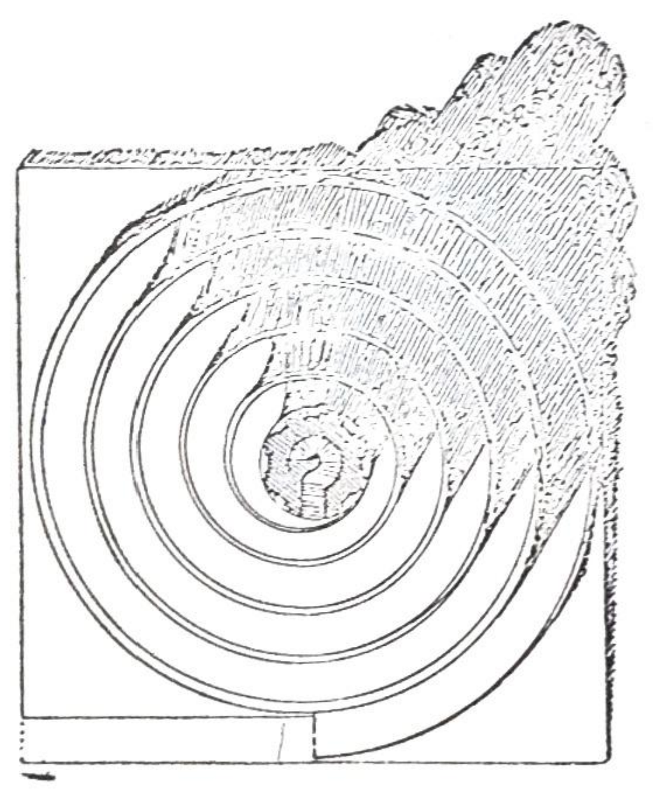
(٦٨) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحة ٤٣١ . وللتفاصيل انظر Creswell, Early Muslim Architecture, 11, p. 32, Herzfeld, Archaologische Reise.. 11. p. 137f;

الدكتور طاهر مظفر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ٢٩. وما بعدها .

لا ان الرواية التي ذكرناها قبل قليل قد حفظت في ماكتبه المؤرخان المصريان بن دقماق والمقريزي (٦٩) .

والنصوص التاريخية المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر تشير الى ان القضاعي لم ير ملوية سامراء ولا ملوية جامع ابي دلف ، ومن هذه الحقيقة يمكننا ان نستنتج ان روايته لايمكن ان تكون بالضرورة صحيحة، وعلى الرغم مما ذهبنا اليه فان المؤرخ القضاعي ، كما يذكر گوتيل ، يحتل مكانة كبيرة بين المؤرخين المسلمين في مصر ، وقد استخدم ماكتبه بوفرة من قبل المؤرخين الذين تناولوا تاريخ وآثار القطر المصري (٧٠) .

ومع ذلك ، فان الوصف المقتبس اعلاه يبين ان منارة جامع ابن طولون تختلف في عدة اوجه عن ملوية سامراء [شكل – ٧٤] ، على الرغم من انها



شكل – ٧٤ مخطط هرزفيلد لملوية جامع سامراء

(٦٩) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، الجزء الرابع ، صفحة ١٢٣ ؛ المقريزي ، الخطط ، الجزء الثاني صفحة ٢٦٦ .

(٧٠) Gottheil, Art., "The Oirigin and History of the Minaret", The Journal of The American Oriental Society., XXX, p. 147.

تشابه الاخيرة في قاعدتها المربعة والسلم الذي يلتف حولها من الخارج . واضافة الى ذلك فأن المنارتين كلتيهما قد بنيتا خارج الجامع في الزيادة . واوجه التشابه ليس كافياً ليدلل على ان منارة ابن طولون منقولة مباشرة عن ملوية سامراء . ولكن علينا ان لا نهمل الحقائق التأريخية التي تشير الى ان احمد بن طولون قد شب وترعرع في سامراء ، حيث تلقى فيها تدريبه العسكري ، وانه قد عاش في عصري المعتصم والمتوكل اللذين كانا يهتمان بالبناء والعمارة اكثر من اي خليفة آخر عاش في سامراء . وعليه فأنه من المحتمل ان يقترح ابن طولون بعض الصفات المعمارية المعينة للبناء عندما شرع في تشييد جامعه .

وهكذا ، فمن الممكن القول بان منارة ابن طولون — رغم انها لم تكن نسخة منقولة طبق الاصل عن ملوية سامراء او عن فنار الاسكندرية — اخذت بعض التأثيرات المعمارية من كلتيهما .

المصادر والمراجع

المراجع العربية القديمة

ابن الاثير — (ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) .
الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٥١ — ١٨٧٦م .

ابن بطوطه — (محمد بن عبد الله)
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، لندن ١٩٣٩م .

ابن حوقل — (ابو القاسم)
المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٣م .

ابن خرداذبه — (ابو القاسم عبيد الله)
المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م .

ابن خلدون — (ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن)
مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر ، القاهرة ١٩٣٠م .

ابن دقماق — (ابراهيم بن محمد)
الانتصار لواسطة عقد الامصار ، القاهرة ١٨٩٣م .

ابن رسته — (ابو علي احمد بن عمر)
الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩٢م .

ابن الطقطقي — (محمد بن علي بن طباطبا)
الفخري في الاداب السلطانية ، باريس ١٨٩٤م

ابن العماد — (ابو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ — ١٩٣٢م .

ابن عبدالحق — (صفي الدين عبد المؤمن)
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ليدن ١٨٥٢م.

ابن الفقيه — (ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني)
البلدان ، ليدن ١٨٨٥م .

البلاذري — (ابو العباس احمد بن حابر)
فتوح البلدان ، الترجمة الانكليزية ، نيويورك ١٩١٦م .

الثعالبي — (ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل)
لطائف المعارف ، القاهرة ١٩٦٠م .

الجهشياري (ابو عبدالله محمد بن عبدوس)
الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨م .

الخطيب (ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي)
تأريخ بغداد ، القاهرة ١٣٤٩هـ – ١٩٣١م .

الدينوري (ابوحنيفة احمد بن داود)
الاخبار الطوال ، ليدن

سهراب عجائب الاقاليم السبعة ، تحقيق هانس ڤون مـژيك ، فينا ١٩٢٩م .

الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين)
الاغاني ، القاهرة ١٩٦٣م .

الطبري (محمد بن جرير)
تأريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٧٩ – ١٩٠١م .

العمري مسالك الابصار في ممالك الامصار ، القاهرة ١٩٢٤م .

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)
آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م .

القلقشندي (ابو العباس احمد)
صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩٦٣م .

المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، باريس ١٨٦١–١٨٧٧م .

المقدسي (ابو عبد الله محمد بن احمد)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٨٧٧م .

المقريزي (تقي الدين احمد بن علي)
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة ١٢٧٠هـ.

ياقوت (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)
معجم البلدان ، ليبزك ١٨٦٦–١٨٧٣م .

اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب)
البلدان ، ليدن ١٨٦٠م
التأريخ ، ليدن ١٨٨٣م

المصادر العربية الحديثة

اسماعيل (كامل)
دراسة اثرية ، مسجد احمد بن طولون

الامين (الدكتور محمود)
بحث « صرح بابل المدرج » مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٦٠م .

بشير فرنسيس ومحمود علي
بحث « جامع ابي دلف في سامراء » ، مجلة سومر ، العدد الثالث ، سنة ١٩٤٧م .

زيدان (جرجي)
تأريخ التمدن الاسلامي ، الطبعة الانكليزية بعناية المستشرق ماركليوث ، ليدن ١٩٠٧م .

الدجيلي (كاظم)
بحث « نظرة عما في سامراء » ، مجلة لغة العرب ، العدد الثالث ، ايلول ١٩١١م .

سوسة (الدكتور احمد)
ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، جزءان ، بغداد ١٩٤٨–١٩٤٩م .

العميد (الدكتور طاهر مظفر)
بغداد ـ مدينة المنصور المدورة ، النجف ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

فكري (الدكتور احمد)
مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة .

المختصرات المستخدمة

Archaologische Reise — Sarra und Herzfeld, Archaologische Reise in Euphrat und Tigris — Gebiet.

B.C.A.B.U. — Bulletin of the College of Arts — Baghdad University.

D.P.M. — Viollet. Description du Palais al-Moutasim Fils d'Haroun-al-Raschid a Samarra.

E.M.A. — Creswell. Early Muslim Architecture.

Erster — Herzfeld. Erster Vorlaufage Bericht uber die Ausgrabungen Von Samarra.

J.A.O.S. — The Journal of The American Oriental Society.

J.R.G.S — The Journal of The Royal Geographical Society.

Mitteilung — Herzfeld, Mitteilung uber die Arbeiten der Zweiten Kampagne Von Samarra, Der Islam.

P.M.S. — Viollet, Un Palais Musulman du IXe Siecle.

S.A.E.M.S. — Creswell, A short Account of Early Muslim Architecture.

Samarra — Herzfeld Samarra Aufnahmen und Untersuchungen Zur Islamischen Archaologie.

المصادر باللغات الاجنبية

Arnold, Sir T.W. — *The Legacy of Islam.* (Oxford, 1931).

Beek, M.N. — *Atlas of Mesopotamia,* transl. by D.R. Welsh, ed. H.H. Rowley (London, 1962).

Bell, G. L. — *Amurath to Amurath,* (London 1911).

—— *Palace and Mosque at Ukhaidir,* (Oxford, 1914).

BenJamin of Tudela — *The Itinerary of BenJamin of Tudela, tr.* M.N. Adler, (London, 1907).

Blochet, E. — *Musulman Painting* (London, 1929).

Brecham, M. Van — *Corpus inscriptionum Arabicarum,* 3 Vols. (Pasir-Cairo 1903-1955).

Briggs, M.S. — *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine* (Oxford, 1924).

Brocklemann, C. — *History of the Islamic Peoples* (London, 1959).

Bulley, M. H. — *Ancient and Medieval Art,* (London, 1914).

Butler, A. J. — *The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman dominion.* (Oxford, 1902).

Champdor, A. — *Babylon,* tr. from French by E. Coult (London, 1958).

Cohn, Wiener, E. — *Das Kunstgewerbedes Ostens,* (Berlin 1923).

Contenau, G. — *Everyday Life in Babylon and Assyria* (London, 1954).

Creswell, K.A.C. — *Early Muslim Architecture: Umayyads, early Abbasids and Tulunids,* 2 vols. (Oxford, 1932-40).

——— *The Muslim Architecture of Egypt,* 2 Vols. (Oxford, 1952-59).

—— *A short account of Early Muslim* Architecture (P. B.) (Harmondsworth, 1958).

—— Art. "Architecture", E.1/2, I, pp. 608-24.

De Beylie, L. — *Prome et Samarra,* (Paris, 1907).

Dieulafoy, M. — *L'art entique de la Perse: Archemenides. Parthes.* Sasanides, 5 vols. (Paris, 1884-1889).

Diez, E. — *Die Kunst der islamischen Volker* (Berlin, 1915).

Dimand, M. S. — *Samarra the Ephemeral,* Bulletin of the Metropolitan Museum of Art XXIII, pp. 85-90. (1928).

—— *Handbook of Mohammedan Decorative Arts* (New York, 1930).

Dombart, Th. — "Derbabylonishe Turm" *Alt. O* XXIX/2, 1930.

Droop, J. P. and Pect, T. E. — *Annals of Archaeology and Anthropology,* issued by the Institute of Archaeology, Vol. XX, (Liverpool, 1933).

Flury, S. — art "Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tulun", *Der Islam,* IV, pp. 421-32. (Hamburg, 1913).

Frankfort , H. — *Cylinder seals* (London, 1939).

Gelbert, A. — Le Palais de Al-Moutasim a Samarra, *La Construction Moderne,* XXVI, pp. 351-3. (Paris, 1911).

Cluck, H. and Diez, E. — *Die Kunst des Islam,* (Berlin, 1925).

Goff, B. L. — *Symbols of Prehistoric Mesopotamia,* (London, 1963).

Gottheil, R. J. H. — art. "The origin and history of the minaret" *J.A.O.S.* XXX, pp. 132-154 (New Haven, 1909-1919).

Crousset, R. — *Les Civilisation de I,Orient,* English transl. by C.A. Phillips, (London, 1931).

Hasan, Z. M. — art "Ahmad Ibn Tulun", *E.* 1./2, I. pp. 278-279.

Herodotus, — *History of Herodotus,* ed. Rawlinson, G. 4 Vols. (London, 1862).

Herzfeld, E. — *Samarra Aufnahment und Untersuchungen Zur islamischen Archaologie* (Berlin, 1907).

—— — art "Mitteilung uber die Arbeiten der Zweiten Kampagne Von Samarra," *Der Islam,* V, pp. 196-204. (Strassburg, 1914).

—— — art. "Mshatta, Hira und Badiya, *Jahrbuch der Preuszischen Kunstsammlungen,* XLII, pp. 118-124, 133-5, 138-9 (Berlin, 1921).

—— — *Der Wandschbumuch der Bauten Von Samarra und seine Ornamentik,* (Beerlin, 1923).

—— — Die Maloreien Von Samarra, (Berlin, 1927).

—— — Geschichte der Stadt Samarra, (Berlin 1948).

Hooke, S. H. — *Babylonian and Assyrian religion,* (Oxford, 1962).

Jones, J. F. — art. "Journal of a steam voyage to the North of Baghdad, in April 1846" *J.R.G.S.* XVIII, pp. 1-19 (London, 1848.

Koldewey, R. — *The Excavations at Babylon,* tr. by A.S. Johns (London, 1914).

Kramers, J. H. — art. "Turks" *E.I./*1, IV, pp. 900-972.

Kuhnel, E. —*Die Kunst des Islam,* English tr. by K. Watson, *Islamic Art and Architecture,* (London, 1962).

Lammens, H. — art. "Pharos, minaret clochers et mosquees, le origine, leur architecture", *R.Q.H.* XLVI (1911) pp. 5-27.

Lane-poole, S. — *The art of the Saracens in Egypt,* (London, 1886).

Le Strange, G. — *Baghdad during the Abbasid Caliphate* (Oxford, 1900).

—— — *The Lands of the Eastern Caliphate* (Cambridge, 1930).

Lycklama, N. — Voyage en Russie au Caucase et en Perse (Paris, 1874).

Marcais, G. — art. "Bina" E.I./2, I, PP. 1226-1229.

Marcais, G. — *Manuel d'Art musulman, L'Architecture* (Paris, 1926.

Margoliouth, D. S. — Art. "Khurramiya", *E.I./*1, II, pp. 974f.

Mellaart, J. — *Earliest Civilisation of the Near East* (London, 1965).

Muhammad, G. R. — art. "The Elaboration of the Abbasid on the Minaret", *B.C.A.B.U.*, X, (1967), pp. 154-72, (Baghdad, 1967).

Mustawfi — Hamd-Allah Mustawfi Qazwini, *Nuzhat-al-Qulub*, English transl. by Le Strange. (Leiden, 1919).

Oppenheim, M. Von. — *Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf*. (Berlin, 1900).

Parrot, A. — *Sumer*, tr. S. Gilbert and J. Emmons (London, 1960).

—— — *Nineveh and Babylon*, tr. Gilbert and J. Emmons, (London, 1961).

Pijoan, J. — *History of* Art. tr. by Ralph L. Roys. 3 Vols. (Barcelona, 1927).

Razi, A. — *Ta,rikhe Kamile Iran*, (Tehran), 1962).

Rice, D. S. — art. "Deacon or drink: Some Paintings from Samarra re-examined". *Arabica*, V (1958), pp. 15-23 (Leiden 1958).

Rice, D. T. — *World Architecture in Illustrated History* (London, 1963).

—— — *Islamic Art* (London, 1965).

Richmond, E. T. — *Moslem Architecture* (London, 1926).

Rivorra, G. T. — *Moslem Architecture, its origins and development*, tr. G. Rushforth (Edinburgh, 1918).

Ross, J. — Notes on two journeys from Baghdad to the ruins of Al-Hadhr in Mesopotamia in 1836 and 1837, *J.R.G.S.*, IX, pp. 446-7, (London, 1839).

—— — A journey from Baghdad to the ruins of Opis and the Median Wall in 1834, *J.R.G.S.*, XI pp. 126-30 (London, 1841).

Roux, G. — *Ancient Iraq* (London, 1964).

Safar, F. — *Wasit, the Sixth Season's Excavation* (Cairo, 1945).

Saggs, H. W. F. — *The Greatness that was Babylon* (London, 1962).

Sarre, F. — *Reise in Mesopotamien*, (Berlin, 1909).

—— — *Die Keramik von Samarra* (Berlin, 1925).

Sarre and Herzfeld, *Archaologische Reise in Euphrat-und Tigris-Gebiet*. 4 vols. (Berlin 1911-1920).

Schneider, W. — *Babylon is everywhere*, tr. by *I.* Sammet and J. Oldenburg (London, 1963).

Short, E. — *A History of the Religious Architecture* (London, 1955).

Schwarz, P. — *Die 'Abbasiden-Reidenz Samarra* Leipzig 1909).

Streck, M. — art. "Wasit" *E.I./1.*, IV, pp. 1128-1132.

Strzygowski, J. and M. van Berchem. — *Amida*, (Heidelberg 1910).

Strzygowski J. — *Origin of Christian Church Art.* tr. by O.M. Dalton and H.J. Braunholtz, (Oxford, 1923).

—— *Asiens bildende Kunst.*, 1930.

Terrasse, H. — *L'Art hispano mauresque, des origines au XIII siecle,* Paris, 1932.

Theilmann, M. von — *Streifzuge im Kaukasus,* English transl. "*Journey in the Caucasus, Persia and Turkey in Asia,* (London, 1875).

Thiersch, H. — *Pharos, Antike, Islam und Occident,* Teubner (Leipzig and Berlin, 1909).

Tolber, A.J. — *Excavation at Tepe Gawra,* (Philadelphia, 1935).

Viollet, H. — Le Palais d'al-Mu(tasim, fils d'Haroun-al-Raschid, a Samara et de quelques monuments arbes peu corpus de la Mesopotamie. *Comptes Rendus de l'Acad. des Inscr. et Belles-Lettres, pp.* 370-75 (Paris, 1909).

—— — Description du palais de al-Moutasim Fils d'Haroun-al-Raschid a Samarra et re quelques monuments arabes peu connus de la Mesopotamie. *Memoires Presentes par divers savants al-'Academie des Inscr. et Bells - Letteres XII pp.* 567-94 (Paris, 1909).

—— — Fouilles a Samara en Mesopotamie. Un palais musulman du IXe siecle. *Memoires presentes par divers savants a l'Academie des Inscr. et Belles-Lettres, XII*, pp. 685-717, (Paris, 1911).

Wellhausen, J. — *The Arab Kingdom and its fall,* tr. by M. G. Weir, (Calcutta, 1927).

Zettersteen, K.V. — art, "al-Mutawakil", *E.I./l*, III, pp. 786-787.

—— — art. "al-Mu'tasim", E.I./1. P. 785.

الاطروحات باللغة الانكليزية :

Ahmad, L.I. — *The role of the Turks in Iraq during the Caliphate of Mu'tasim 218-227 (833-842).* Thesis submitted for the degree of Ph.D. University of Manchester, 1965.

Hameed, Abdul 'Aziz — *The Stucco Ornaments of Samarra.* Thesis presented for the degree of Doctor of Philosophy in the Faculty of Arts, University of London, May, 1962.

Muhammad — Ghazi Rajab, *The Minaret and its relationship to the Mosque in Early Islam,* Ph. D. thesis presented to the University of Edinburgh for the degree of Doctor of Philosophy, 2 Vols. 1964.

محتويات الكتاب

تصميم الغلاف : نزهان الدوري

الخطوط : جاسم الخطاط

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

١٣٥١ لسـنة ١٩٧٦

دار الحرية للطباعة بغداد

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

الجمهورية العراقية

وزارة الاعلام

بغداد

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ

السعر ٢٥٠ فلساً